
ثقافة الانتظار
علي رضا پناهيان
بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
١٥ شعبان ١٤٣٨/٢٠١٧

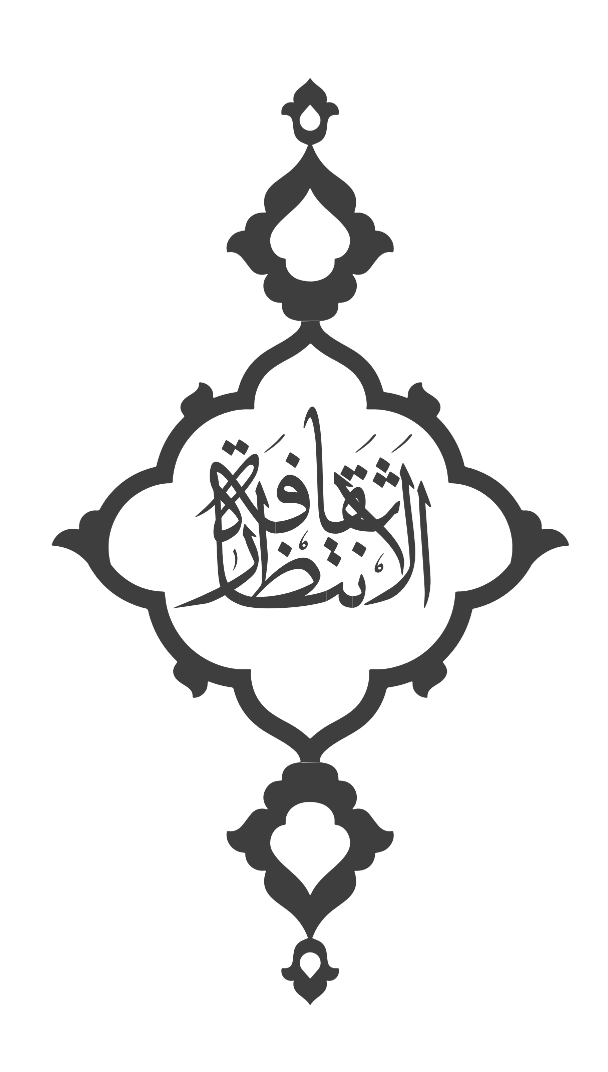
بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب: ثقافة الانتظار
اسم المؤلف: الشيخ علي رضا بناهيان
اسم المترجم: مقداد حيدري
تصميم الغلاف: حسن شحادي
تم العمل باعتناء: محمد كركي
الطبعة الثانية: ٢٠١٧ م - ١٤٣٨هـ

ISBN: 978-614-464-000-5

Lebanon , Beirut , sfeir , Moukarzel street
Mob : 00961 70 724 300 | Telefax : 00961 1 270 664
info@diwan-kitab.com | Diwan.kitab.dm@gmail.com



تعريف المؤلف:

هو سماحة الشيخ علي رضا بناهيان. وُلِد في مدينة طهران في العام ١٩٦٥م. وكان والده من العلماء والمبلغين الناجحين في طهران. بدأ بدراسة الدروس الحوزوية في العام ١٩٧٧م وواصل دراسته في الحوزة العلمية في قم المقدسة في العام ١٩٨٣م. وبعد إكمال دروس السطوح، حضر لمدّة إثنتي عشرة سنة في دروس بحث الخارج لآيات الله العظام وحيد الخراساني وجوادي آملي والسيد محمد كاظم الحائري وكذلك سماحة السيد القائد الإمام الخامنئي. وفي خلال هذه الفترة، مارس التبليغ والتدريس في مختلف الأوساط المدرسية والجامعيّة والحوزويّة عبر تدريس كتب الشهيد مطهّري.

عمل الشيخ بناهيان أيضًا في المجالات الثقافية ومارس البرمجة والإدارة الثقافيتين في المعاونية الثقافية في «فيلق ٢٧ محمد رسول الله ﷺ» في أيام الدفاع المقدّس والمعاونية الثقافية في «ممثلية الولي الفقيه في الجامعات» و «جامعة المصطفى العالمية» التي كانت تسمى يومذاك بـ «المركز العالمي للدراسات الإسلامية». كما أسس مدرسة «دار الحكمة» العلمية في طهران ويرعى إدارتها.

يعتبر الشيخ بناهيان أحد أشهر الخطباء في الأوساط الجامعية، فهو كان ومازال المحاضر الثابت في جامعة طهران وجامعة الإمام الصادق عليه السلام وجامعة الفن في الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم منذ حوالي عشر سنين. كما أنه محاضر ثابت في في المجالس التي يقيمها سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي دام ظله في أيام شهر محرّم والأيام الفاطمية منذ العام ٢٠٠٢م حتى الآن.

ساهم الشيخ بناهيان بمئات الموضوعات والأبحاث التي أغنى بها المكتبة الإسلامية، كان أبرزها موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني».

وإلى جانب إلقاء المحاضرات، يمارس سماحته التّدريس في الحوزة والجامعة، وكذلك تأليف الكتب الإسلامية وتحقيقها، وهو مرجع استشاري لعدد من المؤسسات الثقافية والتربوية، وأحد أعضاء الهيئة العلمية في مركز التبليغ التّخصصي، وله عدد من المؤلفات باللّغة الفارسية.

موقع الشيخ بناهيان باللغة العربية:

http://arabic.bayanmanavi.ir/

الروابط على مواقع التواصل الاجتماعي:

تويتر: http://twitter.com/PanahianAR

إنستغرام: http://instagram.com/PanahianAR

تلغرام: https://telegram.me/PanahianAR

فايسبوك: http://facebook.com/panahianAR

الفهرس

الفصل الثاني: انتظار العلماء

الفصل الثالث: انتظار العرفاء

الفصل الرابع: الشباب والانتظار

الفهارس

مقدّمة الناشر

«علينا أن نفتح اليوم بابًا خاصًّا في حياتنا للانتظار. وعلى شعبنا أن يحيي روح الانتظار في نفسه بصورة حقيقيّة وبكل معنى الكلمة».

(الإمام الخامنئي دام ظله؛ ٢/ ٣/ ١٩٩١)

إنّ الأبحاث المختلفة الّتي طرحها حجة الإسلام والمسلمين الأستاذ «على رضا بناهيان» في المهديّة بـ«طهران» وفي الجامعات أيضًا، لاقت ترحيبًا كبيرًا من قبل الشباب وطلاب الجامعات، ولعبت دورًا هامًّا في التوجّه إلى صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف والمجتمع المهدوي ومسألة الانتظار.

ومن جانب آخر، فقد أُلِّفت الكثير من الكتب القيّمة في باب المهدويّة والانتظار، إلا أنّنا قلّما نجد فيها تحليلًا علميًّا ودراسة كافية ووافية حول مسألة «انتظار الفرج». ولقد عنى الأستاذ في أبحاثه هذه بمفهوم الانتظار في منظومة المعارف الدينيّة والأبحاث الإنسانيّة أيضًا، وقدّم دراسة علميّة وعمليّة شاملة، بالاستناد إلى معارف أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا، بادرت مؤسسة «عصر البيان المعنوي» إلى جمع هذه الأبحاث وطبعها وتقديمها إلى الراغبين في البحوث المهدويّة.

وبدوره يتشرّف دار المودّة، بنشر النسخة العربيّة لهذه المحاضرات الزاخرة بالوعي والأصالة بين دفتي هذا الكتاب تحت عنوان «ثقافة الانتظار» سائلين الله عزّ وجلّ أن يكون خطوة بسيطة على طريق التمهيد والانتظار الإيجابي.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول:
انتظار العوام

- النظرة العاميّة
- النظرة العاميّة إلى المخلّص
- الابتعاد عن النظرة العاميّة
- الآثار السيّئة للنظرة العاميّة
- المودّة العاميّة
- المودّة العشقيّة

النظرة العاميّة

النظرة العاميّة هي النظرة السطحيّة إلى المفاهيم والمسائل العميقة، والاكتفاء بالقليل من المعرفة حول أيّ شيء. النظرة العاميّة هي معالجة المعلومات القليلة، وزيادتها بصورة خيالية فارغة عن الحقيقة. النظرة العاميّة هي عدم السؤال عن «لماذا؟» و«كيف؟»، وعدم معرفة الأصول والنتائج. النظرة العاميّة هي تلقّي الدروس من أفواه الناس والاتّكاء على الرأي العام. النظرة العاميّة هي إحلال الزعم والتوقّع محلّ التفكير والتدبّر، وفتح باب الاستنباط الفارغ عن الاستدلال. وبعبارة أخرى، يمكن لكلّ واحدة من هذه الخصائص بمفردها أن تكون مقدّمة أو نتيجة لنظرة عاميّة.

وبالإمكان أن تتبلور الانطباعات العاميّة حول أيّ شيء. ونجد في الوقت الحاضر أيضًا الكثير من الموضوعات والمسائل العلميّة في شتّى الفنون، قد تورّطت في أفكار الناس بالانطباعات العاميّة. وفي هذا الخضمّ، نشهد زيادة الاستنباطات العاميّة بشأن الموضوعات المعنويّة المتّسمة بالتعقيد والخفاء.

لا تختصّ بالعوام فقط

إنّ النظرة العاميّة السارية في جميع المجتمعات والثقافات، لا تختصّ بالعوام. وقد يميل المثقّفون والخواصّ في المجتمع أيضًا إلى النزعة العاميّة؛ لا سيّما إذا تعرّضوا لموضوعات لا تتناسب ومعلوماتهم ودراساتهم العلميّة، في حين أنّ الطبقة المفكّرة والمثقّفة أساسًا لا بدّ أن تكون مصونة من النزعة العاميّة. ولهذا، إذا أصيب أحد العلماء بالنزعة العاميّة، فيسجّر معه مجموعة أكبر من الناس، ويستطيع أن يشيع النظرة العاميّة أكثر من العوام أنفسهم.

عوامل إشاعة النظرة العاميّة

قد تكون إشاعة النظرة العاميّة ناتجة عن عوامل مختلفة. واحدة من العوامل الطبيعيّة لها هي سهولة تقبّل النظرة السطحيّة بالنسبة إلى النظرة الدقيقة والعميقة المتّصفة بشيء من التعقيد والغموض، والّتي يصعب على العوام فهمها.

ومن العوامل الأخرى لإشاعة النظرة السطحيّة الخاطئة هي أنّ هذه الآراء غالبًا ما تنسجم مع الأهواء النفسانيّة، وهوى النفس، يسوق فكر الإنسان بصورة خفيّة أو جليّة إلى متابعة الرؤية الخاطئة، بل وحتّى الدفاع عنها.

ودومًا ما يظهر بعض من ينتفعون من شيوع بعض النظرات العاميّة بين الناس، وبطبيعة الحال يقومون بتأجيج لهيبها؛ لأنّ أفضل طريق لاسترقاق الناس هو تخريب معارفهم وحرفهم عن الحقائق. وكثيرًا ما يتحقّق هدف تحريف الحقائق عبر رواج نظرة عاميّة. فإنّ السبيل الأمثل للغفلة عن الحقائق المُهمّة في العالم الّتي لا مفرّ من التوجه إليها هو الغرق في النظرة العاميّة، وبالتالي امتلاك رؤية باطلة حول الحقائق.

علمًا أنّ هناك الكثير من المعارف الصحيحة الّتي تظهر من بين طيّات هذه النظرات العاميّة، والّتي يشير كلٌّ منها إلى جانب من الحقيقة، بيد أنّ الإشكال يكمن فيما لو أخذ الإنسان جانبًا من الكلمات الصائبة، ولكنّه لم يعد يمتلك تحليلًا دقيقًا وتصوّرًا كاملًا عنها بأسرها، فسيتعرّض للفهم الخاطئ والنزعة العاميّة.

الآثار السلبيّة للنظرة العاميّة

إنّ هذه النزعة العاميّة مقرونة بعدد من الآثار السيّئة. أحد هذه الآثار هو تهيئة الأرضيّة للتحريف والانحراف. ومن آثارها السيّئة أيضًا هو أنّ النزعة العاميّة حتّى وإن لم تسبّب التحريف والانحراف، فستؤول على الأقلّ إلى نفور من ينظر إلى المسائل بدقّة وعمق، ويدرك نقائص النظرة العاميّة بسرعة. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ من الأضرار الّتي لا يمكن غضّ الطرف عنها إثر تفشّي وانتشار الاستنباطات العاميّة هي أنّ المعارف الحيويّة الأصيلة ستفقد ثمارها وتأثيرها.

النظرة العاميّة إلى المخلّص

إنّ النظرة العاميّة إذا ما سرت إلى موضوع أساسيّ وحيويّ كـ«المخلّص»، سيتضاعف خطرها وتزداد أضرارها. وذلك في الوقت الّذي تعدّ هذه النظرة وبسبب ما يحيط بها من إبهامات كثيرة وجهل كبير، من أشدّ المسائل الرائجة بين الشعوب المعتَقِدة بظهور المخلّص[١].

وإنّ هذه النظرة العاميّة، وإن كانت أكثر شيوعًا في أوساط أتباع سائر الأديان والمذاهب، غير أنّ رواج القليل منها بيننا، هو أمر كبير جدًّا لا يمكن احتماله، بل بإمكانه أن يوجّه ضربات شديدة صوب موضوع الانتظار والمهدويّة.

---

(١) إنّ أساس الاعتقاد بظهور موعود ومنقذ عالمي لا يختص بالشيعة، بل وحتى بالمسلمين، وهو موجود تقريبًا في جميع الأديان. يقول الإمام الخامنئي دام ظله في هذا الشأن: «يوم النصف من شعبان يوم الأمل. وهو أمل لا يختصّ بالشيعة ولا حتّى بالأمّة الإسلاميّة. مبدأ الأمل بمستقبل مشرق للبشريّة وظهور شخص موعود منقذ ويدٍ تنشر العدالة في كلّ العالم شيء تُجمع عليه كافة الأديان الّتي نعرفها في العالم تقريبًا. فما عدا الدين الإسلامي والمسيحي واليهودي، حتّى أديان الهند، والبوذيّة، والأديان الّتي لا يعرف الناس أسماءها أيضًا بشّرت بمثل هذا المستقبل».(كلمته بمناسبة ١٥ شعبان؛ ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٨)

وهذه النظرة العاميّة للمنقذ، موجودة لدى أديان العالم كافّة؛ زاعمين ظهور رجل راكب على فرسه يُغيّر العالم بـ«إعجاز» يدَيْه لا غير، ويقلبه رأسًا على عقب من دون حاجة إلى مشايعة الناس ووعيهم، ويهب السعادة للإنسان بعيدًا عن السنن الإلهيّة، وعن كلّ ما هو مسنون في طبيعة الحياة البشريّة.

نماذج من النظرة العاميّة للمخلّص

من نماذج وأمثلة النظرة العاميّة، هي «أنّنا ننتظر المخلّص، ولكن لا نحتاج إلى التمهيد لذلك». وأيضًا «أنّنا لا نحتاج إلى معرفة آليّات حركة المخلّص». وهناك نظرة أخرى تقول بـ«أنّنا لا نعرف كيفيّة استمرارية حكومة المخلّص ورموز بقائها»، وعناصر أخرى إذا ما لم نعرف كلّ واحد منها فسنقترب من النظرة العاميّة. وأقلّ ما تتسبّبه هذه النظرة من ضرر هي أنّها لا تحدّد وظيفتنا تجاه نصرة المخلّص ومسؤوليّتنا في التمهيد لقيامه.

إنّ الإقبال العام على المخلّص واهتمام الناس بهذا الموضوع الشريف، وإن كان يُوفّر مجالًا مناسبًا لفهمه وإدراكه بشكل أعمق، ولا بدّ من الانتفاع منه بوصفه مقدّمة لبسط الفهم العميق، إلا أنّنا لو نظرنا إلى مجموعة المنتظرين، لوجدنا أنّ الكثير منهم لا يحملون الفهم اللّازم لموضوع المخلّص. وهذا الأمر يتسبّب ببروز الكثير من الأخطاء في عملهم اليوم بصفتهم منتظرين. وهذه الأخطاء بطبيعة الحال، لا تُقدّم الفرج، ولا تترك للانتظار أثرًا وجدوى، بل قد تؤول إلى تأخير الفرج أيضًا.

والإنسان المغموم والمهموم الّذي يرى سُبل النجاة مغلقة بوجهه، ولا يستطيع حلّ مشاكله، لا مفرّ له سوى التعلّق بأيّ بصيص يبعث

في قلبه الأمل للمخلّص والتشبّث كالغريق بكل احتمال يؤدّي إلى النجاة. ومن الطبيعي في مثل هذه الأجواء، أن تسود النظرة السطحيّة والمزاعم العاميّة.

في حين أنّ تعزيز روح الأمل بالفرج، بل وحتّى تعجيله والنجاة في ضوئه، يحتاج أوّلًا إلى النجاة من نفس هذه النزعة العاميّة؛ وهي مقدّمة لتغيير الأوضاع والوصول إلى النجاة؛ لأنّ إرادة الله سبحانه وتعالى تعلّقت بأن يكون الإنسان ممهّدًا لتغيير الأوضاع في العالم، من خلال حركته الواعية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾.[١]

أ) قيام خارج عن السنن الإلهيّة

يعود جزء من النظرة العاميّة المتعلّقة بظهور المخلّص إلى الاعتقاد بتحقّق الفرج والنجاة، بمعزل عن السنن الإلهيّة الّتي ارتكز عليها تاريخ الحياة البشريّة، والّتي لم تشهد أيّ تبدل أو تحول على الإطلاق: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾.[٢] ففي نظرة عاميّة إذا ما قيل: «سيظهر صاحب العصر والزمان ﷻ وسيُصلِح الأوضاع إن شاء الله»، يتبادر إلى الأذهان بأنّ إصلاح أوضاع العالم سوف يتحقّق بعيدًا عن القواعد الّتي كانت حاكمة على جميع الوقائع حتّى يومنا هذا. كهذه القاعدة الذهبيّة القائلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾.[٣]

فلو كان المخلّص سيقوم بعمليّة الإنقاذ خارجًا عن هذه القواعد،

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٣) سورة الرعد، الآية ١١.

سينتفي الدور المتعلّق بوعي الناس وإرادتهم في السعادة، وستذهب قيمة السنن الإلهيّة، بل وقيمة الحياة البشريّة، وكلّ تلك الابتلاءات والانتصارات والانكسارات.

الرؤية العاميّة مدعاة للتخلّي عن المسؤوليّة

نتيجة هذه الرؤية هي أنّه لا تقع أيّ مسؤوليّة على عاتقنا، لا في عمليّة التمهيد للفرج ولا بعده. إذ من المقرر أن يأتي رجل لإنقاذنا يحمل على كاهله جميع المهامّ والمسؤوليّات. ولا حاجة إلى سعينا وحركتنا قبل ذلك أو بعده. وقد يتبلور هذا التصور الباطل من خلال تصوّر أنَّ أنصار الإمام أيضًا يعيشون بعيدًا عن حياتنا الطبيعيّة، والتصوّر أنّهم أناس أفضل منّا يتمتّعون كالملائكة بقدرات خارقة، وهم مستعدّون لخدمة الإمام عجّل الله فرجه الشريف، وسيملؤون الأرض قسطًا وعدلًا بهذه القدرة الموجودة لديهم.

وبالتالي – بحسب هذا التصوّر - فإنّ الإمام عجّل الله فرجه الشريف مع أنصاره الـ٣١٣، بالنيابة عن جميع الناس في العالم يشعر بالمسؤوليّة، وهو العالِم بالأمور، ويعمل على أساس الدين، وأحيانًا يسوق باقي الناس إلى الله بالإجبار ومن دون اختيار. إذ لو كان الاختيار بيد الناس، فإنّه على مرّ حياة البشر قد أدّى إلى الكثير من المظالم والابتعاد عن الله. إذًا لا بدّ من ظهور رجل يتصدّى لإعمار الأرض بعيدًا عن إرادة الناس ومن دون حاجة إلى شعورهم بالمسؤوليّة والاتّكاء على هذا الشعور. وكأنّ الناس في هذه الرؤية يمكنهم نيل السعادة والوصول إلى الكمال من دون اختيار وأهليّة. وكأنّه يمكن من خلال قائد عظيم بَرّ وعدد من الأنصار الأوفياء، إيصال جميع الناس إلى السعادة قسرًا.

الصورة المعنويّة في النظرة العاميّة

بالإمكان أن نهب لهذه النظرة العاميّة صورة معنويّة، وذلك بأن نتصوّر أنّ قدرة الإمام عجل الله فرجه الشريف المعنويّة ستسوق الجميع صوب الانقياد إلى الله، أو أنَّه يحلّ جميع المشاكل بقوته الغيبيّة. فإنّ هذا الكلام لا يخلو من حكمة، وإنّ لحضور الإمام معنويًّا أثرًا بالغًا في عالم الوجود وفي جميع العوالم، ولكن ما معنى هذا الكلام في إطار النظرة العاميّة؟

معناه أنّ نظرة الإمام وإرادته المعنويّة تؤدي إلى أن ينتاب الناس فجأة شعور جيّد، ويقول بعضهم لبعض مثلًا ومن دون مقدّمة: «يا له من شعور جيّد أحس به لإقامة الصلاة». ويقول آخر: «حصلت على ولع عجيب لاإرادي لقراءة القرآن». ويا له من جوّ مثاليّ خلاّب يسود الحياة!

علمًا بأنّ نظرة الإمام المعنويّة تصنع المعاجز، ولا شكّ أنَّ ظهوره سيترك بالغ الأثر في النفوس المستعدّة، ولكن أين تكمن قواعد «النموّ والكمال»، ودور «العزم والأهليّة» في الإنسان؟ فلو كان المقرّر أن يستفيد الإمام عجل الله فرجه الشريف من قدرته المعنويّة لا غير، فإنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام أولى منه بذلك. غير أنّ الله قال لنبيّه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.[1] فكيف عندئذ يقوم الإمام عجل الله فرجه الشريف بهداية الجميع من دون إرادتهم؟!

وهل سيتكفّل الإمام عجل الله فرجه الشريف بذهابنا إلى الجنّة، والحال أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يتولّ ذلك؟ كيف أنّ الله سبحانه يقول لنبيّه في كتابه الكريم:

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٦.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[١]، أو ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَٰغُ﴾،[٢] وفجأة تتغيّر وظائف الإمام المهدي ﷿ وتختلف كيفية تطبيقها؟!

إذًا فمن الخطأ أن نتصور بأنّ المراد من كون الإمام المهدي ﷿ مُخلِّصًا للبشرية هو أنَّه يظهر ويسوق الإنسان خارجًا عن الوظائف الملقاة على عاتقه، والمجتمع البشري خارجًا عن تركيبته الطبيعيّة، والتاريخ خارجًا عن السنن الإلهيّة، إلى الجنّة وإلى الوضع المنشود. هذا النوع من التفكير، تغافل عن الكرامة الإنسانيّة واستخفاف بالدين والسنن الإلهيّة الّتي لا تتبدّل. وبالتّالي سيكون مآله إلى انتظار عديم المسؤوليّة وعديم التأثير والجدوى.

نعم، ورد في الرواية «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا ﵇ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُم»[3]، إلا أنّ فهم هذا الحديث يحتاج إلى رؤية عميقة؛ لا أن نُفسّر الرواية سطحيًّا ونتصوّر بأنَّ فعل الإمام سيُحدِث تغييرًا في طبيعة خلقة البشر خلافًا لجميع السنن الإلهيّة.

نظرة الإمام المعنويّة، لا تختصّ بفترة الظهور

لا بدّ هنا من الالتفات إلى نقطة مُهمّة وهي أنَّ الظروف لو توافرت في هذا الزمن واستأهل جمعٌ من المؤمنين لتوجُّه الإمام لشملتهم عنايته، ولتكاملت عقولهم بألطافه الخاصّة أكثر من سائر الناس.

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٩.

توضيح: إنّ الحكومة الّتي تعدّ جزءًا من وظائف الأنبياء، تنضوي تحت نفس هدف الإبلاغ أيضًا. وباختصار، يمكن القول إنَّ الهدف الأساس من الحكومة في رؤية أولياء الله هو ضمان وصيانة الحرية والأمن والاستقرار للناس، حيث يتسنّى لهم بعيدًا عن الجبر والقسر والظلم والجور أن يستمعوا قول الحقّ بكل هدوء واستقرار ويختارون طريقهم بحرية.

(٣) الإمام الباقر ﵇، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٧٥.

وعلى أيّ حال، فإنّ التصوّر بأنَّ الظهور سيكون خارجًا عن السنن الإلهيّة، مسألة تصدّى الأئمّة عليهم السلام بشدّة لردّها ومواجهتها:

«عَنْ بَشِيرٍ النَّبَّالِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام، فَإِذَا أَنَا بِبَغْلَتِهِ مُسْرَجَةً بِالْبَابِ فَجَلَسْتُ حِيَالَ الدَّارِ. فَخَرَجَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَنَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ وَأَقْبَلَ نَحْوِي. فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: مِنْ أَيِّهَا؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ؟ فَقَالَ: مَنْ صَحِبَكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؟ قُلْتُ: قَوْمٌ مِنَ الْمُحْدِثَةِ. فَقَالَ: وَمَا الْمُحْدِثَةُ؟ قُلْتُ: الْمُرْجِئَةُ[١]. فَقَالَ: وَيْحَ هَذِهِ الْمُرْجِئَةِ، إِلَى مَنْ يَلْجَؤُونَ غَدًا إِذَا قَامَ قَائِمُنَا؟ قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كُنَّا وَأَنْتُمْ فِي الْعَدْلِ سَوَاءٌ. فَقَالَ: مَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ أَسَرَّ نِفَاقًا فَلَا يُبَعِّدُ اللَّهُ غَيْرَهُ وَمَنْ أَظْهَرَ شَيْئًا أَهْرَقَ اللَّهُ دَمَهُ. ثُمَّ قَالَ: يَذْبَحُهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا يَذْبَحُ الْقَصَّابُ شَاتَهُ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ. قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَهْدِيَّ لَوْ قَامَ لَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ عَفْوًا[٢] وَلاَ يُهَرِيقُ مِحْجَمَةَ دَمٍ. فَقَالَ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اسْتَقَامَتْ لِأَحَدٍ عَفْوًا لَاسْتَقَامَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حِينَ أُدْمِيَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ. كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى نَمْسَحَ نَحْنُ وَأَنْتُمُ الْعَرَقَ وَالْعَلَقَ[٣] ثُمَّ مَسَحَ جَبْهَتَهُ»[4].

(١) المرجئة من الفرق المنحرفة في الإسلام. يقول آية الله الشيخ «مكارم الشيرازي» في هذا الشأن: «المرجئة» من مادّة «إرجاء» بمعنى تأخير الشيء، وهذا اصطلاح يستعمل للجبريّين؛ لأنّهم لم يلاحظوا الأوامر الإلهيّة وارتكبوا المعاصي لظنّهم أنّهم مجبورون، أو لاعتقادهم أنّ مصير مرتكبي الذنوب الكبيرة غير معلوم، لتصوّرهم أنّ البتّ فيها مؤجّل إلى يوم القيامة. (التفسير الأمثل، ج١٧، ص٣٥٣).

(٢) أَدْرَكَ الأَمْرَ عَفْوًا صَفْوًا أَي في سُهُولة وسَراح. (لسان العرب، ج١٥، ص٧٥).

(٣) العلق: الدم الجامد (مفردات الراغب، ج١، ص٥٧٩).

(٤) الغيبة للنعماني، ص٢٨٣ و٢٨٤، وكذلك الكافي، ج٨، ص٨٠، ح٣٧، عن راوٍ آخر، مع اختلاف يسير في العبارة.

وقد تصدّى الإمام الخميني قدس سره في وصيّته الإلهيّة السياسيّة لردّ هذه النظرة العاميّة بصراحة، منوّهًا بدور المؤمنين وجهودهم لئلّا يتخلّى أحد عن وظائف الانتظار بذريعة هذه الرؤية العاميّة:

«وأنتم أيّها السادة إن كنتم تتوّقعون تحوّل كلّ الأمور وفقًا للإسلام وأحكام الله تعالى بين عشية وضحاها فذلك تفكير خاطئ، إذ لم تحدث مثل تلك المعجزة على مرّ تاريخ البشريّة، ولن تحدث في المستقبل. وفي ذلك اليوم الّذي يظهر فيه المصلح العام إن شاء الله تعالى، لا تظنّوا أنَّ معجزة ستحدث، وأنَّ العالم سيصلح في يوم واحد. بل بالجهد والتضحيات سيُقمَع الظالمون ويدفعون إلى الانزواء»[1].

ب) حكومة تقوم على أساس السيف

يحمل البعض أيضًا هذه النظرة العاميّة بأنَّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إذا ظهر، سيحلّ المسائل كلّها بسيفه! وبالطبع، فإنّ السيف (السلاح) سيستخدم خلال نهضة الإمام لا محالة، بيد أنَّه يتطلّب الكثير من المقدّمات ويقترن بالكثير من المستلزمات. ففي ذلك اليوم الّذي قادوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام مكبّل اليدَيْن، كان السيف موجودًا ولكنّه لم يُستعمل لفقدان تلك المقدّمات والمستلزمات. والسيف هذا هو نفس ذلك السيف الّذي سيتوفّر له مجال الخروج من الغمد ليس إلّا.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن يُستوحى عبر نظرة عاميّة أنّ نهج المخلّص الموعود وسلوكه، سيكون خارجًا عن الشريعة ونظام

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص٤٤٧.

التكاليف الإلهيّة؛ تلك التكاليف الّتي حدّدت الولاة في استخدام القوة القهريّة. وكأنّ الله سيقول للإمام – والعياذ بالله -: «لقد طفح كيلي، ولم تستقم الأمور رغم كل صبري ومداراتي، فاذهب من الآن وأقم الأمور بالسيف!».

ولذا، فإنّ هذا التصور بأنّ الإمام المهدي ﷺ لا يقوم بإنقاذ العالم إلا بالسيف، تصوّر سطحي. نعم، للسيف دورٌ كما كان من البداية، ولكن الشرائط لم تكن متوافرة في ذلك الزمن، وستتوافر في زمن الظهور. ومن هذه الشرائط «إتمام الحجة» و«تنوير» أفكار الناس الّتي ستتوفر في ذلك الزمن، وسيرفع الإمام موانع السعادة عن طريقهم بالسيف دون تريّث. فلو أدركنا معنى استخدام السيف بشرائطه ومستلزماته الخاصّة، ستزول النظرة العاميّة إلى موضوع الانتظار، ويحلّ محلّها السعي والجهد لتهيئة تلك الشرائط.

لو بينّا استخدام السيف من دون النظر إلى قواعده، سنصادق على الصورة الّتي يرسمها الأعداء عن الإمام ﷺ من أجل إخافة الناس منه؛ فيقدّمونه بصورة سلطان جائر غير حكيم، فإذا ظهر سيقوم بحلّ جميع المشاكل بالاتّكاء على السيف لا غير.

الأثر السلبي للنظرة العاميّة

قبل هذا الإقبال الأخير في المجتمع بالنسبة إلى موضوع الانتظار والإمام المهدي ﷺ وازدهار مجالس دعاء الندبة، كانت الصورة المرسومة في ذهن البعض عن الإمام ﷺ صورة مقرونة بالسيف. وحتى أنّ الكثير منهم كانوا يشعرون بقلق إزاء ظهور الإمام ﷺ، قلقون من أنّ الإمام إذا ظهر، سوف يضع حدّ السيف على رقابنا نحن المذنبين! وكان هذا التصوّر عامًّا نسبيًّا.

وشيئًا فشيئًا، بدأت تتّضح الصورة للناس بأنّ «الإمام المهدي ﷻ لا يأتي لقتل المؤمنين والعوامّ من غير المؤمنين؛ وحتّى أنّه لا يأتي لقتل المذنبين، بل إنَّ الكثير من المذنبين بمجيئه سيصبحون من الصالحين. فإنّ للقتل قاعدة، ولا يُقتل كلُّ من أذنب، بل وليس من المقرّر أن يُقتل بعض المذنبين الّذين لم يصلحوا بمجيء الإمام، ولم يرتدعوا عن اقتراف ذنوبهم». فلمّا ذُكرت هذه الأمور للناس وبُيّنت قواعدها، عند ذلك توجه الكثير إلى رأفة الإمام ﷻ وعطفه، وتدفّقت محبته في قلوبهم.

إنّ هذه التصوّرات العاميّة كانت قد أفسدت رؤية المؤمنين أنفسهم في الإمام، فما بالك بالّذين يريدون متابعة البحوث المهدويّة من خارج إطار المجتمع الديني، وما هي الصورة الّتي سترتسم في أذهانهم عن الإمام المهدي ﷻ؟

وبالطبع، لا ينبغي ترك إخافة خواص الباطل من سيف الإمام، وحذف موضوع السيف من عملياته الإصلاحيّة كليًّا. إذ سيكون للسيف دور هامّ جدًا في إحقاق الحقّ وإقامة الدين؛ لأنّ «المستكبرين» لا يفهمون سوى لغة القوة، ولا يطأطئون رؤوسهم أمام أوامر الله إلا بالإخضاع والإركاع.

وتعدّ إخافة المستكبرين من سيف العدالة أصلًا أساسيًّا في سبيل إحلال الأمن في المجتمع. وفي هذه الصورة، سيسود المجتمع الهدوء والاستقرار؛ وليس هذا بالأمر الّذي يحتاج إلى كتمان. بل لا بدّ من بيان كلّ ما يرتبط بمسألة الظهور بكل وضوح وجلاء ليقوم المستكبرون أيضًا بآخر إجراءاتهم الرذيلة للحؤول دون إحقاق الحقّ.

فلسفة استخدام الإمام ﷺ للسيف

إنّ الأمر المهم في إطار نظرة ثاقبة غير عاميّة هو سبب استخدام السيف في قيام الإمام وحكومته، وهو أمر واضح للغاية. ففي الوقت الّذي تتمّ فيه الحجة على الظالمين وعلى جميع الناس، ما الحاجة إذًا إلى المجاراة؟ وفي الوقت الّذي لا يريد الظالم الكفّ عن ظلمه وخصامه، هل يبقى مجال للصبر والمداراة؟ فمن لم يبغِ الخضوع أمام الحقّ، ويريد استغلال الفرص وتأمين مآربه مهما استطاع، ويقوم في هذا الطريق بسلب الآخرين ونهبهم، لماذا يُحاكَم ويُعدَم بالدليل والبيّنة؟ هنا عندما نسمع أنَّ الإمام يقوم بإصدار الحكم على الظالمين وتنفيذه دون تريّث، ومن دون طيّ المراحل المرسومة في المحاكم[١]، نشعر بالراحة، وعندها لا يبقى مفرّ للظالمين سوى الاستسلام.

ج) النجاة من الظلم فقط!

واحدة من خصائص وشرائط الظهور، هي مسألة «ظهور العدل بعد انتشار الظلم والجور». فقد ورد في الروايات أنَّ الإمام يظهر بعد أن تُملأ الأرض ظلمًا وجورًا[٢]، ولكن يمكننا أن نرى هنا رؤية عاميّة أيضًا. وذلك بأن نتصوّر أنَّ مجرّد تبرّم الناس من الظلم أو وصول الجور إلى غايته، يكفي لتحقّق الفرج، ولا حاجة بعد لاستعداد الناس لـ«تقبّل العدالة».

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام حَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ دَاوُدَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ، يُلْهِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَحْكُمُ بِعِلْمِهِ». الغيبة للنعماني، ج٢، ص٣٨٦، وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إِذَا قَامَ (القائم) قَضَى بَيْنَ النَّاسِ بِعِلْمِهِ كَقَضَاءِ دَاوُدَ عليه السلام لَا يَسْأَلُ الْبَيِّنَةَ». الكافي، ج١، ص٥٠٩.

(٢) عن رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِن عِتْرَتي فَيَمْلَؤُها قِسْطًا وَعَدْلًا كَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوانًا». كنز العمال، ح٣٨٦٩١؛ ميزان الحكمة، ح١٢٧٦، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «...الّذي يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا». الكافي، ج١، ص٣٤١.

فالحكومة العادلة الّتي تتشكل بين أناس تعبوا من الظلم -إلا أنّهم لا يحتملون العدالة - لا تبقى ولا تدوم. ولفهم الموضوع جليًّا يمكننا تسليط الضوء على تاريخ صدر الإسلام وحكومة أمير المؤمنين عليه السلام:

بعد خمس وعشرين سنة من فترة غربة أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن وصل استياء الناس من ظلم عمّال الحكومة وجورهم إلى ذروته – حتى أنّهم إثر هذا الاستياء وعلى الرغم من ردع الإمام علي عليه السلام ومخالفته الشديدة، عمدوا إلى قتل الخليفة الثالث – هجموا على دار علي عليه السلام يطلبون مبايعته بصفته خليفة للمسلمين، ويصرّون عليه بأن يتولّى زمام الأمور، والإمام يقول لهم: «دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي»[1].

لماذا كان الإمام يمتنع عن التصدي للخلافة على الرغم من كلّ هذا الإصرار؟ هل كان يُجامل؟ والحال أنَّ الإمام أساسًا ليس أهل مجاملة، فضلًا عن أن يُجامل في مثل هذه الأمور. إذًا ما هو سبب هذا الامتناع؟ على الرغم من أنَّه لم يكن موضع خوف من اتّهام الآخرين له بأنَّه طالب سلطة، ولا معنى أساسًا لمثل هذا الخوف بشأن شخصيّة كأمير المؤمنين عليه السلام. فإن كان الكلام عن «أداء التكليف»، فما معنى الاهتمام بمثل هذه الأمور؟[٢].

السبب الرئيس من امتناع الإمام عليه السلام هو أنَّ الناس وإن سئموا الظلم، غير أنّهم لم يكونوا من طلّاب العدالة. وإنَّهم أساسًا لا يفهمون العدالة

(١) نهج البلاغة، الخطبة٩٢؛ تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٣٤؛ الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩٣.

(٢) عن الإمام السجاد عليه السلام: «المُؤمِنُ ... لاَ يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ رِيَاءً وَلاَ يَتْرُكُهُ حَيَاءً». الكافي، ج٢، ص٢٣١. وكذلك عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: «كُنْتُ بِالْكُوفَةِ فَيَأْتِينِي إِخْوَانٌ كَثِيرَةٌ وَكَرِهْتُ الشُّهْرَةَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ أَشْتَهِرَ بِدِينِي. فَأَمَرْتُ غُلَامِي كُلَّمَا جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ يَطْلُبُنِي قَالَ: لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا. قَالَ: فَحَجَجْتُ تِلْكَ السَّنَةَ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَرَأَيْتُ مِنْهُ ثِقْلًا وَتَغَيُّرًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا الّذي غَيَّرَنِي عِنْدَكَ؟ قَالَ: الّذي غَيَّرَكَ لِلْمُؤْمِنِين». ثواب الأعمال للصدوق، ص١٤٦.

ومسلتزماتها، بل ولا يمكنهم احتمالها أيضًا، وشتّان بين هذَيْن. فلو كان الناس يحتملون العدالة، لما عذّبوا الإمام بهذا المستوى في فترة حكومته![١]

واليوم نجد أهل العالم قد تبرّموا من ظلم إسرائيل وأميركا، ولكن هل يكفي ذلك؟ لا بدّ أن نرى، هل يَحتمل هؤلاء الناس العدالة؟ هل يعرفون معنى العدالة؟ هل يعلمون بالتغييرات الّتي لا بدّ من إنجازها لزوال هذا الظلم؟ هل يدركون مستلزماتها؟ واليوم إذا تمّ بيان بعض مستلزمات العدالة بين المؤمنين، يظهر هذا التخوّف والقلق بأنّنا «نخاف أن لا نستطيع التحملّ!». كما ورد في الروايات بأنّ البعض لا يتحمّلون ذلك.[٢]

معرفة الظلم، لا تكفي وحدها!

علمًا بأنّ نفس معرفة الظلم أيضًا مرحلة لا بدّ أن يصل إليها المجتمع بعد النموّ والتكامل، ولا يتأتّى لكلّ مجتمع وبسهولة أن يمتلك معرفة صحيحة بالظلم. فقد تكون ثمّة مظالم متفشية في المجتمع، غير أنَّ الناس لا يدركونها، بل ولا يعدّونها ظلمًا من الأساس. كما نجد الكثير من الناس اليوم، ولا سيّما في المجتمعات الغربيّة، لا يمتلكون إدراكًا صحيحًا عن الظلم حتّى يكونوا طلّابًا للعدالة. ولهذا، إن أدرك الناس عبر تنمية الفهم والبصيرة العامّة، وأحسّوا بالكثير من المظالم الّتي

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطبًا أهل الكوفة: «قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا» الكافي، ج٥، ص٤؛ نهج البلاغة، الخطبة٢٧.

(٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «... حَتّى يَقُولَ كَثيرٌ مِنَ النّاس: لَيْسَ هَذَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ كَانَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ لَرَحِمَ». الغيبة للنعماني، الباب١٣، ح١١٣؛ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَيَقْتُلُ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ لَرَحِمَ» الغيبة للطوسي، ص١٨٨. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «فَبَيْنَا صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ قَدْ حَكَمَ بِبَعْضِ الْأَحْكَامِ وَتَكَلَّمَ بِبَعْضِ السُّنَنِ إِذْ خَرَجَتْ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ انْطَلِقُوا فَيَلْحَقُونَهُمْ فِي التَّمَّارِينَ فَيَأْتُونَهُ بِهِمْ أَسْرَى فَيَأْمُرُ بِهِمْ فَيُذْبَحُونَ». تفسير العياشي، ج٢، ص٥٦.

كانوا يجهلونها، وشعروا بألم فقدان العدالة، فقد ارتقوا مرحلة. وبهذا التكامل، سنقترب خطوة إلى الظهور، ولكنّه مع ذلك ليس كافيًا.

لا بدّ من معرفة العدالة بشكل صحيح

بعد معرفة الظلم، لا بدّ من تحقّق معرفة العدالة بشكل صحيح أيضًا. وإنَّ تطبيق العدالة بكلّ ما للكلمة من معنى، يستلزم «الشمول» و«الدوام». فشموليّة العدالة تستوجب العداء الكبير للانتهازيّين والظالمين على «نطاق واسع»، بل وتؤدّي إلى عناد الّذين لا يحتملون فقدان «القليل» من منافعهم أيضًا.

ولا تدوم العدالة إلاّ في حال شموليّتها. فإنّ تطبيق العدالة في جزء من الأمور، سيؤول إلى معرفة عنوان طلّاب العدالة الصادقين ليس إلّا، والثمرة الطبيعيّة لذلك هي تعرّضهم لهجمات الأعداء الشرسة؛ وهذا ما حدث في كربلاء. فإنّ واقعة كربلاء في الحقيقة، هي انتقام من عدل علي عليه السلام.

نحن نعلم أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يظهر في وقت انتشار الظلم، وسأم الناس منه، وانتظارهم لمن يخلّصهم من هذا الظلم، ولكن على الناس أن يستعدّوا لتقبّل العدالة ومستلزماتها أيضًا. وأن يعرفوا كذلك جذور الظلم ولو بالإجمال. ففي هذه الصورة، ستظهر موجة من إقبال الناس على الإمام عجل الله فرجه الشريف عند ظهوره، وسيتّبعه أهل العالم، وتستقرّ حكومته الحقّة على وجه الأرض بسهولة.

لا يعتمد الله على الأمواج العابرة في المجتمع

لكنّ النظرة العاميّة هي التصوّر بأن تفشّي الظلم، سيُحدث «موجة» من الإقبال على الإمام، وسترتكز دعائم حكومته على هذا الموج، ليس إلّا من دون تأهّب عام لتقبّل العدالة ومستلزماتها. وهذا تصوّر

سطحي، فهل يبحث الله عن موجة «استياء الناس من الظلم» حتى يمكّن حكومة الحقّ؟

في أصل الموضوع، لا يكترث الله بالأمواج العابرة، وليس ديدنه تسيير الدين على الأمواج. وإذا ما انتفع في وقت من الأمواج الاجتماعيّة لتسيير جانب من الدين، فإنّه بنفسه سيُهيّئ أرضيّة انكسار هذه الأمواج عبر الابتلاءات الشديدة. ولفهم هذا الكلام بشكل أدقّ، نعود ثانية لنُلقي نظرة إلى تاريخ صدر الإسلام:

في أواخر عمر النبيّ الشريف وإبّان اقتداره لقوّة أصحابه، ظهرت موجة كبيرة من التوجه إلى الإسلام: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾،[1] فلو كان المراد من هذه الأفواج، هو الّذين اعتنقوا الإسلام في أواخر فترة الرسالة، فمن الواضح أنّهم لا يتّصفون بإخلاص السابقين في الإسلام. ولذا، يمكن القول إنّ الأفواج هذه هي نفس تلك الأمواج المفيدة الّتي اتّجهت صوب الإسلام الأصيل، ولكن لم يثبت ويستقرّ هذا التوجّه في الكثير منهم.

فإنّ ظهور هذه الموجة، وإن كانت مؤثّرة في تعزيز الدين واستقرار المجتمع الديني وبداية الحضارة الإسلاميّة، إلّا أنّ الله - بعد رحيل النبيّ ﷺ - جعل الامتحان في عهد أمير المؤمنين عليه السلام كالسدّ الّذي يقف بوجه هذه الموجة، فسقط الكثير من الّذين لم يعتنقوا الإسلام بأصالة، وفقدوا إيمانهم.

---

(١) سورة النصر، الآيتان ٢ - ٣. نزلت هذه السورة بعد فتح مكة، والآية المشار إليها تبشّر بانتشار الإسلام واعتناق الناس له. لاكتساب المزيد من المعلومات راجع تفسير الميزان في ذيل هذه السورة.

وبعد منعطفات كثيرة، وفي أواخر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، آل المطاف بالناس إلى أن يستعدّوا لمواجهة معاوية وتنفيذ أمر الإمام في محاربته - حيث تمرّد على الخليفة الّذي اتّفق عليه المسلمون - ولكن حان وقت شهادة الإمام عليه السلام.

فلو كانت رؤيتنا سطحيّة، لكنّا قلنا لله: «إلهي! إنّك دقيق في معرفة الوقت، والناس لتوّهم قد عرفوا جانبًا من أحقيّة علي عليه السلام واستعدّوا للالتفاف حوله. وبعد أعوام ممّا ألحقوا به من أذى، عزموا الآن على اتّباعه، فليس هذا الوقت مناسبًا لشهادة علي عليه السلام». ولعلّ الله أيضًا سيجيب قائلًا: «حسنًا، وصيّه موجود وهو الإمام الحسن عليه السلام، ولا فرق بينهما. فلو أدركوا حقيقة الإسلام حقًّا وخضعوا للولاية، فليخضعوا لولاية وصيّه».

ألا ترون أنّ الله لا يريد مواكبة أيّة موجة! ولهذا قبض علي بن أبي طالب عليه السلام في الوقت الحسّاس. كما أنّ الناس لم يتّبعوا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وسقطوا. وهذا هو أسلوب الله حيث يقوم أحيانًا في الابتلاءات بما هو معاكس للجوّ ومخالف للموجة.

وقد وعد الله في كتابه الكريم أن يبتلي المؤمنين وأن لا يعتمد على مجرّد نداءاتهم ومدّعياتهم الإيمانيّة، بل يمحتن الأجواء الإسلاميّة بما يبتليهم في إيمانهم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.[1] وفي موضع آخر، يعدّ دخول الإيمان في القلوب أمرًا مطلوبًا، ولا يقبل الادّعاء

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٢ و٣. وكذلك انظر: سورة بقرة، الآية ٢١٤؛ سورة آل عمران، الآية ١٤٢؛ سورة التوبة، الآية ١٦.

الواهي في ذلك: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾.(١)

فهل من السيّئ أن يقدّر الله وعي الإنسان وعقيدته الراسخة ويقينه الصائب ولا يكترث بالموجة؟ يريد بنا أنا وأنت أن نكون من أنصار صاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف، وأن نشهد إقامة الحقّ عن وعي وعقيدة، لا بالانخراط في الأجواء.

مرّ الكلام في أنّ «الظلم الشامل» لا يكفي للظهور من دون «الاستعداد لتقبّل العدالة»، ولهذا فإنّ بعض أقسام رفض الظلم عديمة الفائدة، ولا تعدّ علامة للاستعداد للظهور، ومن هذه الأقسام ما كان ناجمًا عن الجوّ والموجة.

والقسم الآخر لرفض الظلم العديم الفائدة هو أن يقوم شخص مثلًا عبر التحايل والتربّح بجمع أموال وبناء بيت. ثمّ يُغتصب بيته من قبل حاكم أو متحايل ظالم آخر. فيصبح الأوّل الّذي تقطّعت به الأسباب لاسترجاع بيته من طلّاب الحقّ ويقول: «متى يظهر صاحب العصر ليُرجع الحقّ إلى أهله؟ متى يظهر الإمام ليأخذ حقّي من هذا الشخص؟»، غير أنّ الإمام لا يظهر لمثل هذا النوع من طلب الحقّ.

ولا بدّ أن نقول لمثل هذا الطالب للحقّ: «إنّك تظلم من حولك ومجتمعك على الدوام، وتقبل كلّ ظلم لأنّه يُؤمّن منافعك الدنيويّة بحسب الظاهر، واليوم ما إن تعرّضت للظلم، أصبحت طالبًا للحقّ؟ هذا ليس بـ«طلب الحقّ»، وإنّما هو «طلب الحقّ للنفس».

وفي الأساس، فإنّ طلب الحقّ لـ«النفس» شيء، والميل إلى

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٤.

الحقّ والعدالة شيءٌ آخر. وإنَّ الكثير ممّن ينادي بالحقّ والعدالة، إنّما يطلب الحقّ لنفسه، لا لأنّ قلبه يحترق على الحقّ والعدالة. كما أنّه يتحدّث عن الحقّ والعدالة ويسعى في سبيلها ما دام يستجلب الحقّ والمنفعة لنفسه.

لا ينفع هذا الضرب من طلب الحقّ أيضًا. كما أنّ النتيجة والغاية من حقوق الإنسان الرائجة في الغرب هو تعزيز روح الأنانية وحبّ الذات في الإنسان لا تأمين حقوقه.

وقد أشار سماحة الإمام قدس سره في كلام له بوضوح إلى الفرق بين طلب الحقّ وطلب الحقّ للنفس قائلًا:

«يجب على من يريد التحدّث أن يرى، هل يطلب الحقّ للحقّ؟ فإنّ أكبر ما إذا حصل عليه الإنسان نال كمالًا عظيمًا هو أن يطلب الحقّ للحقّ، وأن يحبّ الحقّ لأنَّه حقّ، وأن يبغض الباطل لأنَّه باطل. ولو تمّ تطبيق الحقّ على يد عدوّه، تكون له من السيطرة على نفسه بأن يمدح ذلك الحقّ. وإن ظهر الباطل على يد ولده أو أصدقائه، يكون قادرًا على أن يبغضه ويُعرِب عن بغضه. ولا يوجد من يطلب الحقّ للحقّ إلّا الأقلّ الأندر، ولا يوجد من يبغض الباطل للباطل إلّا الأقلّ الأندر. والإنسان بنفسه أيضًا لا يمكنه أن يعرف حالته»[1].

كما أشار سماحة آية الله الشيخ «بهجت» البالغ مناه في كلام له إلى الفرق بين المنتظرين:

«يريد أنصارًا يطلبون الإمام لا غير. فالمنتظر للفرج هو الّذي ينتظر

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٤، ص١٤٥.

الإمام لله وفي سبيل الله، لا لقضاء حوائجه الشخصيّة!»[1].

د) تزداد النعمة بلا دليل

هناك نظرة عاميّة أخرى حول مفاهيم المهدويّة ترتبط بهذه الحقيقة، وهي ازدياد النعم في فترة ما بعد الظهور، وكذلك نزول البركات، وشفاء المرضى، وحصول كلّ من ليس له سكن على مسكن، وإحلال الأمن بالكامل، واستتباب الأمور بأسرها. وكلّ هذه المسائل صحيحة ومتطابقة مع الروايات المختصّة بعصر الظهور[٢]، ولكن إذا ما نظرنا إلى هذه الآثار بنظرة عاميّة، سيؤول بنا الأمر إلى تصوّرات خاطئة.

فإنّ اعتقادنا بعظمة الإمام عجل الله فرجه الشريف ومنزلته عند الله وأنّه سيحلّ بإذن الله مشاكل حياة البشر بسهولة، فهو اعتقادٌ قيّمٌ لا محالة، وهو يشكّل جزءًا من معرفتنا وعقيدتنا بالإمام المعصوم عليه السلام، إلّا أنّ نفس هذه العقيدة أيضًا قد تطالها النظرة العاميّة.

فلو لم يكن انتظارنا لظهور الإمام ومجيئه، إلّا لحلّ مشاكلنا الشخصيّة، سيكون هذا النوع من الانتظار سطحيًّا للغاية. فإنّ الإمام، وإن كان حتّى في فترة غيبته يقضي حوائج المؤمنين ويغمرهم بلطفه

---

(١) در محضر بهجت، ج٢، الرقم٢٧٦.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ مَطَرًا تُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُنْعِمُ أُمَّتِي فِي وِلَايَتِهِ نِعْمَةً لَمْ تُنْعِمْ بِمِثْلِهَا قَطُّ». الملاحم للسيد ابن طاووس، ص١٣٩. وفي رواية أخرى: «وَتَعِيشُ أُمَّتِي فِي زَمَانِهِ عَيْشًا لَمْ تَعِشْهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ قَطُّ». الملاحم للسيد ابن طاووس، ص١٦٥. وكذلك ورد في الروايات أن الفقر يُستأصل في المجتمع المهدوي كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «وَيَطْلُبُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ مَنْ يَصِلُهُ بِمَالِهِ وَيَأْخُذُ مِنْهُ زَكَاتَهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ. اسْتَغْنَى النَّاسُ بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ». الإرشاد للمفيد، ج٢، ص٣٨١.

وعنايته[١]، غير أنّ طلب الفرج لمجرّد حلّ مثل هذه المشاكل وليد نظرة سطحيّة لقيام المخلّص.

نعم، إذا عرفنا بأنّ حلّ مشاكلنا المعيشيّة مرهونة بحلّ المشاكل الكبيرة المخيّمة على العالم، وأنّ المخلّص سيأتي ليقتلع هذه المشاكل من جذورها، فقد وصلنا إلى نظرة أعمق. إلّا أنّ حلّ المشاكل الصغيرة والكبيرة في المجتمع ليست أساسًا هي الهدف الرئيس من ظهور الإمام وحضوره. وحلّ هذه المشاكل ليست سوى مقدّمة للوصول إلى الأهداف الإنسانيّة والمعنويّة الأسمى.

النظرة الصحيحة لمعالجة المشاكل وازدياد النعم

الّذين يريدون إلقاء نظرة عميقة إلى هذا الموضوع، لا بدّ أن يعرفوا أنّ لمعالجة مشاكل الحياة مقدمات، من أهمّها استئصال شأفة الكفر (الّذي دومًا ما يسبّب الظلم بصورة مباشرة أو غير مباشرة)، وأنّ حلّ المشاكل بنفسه مقدّمة للوصول إلى أهداف أهمّ؛ كتفرّغ عباد الله لعبوديةّ ربهم واكتساب الكمالات المعنويّة.

ولا بدّ أن نعلم أيضًا أنّ المشاكل أساسًا لا ترتفع برمّتها بعد الظهور، حيث تبقى بعض المشاكل، بل وتبقى مظلوميّة الإمام عجّل الله فرجه الشريف أيضًا. وللإمام الخميني قدّس سرّه كلام واضح في هذا الشأن:

«لا ينبغي لنا التوقّع بأن نُصبح وقد وُضع كلّ شيء في موضعه.

---

(١) جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي، وفي ضمن توقيع صادر من الناحية المقدّسة إلى الشيخ المفيد: «... فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الّذي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعًا وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ». الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٤٩٧.

وعصر الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف الّذي يتصدّى لتطبيق العدالة بكلّ قوة أيضًا، لا يكون بحيث لا يقترف أيّ أحد ذنبًا حتّى بالخفية. وبالتالي، فإنّ المخالفين هم الّذين سيقتلون الإمام عجل الله فرجه الشريف. وقد ورد في الروايات قريبًا من هذا المعنى بأنّ بعض فقهاء عصره سيخالفونه»[1].

وعلى الرغم من أنَّ بين فترة الظهور الذهبية والرائعة وبين الحالة الّتي تمرّ على الناس في الوقت الحاضر بونًا شاسعًا، ولكنّ التصوّر بأنّ «الدنيا في تلك الفترة ستحلّ محل الجنة» تصوّر سطحيّ. فما دامت الدنيا باقية، فإنّ مشاكلها وصعابها باقية كذلك. يقول خالق الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾،[2] ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «الدُّنْيَا دَارُ الْمِحَنِ».[3]

ضرورة تحليل القضايا المرتبطة بالظهور

قد تنطوي جميع هذه النظرات العاميّة على كلمات صحيحة، ولكن إذا ما لم تقترن هذه الكلمات برؤية عميقة، فقد تتبلور في ذيل كلٍّ منها تصوّرات وانطباعات خاطئة. فلا ينبغي التعرّض لما ورد من إشارات بشأن ظهور الإمام عج وحكومته من دون تحليل. بل لا بدّ من تفسيرها بالاستفادة من جميع المعارف الدينيّة.

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٩، ص٣٠٣.

(٢) سورة البلد، الآية ٤.

وفي آية أخرى قرن الله حركة الإنسان إليه بالتعب والنصب قائلًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾، سورة الانشقاق، الآية ٦. وفي ذيل هذه الآية، قال الشيخ مكارم الشيرازي: ««الكدح»: - على وزن مدح - السعي والعناء الّذي يخلق أثرًا على الجسم والروح. والآية تشير إلى أصل أساسي في الحياة البشرية، فالحياة دومًا ممزوجة بالتعب والعناء». الأمثل، ج٢٠، ص٥٥.

(٣) غرر الحكم، ح٢٢٣٩. وقال أيضًا في وصف الدنيا: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ». نهج البلاغة، الخطبة٢٦٦. وقال: «الدُّنْيَا مَلِيئَةٌ بِالْمَصَائِبِ طَارِقَةٌ بِالْفَجَائِعِ وَالنَّوَائِبِ». غرر الحكم، ح٢٢٤١.

والخصائص المذكورة حول الظهور، ليست إلّا زوايا من ذلك الجبل الشامخ الّذي ظهر كالجزيرة من تحت ماء البحر. فلا ينبغي أن ننظر فقط إلى هذه الزاوية الخارجة من البحر، بل لا بدّ من الغور في البحر والتعرّف - بالاستعانة بالمعارف الدينيّة - على جميع سمات ذلك الجبل الّذي يريد الخروج بالكامل من البحر.

الابتعاد عن النظرة العاميّة

إذا ما نظرنا إلى موضوع المخلّص، بعيدًا عن بعض النظرات العاميّة، ستتفتّح أمامنا آفاق جديدة للتفكّر. فلو قبلنا على سبيل المثال بأنّ آلية ظهور الإمام عجّل الله فرجه الشريف وحكومته طبيعيّة ومطابقة مع السنن الإلهيّة والتعاليم الدينيّة الّتي تم قبولها ومراعاتها من قبل الأولياء والأئمّة المعصومين، فلا بدّ ومن الطبيعي أن نقبل بأنّ دوام حكومته عجّل الله فرجه الشريف أمر طبيعيّ أيضًا، وناتج من نفس تلك السنن والأحكام، ولكن عبر تحقّق بعض الشرائط والسنن الإلهيّة الّتي لم تسنح الفرصة لتحقّقها.

علمًا بأنّ معرفة آلية ظهور الإمام وحكومته أيضًا تعود إلى معرفة نفس هذه الشرائط والسنن وتحليلها إنسانيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا. فعلى سبيل المثال، ما هي تلك الأحكام الّتي لم تسنح الفرصة لتطبيقها حتّى الآن؟ لماذا وكيف تتهيّأ الأرضيّة لتطبيق تلك الأحكام في زمن الظهور؟ بأيّ دليل وأيّة آليّة طبيعيّة واجتماعيّة يتوافر المجال لتحقّق دولة لم تتحقّق منذ بدء الخلقة وحتى الآن؟ إنّ جميع معاجز الإمام وكراماته وعنايات الله يمكن تفسيرها في هذا المضمار.

فإن كانت آليّة الحكومة طبيعيّة ومستندة إلى سلسلة من القواعد

والسنن الإلهيّة، لا بدّ أن يكون دوام تلك الحكومة وبقاؤها إلى يوم القيامة أيضًا مستندَيْن إلى مجموعة من القواعد والسنن الإلهيّة. وفي هذا المجال، تُطرح أسئلة مهمّة نشير إلى جملة منها:

إن كان الناس لا يُساقون إلى الصلاح بالإجبار أو من خلال المعجزة، يمكنهم إذًا سلوك الطريق السيّئ باختيارهم. ولكنّنا نسمع أنَّ أكثر الناس سيكونون - في زمن ظهور الإمام وحكومته - من الصالحين، فكيف يتحقّق ذلك؟ ما هو العامل الّذي يؤدي إلى صلاح أكثر الناس؟ كيف يدوم هذا الصلاح؟ لماذا تختفي سيّئات السيّئين، ولا يكون بمقدورهم إلحاق ضرر كبير بالمجتمع؟[١] ماذا سيكون مصير الإنسان السيّئ الّذي لم يرتدع عن أعماله السيّئة، وكيف سيعيش في المجتمع المهدوي، وكيف سيُظهر سيّئاته؟ كيف سيتعامل الإمام عجّل الله فرجه الشريف مع مسألة الفساد والنفاق؟ هل يمكننا اليوم أن نسير نحو مثل هذا المجتمع الصالح؟ وإلى أيّ مستوى؟ هل يمكننا استخدام تلك القواعد الّتي تؤول إلى إيجاد مثل هذا التحوّل في حياة البشر، لمعالجة مشاكل مجتمعنا في الوقت الحاضر؟ هل يمكن أساسًا الاستفادة من هذه القواعد الطبيعيّة من دون حضور الإمام المعصوم؟ أم إنّه يمكن الاستفادة من بعضها دون بعضها الآخر؟ ما هو دور حضور الإمام في المجتمع ودور حكومته في تحقّق سعادة البشر بالدّقة؟

---

(١) واحدة من معاني ذلّة النفاق في دولة الإمام الكريمة الواردة في الروايات: «تُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَأَهْلَهُ» هي أنّ المنافقين رغم تواجدهم لا يمكنهم إلحاق ضرر كبير بالمجتمع لذلّتهم. يقول الإمام الخميني قدّس سرّه: «نعم، في عصر صاحب الزمان – سلام الله عليه – تكون الحكومة واحدة ... وتتحقّق العدالة الاجتماعيّة في جميع العالم، ولكن لا يعني ذلك أنّ الإنسان يتبدّل إلى إنسان آخر. فالناس كما كانوا عليه طائفة صالحة وأخرى طالحة. غير أنّ الطالحين لا يمكنهم عندئذ اقتراف الأعمال السيّئة». صحيفة الإمام، ج٢٠، ص٣٤٠.

إذا تركنا النظرة العاميّة جانبًا، تتدفّق الأسئلة واحدة تلو الأخرى وتتولّد الأفكار. وما عدا المعارف والبركات الكبيرة الّتي تصيبنا إثر متابعة هذه الأسئلة، فإنّ نفس تدفّق مثل هذه الأسئلة، يعني الاهتمام بأمر الظهور ورسوخ عقيدتنا بالفرج. كما أنّنا على أثر ظهور هذه الأسئلة والتقرّب إلى أجوبتها، سنتعرّف على وظائفنا في هذه الفترة تمهيدًا للظهور بشكل أمثل.

لعلّ الكثير من المشاكل الموجودة في مجتمعنا الحالي، ناجمة عن إهمال نفس تلك السنن الإلهيّة الّتي ستؤدي في زمن الظهور إلى معالجة مشاكل البشر وسعادتهم. ولعلّ ابتعاد المنتظرين عن الإنجازات العلمية يتسبّب أساسًا في عدم تهيئة المجال والأرضيّة الاجتماعيّة والتمهيديّة للظهور. ولعلّ جزءًا من انتظارنا أيضًا لا بدّ وأن يتبدّل إلى إقدام علميّ. ولعلّنا إلى حدّ ما نقوم بتبرير فتورنا وجهلنا من خلال الانتظار، شأننا في ذلك شأن الّذين جعلوا الانتظار ذريعة لكَسَلهم وفرارهم عن الجهاد.

الآثار السيّئة للنظرة العاميّة

إنّ للنظرة العاميّة آثارًا سيّئة كثيرة في الأبعاد الفرديّة والاجتماعيّة. فقد مضى ذلك الزمن الّذي كانت فيه النظرة العاميّة توجب الرضا والسرور بصفتها أقلّ ما هو قابل للتحمّل. وبعبارة أخرى، إنّ أضرار النزعة العاميّة ليست بقليلة في الظروف الحاليّة.

أحد تلك الآثار السيّئة للنظرة العاميّة إلى موضوع المخلّص والمهدويّة، هو عدم إشاعة ثقافة الانتظار الأصيلة في عالم البشريّة. فإن كانت نظرتنا سطحيّة، ولم نبيّن نظريّة حكومة الإمام المهدي ﷻ

بصورة علميّة، ولم نقدّم تحليلًا علميًّا عن موضوع المهدويّة والمخلّص، سيتبدّل هذا الموضوع شيئًا فشيئًا إلى أمر خيالي أو خرافي، وسيكون كالسدّ المنيع حائلًا بيننا وبين إشاعة ثقافة الانتظار الأصيلة – ولا سيّما بين النُخب - وبين سَوق الأذهان إلى هذا الموضوع بدقة.

وفي مثل هذه الظروف، سيرفض الكثير من الناس موضوع المخلّص والمهدويّة لكونه غير عقلاني. وسيعدّ المفكّرون والمثقّفون مسألة المهدويّة أمرًا وهميًّا بعيدًا عن التعقّل، وتنحصر إشاعة الانتظار بالأوساط الدينيّة والمساجد، وستبقى الفاصلة بين الدين والدنيا. واليوم أيضًا مجتمعنا يعاني من عدم الاهتمام بمسألة ظهور الإمام وحكومته في الأوساط العلميّة والجامعيّة، وبين النخب السياسيّة ومدراء المجتمع. في حين يمكننا عبر التدبّر الجادّ في منهجيّة حكومة الإمام، أن نساهم في معالجة مشاكل المجتمع وتنظيم الأمور وتحسين الأوضاع وتدبيرها.

وإنّ الحديث عن الحكومة المهدويّة من قبل المفكرّين والسياسيّين بداية جيّدة، ولكن إذا لم تقترن هذه البداية بالتدبّر والتعمّق في منهجية الحكومة المهدويّة والتوجه إلى نتائج هذا التدبير في تنظيم الأمور، فستكون عرضة للأضرار والآفات.

ومن الآثار السيّئة الأخرى لهذه النظرة العاميّة، هو توافر الأرضيّة للانحراف واستغلال موضوع المهدويّة من قبل الأعداء. ففي ظلّ هذه النظرة العاميّة إلى مفهوم «المخلّص»، سيشعر الكثير من الناس أنّهم، ومن خلال بعض أنواع الادّعاء والتظاهر البسيط، يستطيعون أن يعرّفوا أنفسهم بأنّهم نفس ذلك المخلّص، أو أنَّهم على صلة به. فكم من الادّعاءات الكاذبة

الّتي نسمعها من هنا وهناك حول الارتباط مع المخلّص.(١)

(١) إنّ أساس الارتباط بالإمام المهدي عجل الله فرجه ولقاء الصالحين به في فترة الغيبة الكبرى، تعدّ من الأمور البيّنة الّتي لا تنكر، وقد أيّدها الكثير من الأعلام والمراجع العظام؛ كالإمام الخامنئي دام ظله وسماحة آية الله الشيخ بهجت (البالغ مناه)، غير أنّ إيجابية زوال النظرة العاميّة عن موضوع المنقذ هي ظهور ملاكات ومعايير يمكننا من خلالها الفرز بين الصحيح والكاذب من هذه القصص إلى حدّ ما، بل سيؤدّي ذلك أساسًا إلى سدّ باب استغلال هذه القصص والادّعاءات المزيفة.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «إنّ الكثير من أعلامنا قد زاروا في فترة الغيبة هذه، ذلك العزيز وحبيب قلوب العاشقين والشائقين عن قرب. والكثير بايعوه عن قرب. والكثير سمعوا منه كلامًا يبعث على الأمل. والكثير شملتهم عنايته، والكثير غمرتهم ألطافه وعناياته ومحبته دون أن يعرفوه». (كلمته في الاحتفال الكبير لمنتظري الظهور؛ ١٩٩٩/١١/٢٤) وقال في موضع آخر: «قد ينال عيون أو فؤاد إنسان سعيد إمكانية الاكتحال بأنوار ذلك الجمال المبارك، لكن هؤلاء لا يطلقون ادعاءات وأقوالًا ولا يفتحون لأنفسهم دكاكين. الّذين يفتحون لأنفسهم دكاكين بهذه الطريقة يمكن للمرء أن يقطع ويتيقّن بأنهم كاذبون مفترون. ينبغي إبعاد هذه العقيدة الواضحة الساطعة عن هذه الآفة». (كلمته بمناسبة يوم النصف من شعبان؛ ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٨).

وهناك نماذج أخرى كثيرة من آراء الأعلام والعلماء الكبار حول إمكانية اللّقاء مع الإمام عليه السلام أو حصوله. نشير هنا إلى جملة منها: يقول آية الله الشيخ بهجت قدس سره: «إن عنايات الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه وألطافه في زمن الغيبة كثيرة بالنسبة إلى محبيه وشيعته؛ وباب اللقاء والحضور لم يغلق بالكامل؛ بل ولا يمكن إنكار أصل الرؤية الجسمانية أيضًا». در محضر بهجت، ج١، الرقم٣٨٩. وقال أيضًا: «واحدة من الأمور المهمّة بل من أهم الأمور هي معرفة ما يجب علينا فعله لنكون كالعلماء والمتشرعة والصلحاء التابعين للعلماء الّذين حصلوا على الفرج الشخصي والارتباط الخاص مع ولي العصر عجل الله فرجه». در محضر بهجت، ج٣، الرقم١٣٢١. وجاء في كتاب الاستفتاءات لسماحته: السؤال: كيف يمكن الجمع بين العبارة الواردة في التوقيع الشريف لعلي بن محمد السمري رحمه الله: «وسيأتي مَن يدّعي المشاهدة... فكذّبوه»، وبين ما جاء من قصص في كتاب بحار الأنوار وغيره تحت عنوان: «في من فاز بلقاء الحجّة عليه السلام»؟ الجواب: المراد من التوقيع بقرينة المقام، هو المشاهدة على نحو النيابة الخاصة، [أي أن الرواية مختصة بالغيبة الصغرى، ولهذا فإن القصص واللقاءات الواردة في بحار الأنوار وبعض الكتب الأخرى، قد تكون صحيحة] (السؤال ١٩٧٦). وقال آية الله الشيخ مكارم الشيرازي حول قصة لقاء الإمام عجل الله فرجه وأمره ببناء مسجد جمكران: «قضية مسجد جمكران المقدّس وقعت في اليقظة». (الاستفتاءات الجديدة، ج١، ص٤٩٦) وجاء في استفتاء من سماحته: «السؤال ١٥١١: هل أنّ شرط اللقاء بالإمام، هو العلم والتقوى أم المصلحة والزمان والمكان؟ الجواب: الشرط الأساس لأهلية اللقاء بالإمام، هو التقوى على مستوى عالٍ. ولكن قد تظهر طلعته البهية على من ليس أهلًا لذلك، بل وحتى على من ليس شيعيًا أو مسلمًا لمصحلة إسلامية». (الاستفتائات الجديدة، ج٣، ص٥٤٢)

وقد أشير في الروايات إلى ظهور الكثير من الرايات المنحرفة في زمن الظهور، مدّعية بأنّها هي «المخلّص».[١] ففي أيّ جوّ تظهر وتتبلور هذه الانحرافات؟ أليس كذلك بأنّ النظرة العاميّة لموضوع المخلّص، هي الّتي تهيّئ الجوّ لشيوع مثل هذه الانحرافات؟

إنّ النظرة العاميّة، بالإضافة إلى أنَّ بإمكانها تهيئة الأرضيّة لاستغلال الأعـداء، يمكنها أن تعبّد الطريق لانحـراف المنتظرين أيضًـا. فمن الانحرافات الّتي قد تظهر في بحث المخلّص والمهدويّة هي سَوق الناس إلى مجرد الارتباط العاطفي والشخصي مع الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف. إنّ هذا الارتباط العاطفي جيّد ولا بدّ من تنميته، وبالطبع فإنّه سينمو عبر ازدياد المعرفة والدقّة في أداء التكاليف الإلهيّة، سوى أنّ التوجيه الصرف للارتباط العاطفي وجعل الهدف الأول والأخير للمنتظرين هو اللّقاء السري والتشرّف بالإمام، من دون النظر إلى مستلزماته وحقائقه الاجتماعيّة، يهيّئ الأرضيّة للانحراف الّذي قد تظهر من مكنونه الكثير من المسائل المخالفة لنهج الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف المتمثل بالإسلام الأصيل.[٢]

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يَقُومُ الْقَائِمُ عليه السلام حَتَّى يَقُومَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً كُلُّهُمْ يُجْمِعُ عَلَى قَوْلِ إِنَّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيُكَذِّبُونَهُمْ»؛ (الغيبة للنعماني، ص٢٧٧). وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا يَخْرُجُ الْقَائِمُ حَتَّى يَخْرُجَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ». (الغيبة للشيخ الطوسي، ص٤٣٧).

(٢) يقول آية الله الشيخ بهجت قدس سره: «لا يجب على الإنسان السعي للتشرف بخدمة ولي العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بل لعلّ ركعتين من الصلاة ثمّ التوسل بالأئمّة عليهم السلام أفضل من التشرّف؛ لأن الإمام يرانا ويسمعنا أينما كنّا، والعبادة في زمن الغيبة أفضل من العبادة في زمن الحضور؛ وزيارة أيّ واحد من الأئمة الأطهار عليهم السلام كزيارة الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف». در محضر بهجت، ج١، الرقم٢٧٧. وقال أيضًا: «هل من الصحيح أن نركن إلى الراحة وننظر وإخواننا وأخواتنا في الدين تحت وطأة الظالمين؟! ... هل يمكن أن يكون زعيمنا ومولانا ولي العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حزينًا، ونحن مسرورون؟!». المصدر نفسه، ج٢، الرقم٢٦٧.

والأثر السلبي الثالث للنظرة العاميّة، هو «الخمول» الّذي تجده بين المنتظرين. وبعبارة أخرى، إنّ النظرة العاميّة تكون سببًا لترك المنتظرين وظائفهم وعدم معرفتها. كم هي حالة سيّئة بأنّنا بصفتنا منتظرين كلّما نتذكّر الإمام المهدي ﷻ، نتنفّس الصعداء ونقول: «سيظهر الإمام إن شاء الله»، ومن بعدها نعود إلى حياتنا المليئة بالأخطاء. وهذه آفة وضرر بأنّ انتظارنا لا يوجِد في حياتنا أيّما تغيير. فمن الطبيعي أنّنا إذا ما نظرنا إلى موضوع الانتظار بنظرة سطحيّة، لا يمكننا أن نستخرج التكاليف المتشعّبة منه لأنفسنا، وأن نجد حركة في وجودنا، وأن نشعر بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقنا.

وبالتالي، فإنّ الأثر السلبي الأكبر للنظرة العاميّة، هو التأثير الّذي قد تتركه في نفوس المنتظرين، وتسوقهم إلى سوء العاقبة. وبعبارة أخرى، قد تكون عاقبة المنتظرين الّذين ينظرون إلى موضوع المخلّص والمهدويّة بنظرة عاميّة، هي أن يدخلوا في عداد أعداء الإمام ﷻ بعد الظهور. كما صرّحت بذلك الروايات أنَّ البعض يقف أمام الإمام ﷻ ويقول: «ليس هذا من آل محمد»[1]، والحال أنّه كان منتظرًا للإمام بشكل أو بآخر.

لماذا يعادي الإمام بعد ظهوره من كان منتظرًا له في غيبته؟ لأنّه كان يحمل تصوّرًا خياليًّا وهميًّا عن الإمام ﷻ، وعندما يرى وجوده الحقيقي المقدّس ويجده لا ينسجم مع صورته الخياليّة، ينهض

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «... حَتَّى يَقُولَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسَ هَذَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ كَانَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ لَرَحِمَ ...». الغيبة للنعماني، ص٢٣١. وكذلك عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ خَرَجَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ وَدَخَلَ فِي سُنَّةِ عَبَدَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ». الغيبة للنعماني، ص٣١٧.

لمعاداته ومخالفته. فإنّ الّذي يحمل نظرة عاميّة وتشتدّ عقيدته بها بحيث تظهر فيه بصمات من الانحراف، لا ينفع الإمام، بل سيتسبّب له بالأذى والألم بعد ظهوره[١].

وإنّ أمثال هؤلاء يدّعون لأنفسهم شيئًا لا سيّما وهم يحملون من قبل بعض المعلومات، ويقولون على سبيل المثال: «كلّا، إنّه ليس صاحب الزمان. نحن نعلم، نحن نعرف، نحن كنّا ننتظر، واليوم نحن نُشخّص هل هذا هو الإمام أم لا».

علمًا بأنّ البعض يخالفون الإمام عج بسبب عدم بناء هويتهم الإنسانيّة، وتعارض أوامر الإمام مع منافعهم، وقد يكون هذا التعارض – بشكل من الأشكال - ناجمًا عن نفس ذلك التصور الخاطئ حول المخلّص.

كما حدث ذلك لليهود في المدينة أيضًا. فقد كانوا يتفاخرون دومًا على أهل المدينة قبل بعثة النبي الأكرم ﷺ بأنَّ النبي الموعود سوف يظهر وعلاماته كذا وكذا. ولكن ما إن وصلت دعوة النبيّ إلى المدينة وأسلم عدد من أهلها، عمدوا إلى المخالفة محتجّين بأنّ «هذا الشخص ليس هو النبيّ الموعود»[2].

علمًا بأنّ هذه «المخالفة بعد الموافقة»، تعود إلى نفس تلك

---

(١) عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ، اسْتَقْبَلَ مِنْ جَهْلِ النَّاسِ أَشَدَّ مِمَّا اسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُهَّالِ الْجَاهِلِيَّةِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى النَّاسَ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَالصُّخُورَ وَالْعِيدَانَ وَالْخُشُبَ الْمَنْحُوتَةَ، وَإِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ، أَتَى النَّاسَ وَكُلُّهُمْ يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ يَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِهِ». الغيبة للنعماني، ص٢٩٦.

(٢) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ!﴾. سورة البقرة، الآية ٨٩.

التصوّرات الخاطئة الّتي كان يحملها اليهود بالنسبة إلى النبيّ الموعود. حيث كانوا يتصوّرون بأنّ النبيّ الموعود سيكون منهم أو قريبًا منهم على أقلّ تقدير. ولم يتصوّرا بتاتًا بأنّ ظهوره سيشكّل خطرًا على منافعهم. ولعلّهم لو كانوا يحملون صورة صحيحة عن النبيّ في آخر الزمان، لأعدّوا أنفسهم قبل مجيئه حتى لمواجهته وعدائه.

وفي خصوص المهدي الموعود أيضًا، بما أنَّ نظرة البعض ممّن يدّعي الانتظار نظرة خاطئة، وتحمل تصوّرًا باطلًا حول المخلّص، لا يمكنهم متابعة الإمام بعد ظهوره. وعندما يرون الإمام عج، يعرفون أنّهم لم يكونوا منتظرين لمثل هذا الشخص على الإطلاق. وهذا ناتج عن تلك الذهنيّة الخاطئة. ولم تتولّد لهم هذه الذهنية إلّا لأنّهم لم ينظروا إلى موضوع المخلّص بنظرة علميّة.

ولو أردنا استقراء الآثار السلبيّة للنظرات العاميّة لطال البحث. ولكن واحد من الآثار المهمّة الأخرى الجديرة بالذكر، هو أنَّه لو بقيت عقيدتنا حول معاجز الظهور وإطلاق عنانها في إصلاح الأمور على مستوى النظرة العاميّة – الّتي ذُكرت خصائصها – ستصبح كفاءة الدين والمعتقدات الدينيّة عرضة للتشكيك والتساؤل. ويعني ذلك أنَّ البعض سيقول: «هل رأيتم أنَّ دين الله لا يمكن تطبيقه؟ هل رأيتم بأنَّه لم يستقم أمر أيّ أحدٍ من الأنبياء؟ ولم يستطيعوا جمع الناس تحت لواء التوحيد والإيمان بالله، وتشكيل حكومة شاملة ثابتة؟ وبالتّالي أصلح الله الأمور كلها من خلال المعجزة».

هل سيأتي الإمام عجل الله فرجه الشريف ليقول: «أيّها الإنسان! نحن قد أيسنا من إصلاحكم، ولهذا سنقوم عبر عناية معنويّة بتغيير قلوبكم؟». هل حقيقةً سيكون ذلك؟ هل أنَّ الناس الّذين تحمّلوا الكثير من العناء

والألم لتزكية أنفسهم، كانوا يعملون عبثًا؟ والحال – كما أشرنا إلى ذلك – أنَّ مسألة الظهور وإقبال الناس على حكومة الإمام ودوام هذا الإقبال، لا ينبغي أن تكون ظاهرة بعيدة عن القواعد والسنن الإلهيّة، وهذا أمر طبيعيّ جدًّا. ولو كان المقرّر أن يتحقّق هذا الإقبال ويدوم عبر تعطيل بعض القواعد والسنن الإلهيّة، لتبيّن أنَّ دين الله أساسًا لا يحمل قابليّة التطبيق على أساس نفس هذه القواعد والسنن الطبيعيّة الّتي كانت حاكمة في العالم، حتّى الآن، وبالتّالي سنثبت من الآن بأنَّ أحكام الله غير عمليّة.

علمًا بأنّه ضمن تحليل علمي لمسألة الظهور، تدخل جميع القواعد الطبيعيّة في الحياة بعين الحسبان، ومن أهمّها قطعًا هو عنصر «المعنويّة». كما أنَّ لعنصر «المعجزة» مكانته أيضًا في جانب من تلك المنظومة. ولكلّ من عنصرَيْ «النصرة الإلهيّة» و«عناية الإمام المعنويّة» مكانته الخاصّة، فلا نريد أن نرفض ذلك. ولا نريد أن نقول بأنَّ الإمام لا يتمتع بالعناية المعنويّة والأثر الإعجازي في نظرته وكلامه. فإنّ العناية المعنويّة أيضًا تدخل في عداد نفس هذه الآليّة الطبيعيّة. ولكن يجب علينا أن نستخرج نظرياتها العلميّة وأن نبيّن بشكل صحيح أنَّه مثلًا «كيف يقوم القائد الإلهي بإنقاذ المجتمع بواسطة نوره؟»، ونوضّح دور هذا النور في تلك المنظومة الجامعة لكلّ العوامل الّتي تؤدي إلى إنقاذ المجتمع جنبًا إلى جنب. لا سيّما ونحن لا ننسى بأنَّه على الرغم من حضور رسول الله ﷺ الّذي لا ندّ له ولا مثيل، وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة من بعده، لم تتحقّق تلك الحكومة النموذجية والمخلّصة، ولم تستمرّ بشكل كامل.

المودّة العاميّة

إلى جانب «النظرة العاميّة»، يمكننا التعرّض لـ«المودّة العاميّة» أيضًا. علمًا بأنّ هناك فرقًا بينهما. فقد أشرنا فيما مضى إلى بعض مصاديق النظرة العاميّة حول الانتظار وجملة من آثارها السيّئة. والمودّة العاميّة وإن كانت تتمتّع بمزيد من القيمة، إلّا أنها قد تتعرّض لبعض الأضرار والآفات الّتي لا يمكن تداركها أحيانًا.

ما هي المودّة العاميّة؟

المراد من المودّة العاميّة هو المحبة السطحيّة الّتي لا تستند إلى مبدأ، وتكون عرضة للزوال في كلّ لحظة. كما يمكننا استخدام تعبير المودّة العاميّة في المواطن الّتي تستند إلى أساس نظري باطل ومعرفة غير صحيحة. وبالطبع، فإنّ هذا الأساس الباطل وليد تلك النظرة العاميّة نفسها.

وفي رواية لأمير المؤمنين عليه السلام، قام بذمّ «المودّة العاميّة» قائلًا: «مودّة العَوامِّ تَنْقَطِعُ كانْقِطاعِ السَّحابِ، وتَنْقَشِعُ كما يَنْقَشِعُ السَّرابُ»[1]، حيث أشير في هذا الكلام الشريف، إلى أهمّ ضرر للمودّة العاميّة وهو الانقطاع.

ولكن لا ينبغي قطع النظرة الإيجابيّة إلى مثل هذه المودّة بشكل كامل، وذلك فيما لو كانت المودّة العاميّة مقتبسة من محبّة فطرية طبيعيّة، وإن كانت ابتدائيّة. حيث تبدأ محبّة الكثير من العوام ومعرفتهم لأولياء الله من هذه المودّة. ولا بدّ من إكبار العلائق الفطريّة والابتدائيّة الموجودة في أعماق المجتمع. فهي ثروات ضرورية لتكامل

---

(١) غرر الحكم، ح١١٢٩.

نفس تلك العلائق والمعتقدات، وعلامة على سلامة وصفاء سريرة الأشخاص. ولا بدّ في آن واحد من الإشادة بهذه المودّة العاميّة النقيّة والرائجة بين الكثير، بل وإشاعتها بين أهلها، ومن تعزيزها وتنميتها من خلال النظرة العلميّة. فأحيانًا تكون هذه العلائق بداية للهياج والوعي العميق، ولا ينبغي أن نضعها في جانب وأن نمرّ عليها مرور الكرام.

وأحيانًا نستهين عبر حكم خاطئ بهذه العلائق العامّة، والحال أنَّه يوجد بين العوام أناس يحملون معرفة ثاقبة وإيمانًا راسخًا يغبطهم النخب عليها. ولا ينبغي – كما هو واضح – أن نعدّ كلّ من قلّ علمه ونقصت معلوماته من العوام، وأن نُدخل علائقهم في عداد العلائق العاميّة المنقطعة.

ومن جانب آخر، لا يُتصوَّر أنّ التعرّض لأبحاث المهدويّة بصورة علميّة عقلائيّة يردّ في قبال التعامل العاطفي مع هذا الموضوع. فمن الخطأ أن نضع كلًّا من هذَيْن الموضوعَيْن في قبال الآخر. كما نجد البعض بما يحمله من نظرة ضيّقة، وإلى جانب التوصية بالتعرّض علميًّا لمسألة المهدويّة، يتهجّم على الموجة العاطفيّة للتوجه إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، وأساسًا يعدّ التوجه العاطفي للإمام أمرًا لا أصالة له ولا قيمة. في الوقت الّذي لا يمكن إخماد هذه الموجة العاطفيّة، بل وليس هذا بالشيء المطلوب أساسًا.

وإنَّ التعرّض لموضوع المخلّص بصورة علميّة وعقليّة، لا يتنافى مع التوجه العاطفي للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بل إذا استنارت العقول، اتّقدت العواطف. والمعرفة تؤدي إلى إرساء وتعزيز هذا الارتباط العاطفي، وإلى إخراجه من المرحلة العاميّة.

فلا يتصوّر أحد أنّ معرفة الإمام عجل الله فرجه الشريف بالعقل والمنطق أسمى من

البكاء. فإنّ من تكاملت معرفته بشأن الإمام ﷻ، سيبكي بدل الدموع دمًا. ولا يتصوّر أحدنا بأنّنا إن أصبحنا من العلماء، سندع البكاء، ونترك دعاء الندبة. كلّا، بل إنْ أصبحنا من العلماء، سيشتدّ اهتمامنا بقراءة دعاء الندبة، وسنعرف علامَ بكاؤنا. وهذا هو الأثر العجيب للمعرفة.

وأحيانًا نجد البعض يردّد عن جهل: «يكفي البكاء على صاحب الأمر. فقد حان وقت المعرفة». غافلين عن أنّ المعرفة إذا تكاملت، سيزداد البكاء أيضًا. ولهذا، فإنّ من كثرت معلوماته ولكن لم يشتدّ بكاؤه وحزنه وأنينه، فعليه أن يشكّ في إنسانيّته. وهذا أصل هامّ في أنّ العلم يزيد من الخشية؛[١] ولذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.[٢]

غير أنّ جزءًا من هذا الارتباط العاطفي الّذي يتولّد في البدء، ناتجٌ عن الفطرة السليمة، وجزءًا منه ناجم عن المعرفة الكليّة والبدائيّة الّتي قد يكون البعض منها سطحيًّا. والكلام في أنَّ هذه المعرفة الكليّة والبدائيّة لا بدّ من نموّها وتكاملها، ليدوم ذلك الارتباط العاطفي ويخرج من حدّه الأدنى.

بل لا بدّ من القول إنَّ هذا المستوى المتوسط للارتباط العاطفي الموجود في المجتمع مع الإمام المهدي ﷻ، ليس كما ينبغي أن يكون. والوضع الموجود أقلّ بكثير من الحدّ المطلوب والمتوقّع. وإنّ هذه الموجة المنعشة الّتي انتشرت في بلادنا من قراءة دعاء الندبة، والحمد لله، إنما هي بداية الطريق، لا نهايته. ولا يُعلم كم ابتعدنا عن

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا زَادَ عِلْمُ الرَّجُلِ زَادَ أَدَبُهُ وَتَضَاعَفَتْ خَشْيَتُهُ لِرَبِّهِ». غرر الحكم، ح٧٩١. وقال أيضًا: «سَبَبُ الْخَشْيَةِ الْعِلْمُ». المصدر نفسه، ح٧٨٧.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

نقطة الصفر. أجل، فقد اجتزنا هذه النقطة، ولسنا تحت الصفر، ولكن بيننا وبين النقطة المطلوبة بونًا شاسعًا.

فقد بدأت قراءة دعاء الندبة وازدهرت هذه المراسم، ولكن هناك فرقًا كبيرًا بين دعاء الندبة الّذي لا بدّ أن يُقرأ للإمام ﴿عجل الله فرجه﴾، والّذي يحتاج إلى محبّة شديدة جدًّا، أشير إليها في نفس الدعاء بوضوح[١]، وبين الدعاء الّذي نقرؤه. ولا بدّ من إحالة شرح هذا الفرق إلى وقتٍ آخر.

وفي الوقت ذاته، فإنّ هذا التوجّه للإمام أيضًا – وإن كان بدائيًّا – هو توجّه له معناه وقيمته الخاصّة. ونحن نكنّ بالغ الاحترام لكلّ ما يتركه الاسم المقدّس للإمام المهدي ﴿عجل الله فرجه﴾ من أثر وحلاوة في القلوب، ولكنّ اللّوم هو أن نرغب في إبقاء هذا التوجّه على نفس هذا الحدّ التمهيدي والأدنى والاكتفاء بذلك. وهنا لا بدّ أن نترقّب أضرار النزعة العاميّة.

فلو قام أحدٌ بإبقاء عواطفه الدينيّة في الحدّ التمهيدي، والحال أنَّ الظروف تقتضي تكاملها، فقد يؤدّي هذا الجمود إلى انحرافه. ومن الممكن أن ينهض مثل هذا الشخص شيئًا فشيئًا للوقوف بوجه دينه؛ لأنَّه بعد مدّة من ظهور تلك العواطف الدينيّة الأولى، سيتلمّس بدائيّتها وسطحيّتها، وبالتالي سيسعى للابتعاد عن هذه السطحيّة. فإن لم يتّجه هذا الابتعاد إلى العمق، قد يُساق إلى الحذف والمواجهة. ولذا

---

(١) «إِلَى مَتَى أَحَارُ فِيكَ يَا مَوْلَايَ وَإِلَى مَتَى وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَأُنَاغَى عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ (...) هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِى عَلَى الْقَذَى (...) مَتَى نَنْتَفِعِ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى؟». إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٨. وكذلك: مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

لا بدّ من الغور في أعماق هذه العواطف الدينيّة وإرساء هذا التوجّه البدائي الحاصل نحو الإمام ﷻ. ويجب الحرص على أن لا توقعنا هذه المودّة العاميّة في الهاوية، وترتحل عنّا في الوقت الّذي نحتاج إليها.

ومن نماذج العلائق العاميّة الّتي يمكن الإشارة إليها هو الاهتمام بلقاء الإمام ﷻ، من دون التوجه إلى مسألة الظهور وفلسفة الغيبة والانتظار. فالّذين يحملون مثل هذه العلائق العاميّة هم الّذين يتشوّقون للقاء الإمام ﷻ، ولكن من دون التوجّه إلى ظهور شمس الإمام ﷻ من خلف السحاب، ومن دون الاكتراث بالآثار والبركات الجمّة المترتّبة على الظهور. فإنّ مثل هذه العلاقة، وإن كان من الواجب حفظ حرمتها، ولكنّ السؤال هو كيف يمكن ادّعاء العشق وتمنّي اللّقاء، من دون الاعتناء بمطالب الإمام وأهدافه؟

يقول سماحة آية الله الشيخ «بهجت»:

«هل يمكن أن يكون زعيمنا ومولانا وليّ العصر ﷻ حزينًا، ونحن مسرورين؟! ويكون باكيًا لما ابتليَ به أولياؤه ونحن ضاحكين مبتهجين، وفي الوقت ذاته نعتبر أنفسنا من أتباعه؟!»[1]، «يريد أنصارًا يطلبون الإمام لا غير. فالمنتظر للفرج هو الّذي ينتظر الإمام لله وفي سبيل الله، لا لقضاء حوائجه الشخصيّة!»[2]، «إنَّ الوصول إلى الإمام واللّقاء به وحيدًا ليس بالأمر المهمّ ... كلّ منا يفكّر في حوائجه الشخصيّة، ولا نفكّر بالإمام الّذي يعمّ نفعه الجميع، والّذي هو من أهم الضروريّات!»[3].

---

(١) در محضر بهجت، ج٢، الرقم٢٦٧.

(٢) المصدر نفسه، الرقم٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه، الرقم٢٦.

نحن ننادي في دعاء الندبة:

«مَتى تَرانا وَنَراكَ، وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ تُرى؟ أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ، وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا؟»[1]

أيّ إنّني أعشق لقاءك في حال كونك إمامًا وحاكمًا على العالم، لا إنّني أتمنّى أن ألقاك في زاوية. علمًا بأنَّه لا بدّ من الاعتراف بأنَّ من حلّ في قلبه شوق اللّقاء بالإمام ولو بصورة فرديّة، ففي الأغلب سيشتاق إلى الظهور ونجاة العالم أيضًا، وهذان الأمران متلازمان. غير أنّ في مقام التبليغ للّقاء الإمام ﷻ بصورة فردية عثرات ومطبات لا بدّ من اتّقائها.

وكذلك الحال في الدعاء لصاحب الزمان:

«اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، صَلَواتُك عَلَيهِ وَعَلى آبائِهِ، فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَلِيًّا وَحَافِظًا، وَقَائِدًا وَنَاصِرًا، وَدَلِيلًا وَعَيْنًا، حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا، وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا»[2].

ففي هذا الدّعاء المشهور، لا نطلب أساسًا للقاء الإمام، بل ندعو لسلامته. ندعو أن يكون الإمام سالمًا حتّى يتحقّق فرجه ويتمتّع بحكومته. وهذه هي غاية الخلوص النابع عن العشق والمعرفة، بأن لا ينظر الإنسان إلى نفسه، ولا يفكّر إلّا في محبوبه.

وفي دعاء العهد أيضًا الّذي تستحبّ قراءته في كلّ صباح، والّذي كان يعتقد الإمام الخميني قدس سره أنّ قراءته تؤثّر في مصير الإنسان، قبل أن يطلب الإنسان اللّقاء مناديًا:

---

(١) إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٨. كذلك: مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

(٢) الكافي، ج٤، ص١٦٢.

«اَللّٰهُمَّ أَرِني الطَّلْعَةَ الرَّشيدَةَ».

يدعو قائلًا:

«اَللّٰهُمَّ إِنْ حالَ بَيني وَبَينَهُ الْمَوْتُ (...) فَأَخْرِجْني مِنْ قَبْري مُؤْتَزِرًا كفَني، شاهِرًا سَيفي، مُجَرِّدًا قَناتي»[1].

أي إنّ الأمر المهم بالنسبة إليّ هو السير في ركاب الإمام، وحكومة الإمام، وحاكميّة الحقّ. وهذا ما هو مشهود بوضوح في سائر مقاطع دعاء العهد، وكذلك في باقي الأدعية المتعلّقة بالإمام.

المودّة العشقيّة

«العشق» مفردة تطلق في الأغلب على الحبّ الشديد. وغالبًا ما تصطبغ بصبغة معنويّة عرفانيّة، أكثر من الصبغة الدنيويّة الماديّة؛ لأنّ العلائق الماديّة والدنيويّة لا تحلّق عاليًا، وإذا حلّقت سرعان ما تهبط. ولذا، حريّ بنا أن لا نستخدم هذه الكلمة في غير هذا المعنى، وأن نتجنّب استعمالها حتّى في العلاقات العاطفيّة المتداولة أيضًا.

وبغضّ النظر عن المعنى اللغوي لكلمة العشق، إذا لاحظنا مفهوم هذه الكلمة في الأدب العرفاني، لوجدناه مصطلحًا يطلق على الحبّ الشديد، وعلامته الرئيسة هي التضحية والإيثار. فإن اشتدّت المحبّة بحيث أدّت إلى الإصرار على التضحية من أجل المحبوب، هنا يتولّد العشق. ومن أفضل استعمالات هذه المفردة، هو المحبّة الشديدة للإمام المهدي أرواحنا فداه.

وبغضّ الطرف عن أنّ محبّة الإمام المهدي لا يمكن أن تكون «قليلة»،

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء العهد. كذلك: المصباح للكفعمي، ص٥٥٠.

وكلّ من تعلّق بالإمام قلبيًّا وعاطفيًّا ستشتدّ محبّته إليه شيئًا فشيئًا، فنحن أساسًا بحاجة إلى من نودّه عن عشق، ونهب من خلاله لحياتنا الروح والحيويّة. ولا يمكن أن تتعلّق هذه المحبّة الشديدة إلّا بالإمام المهدي ﷺ، كما يمكن لنا أن لا نتعلّق به. أي لا يمكن أن تصل محبّة غيره إلى هذا المستوى، ولا يمكن أن تقلّ محبّته عن هذا المستوى. ولو لم تصل محبتنا له إلى هذا المستوى، فلنعلم أنّ الإشكال في أنفسنا، وإلّا فإن محبوبيّته أعلى من أن توصف.

وبما أنّ المحبّة الشديدة لا تحصل إلا من خلال المعرفة والعمل الصالح والإيمان الراسخ، فإنَّ أفضل طريق لردع أضرار المودّة العاميّة، هو المودّة العشقيّة للإمام. ومن هنا، فإنّ السبيل الوحيد للنجاة من النزعة العاميّة العاطفيّة هو مودّة الإمام ﷺ النابعة عن عشق؛ لأنَّ من يعتزم على أن يكون عاشقًا ويتوقّع من نفسه أن تكون محبّته للإمام نابعة عن عشق، لا سبيل له سوى تعزيز أسس هذا العشق والحصول على العلم والعمل الكافي لهذا الشأن.

فإنّ من أهم معالم المودّة العاميّة هو كونها سطحيّة وقليلة، وهو الثمرة الطبيعية لفقدان المعرفة والتقوى. وللابتعاد عن أضرار المودّة العاميّة، لا بدّ من تعزيزها وتقويتها، حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾.[١]

أشرنا حتّى الآن إلى ضرورتَيْن وفائدتَيْن لمودّة الإمام ﷺ العشقيّة. إحداهما حاجتنا إلى هذه المحبّة الشديدة لبثّ الروح والحيويّة في حياتنا، والأخرى ثمرة المودّة العشقيّة بصفتها أهم طريق لردع أضرار المودّة العاميّة والسبيل الوحيد للنجاة من النزعة العاميّة فيما يرتبط بالإمام.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

وقبل الإشارة إلى بعض الفوائد المهمّة الأخرى، حريّ بنا أن نتعرّض أكثر إلى الضرورة الأولى وهي حاجتنا إلى المودّة العشقيّة للإمام (عجّل الله فرجه الشريف).

نحن بحاجة إلى العشق في حياتنا، إلى عشق يصنع لنا محرّكًا قويًّا في جميع مراحل حياتنا. على ضوئه ندرس، ونعمل، ونشكّل عائلة و... إلخ. ولو لم يكن مثل هذا العشق ظهيرًا للدافع في أعمالنا، فسرعان ما سينتابنا اليأس والقنوط، ونقع عرضة للمخاطر والأضرار المتفشية في الحياة؛ كالتعدّي على حقوق الآخرين، والتمرّد على الأوامر الإلهيّة، فتسوء أخلاقنا، ونفقد توازننا.

فمن كان يدرس للحصول على شهادة دراسيّة، ومن كان يدرس حبًّا للمال، وحبًّا للجاه، وحبًّا للدنيا و...إلخ، سيُكدّر ويسودّ قلبه بدلًا من أن يتلألأ نورًا بالدراسة. وهذا هو حصيلة الكثير من الروايات وكلمات علماء الأخلاق.[1] فلا بدّ أن ندرس ونعيش بعشقٍ يمكنه أن يحلّ محلّ هذه الدوافع الرائجة والمتداولة.

---

(١) نشير إلى بعض النماذج: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ». تهذيب الأحكام، ج١، ص٨٣. وقال أيضًا: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُقْبِلَ بِوُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ». عيون أخبار الرضا، ج١، ص٣٠٧. وفي حديث آخر: «...أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ لِيُعَظِّمُوهُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». تحف العقول، ص٤٣. وقال أيضًا: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلَّهِ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا ازْدَادَ فِي نَفْسِهِ ذُلًّا وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا وَلِلَّهِ خَوْفًا وَفِي الدِّينِ اجْتِهَادًا وَذَلِكَ الَّذي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فَلْيَتَعَلَّمْهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُظْوَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا ازْدَادَ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةً وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً وَبِاللَّهِ اغْتِرَارًا وَمِنَ الدِّينِ جَفَاءً فَذَلِكَ الَّذي لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فَلْيَكُفَّ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّدَامَةِ وَالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ميزان الحكمة، ح١٣٦٩؛ روضة الواعظين، ج١، ص١١.

وقال أمير المؤمنين (ع): «خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا بَدَا لَكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُ لِخِصَالٍ أَرْبَعٍ: لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ تُرَاءُوا بِهِ فِي الْمَجَالِسِ أَوْ تَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ لِلتَّرَؤُّسِ» الإرشاد للمفيد، ج١، ص٢٢٩.

ومن جانب آخر، فإنّنا بحاجة إلى سلوة، وبحاجة إلى أن نكون فرحين. وأفضل أنواع الفرح والتسلية هو أن نعشق أحدًا؛ بحيث يملأ هذا العشق كلّ كياننا ويُحرق قلوبنا. فمن لم تُحرق قلبه حرارة العشق والمحبّة، سيحترق بالإدمان على المخدرات. ومن لم يهنأ بشراب الإيمان والمحبّة، سيلجأ إلى شراب العنب[1]. فما هو الشيء الّذي يريد إحراق وجودك؟ وما هو الشيء الّذي يريد تنشيط طاقتك الشبابيّة؟

نحن لسنا بحمقى حتّى نعشق أحدًا بهذا المستوى بلا سبب. ولا تنقصنا المحبّة حتى نغترّ بهذه العلائق الضئيلة ونتصوّرها كبيرة. إذًا، لا يُكتسب العشق بسهولة، ولكن من المهمّ والضروري للإنسان أن يكون عاشقًا. فإنّ الناس يشاهدون أفلام الحبّ والغرام أملًا للوصول إلى هذه العلائق العشقيّة، وتراهم دومًا ما يتغنّون بأغاني الحبّ حسرة على العشق الّذي لم يصلوا إليه.

ومن الواضح أنّ من أهمّ الطرق للوصول إلى العشق، هو العثور على معشوق يأخذ بمجامع القلوب، ويكون أهلًا لعشقنا. ولا يكون قادرًا على حفظ هذا العشق فحسب، بل يستطيع أن يزيده حرارةً لحظةً بعد أخرى. وقد وضع الله طريقًا للوصول إل العشق، ومهّد سبيلًا لسهولة اكتسابه؛ حيث جعل في كلّ زمان إنسانًا عظيمًا باسم «الإمام»، ليتأتّى عشقه وحبّه، وهذه من أهم خصائص الإمام.

والإمام الخاتم الّذي نعيش عصر غيبته أيضًا، غارق بهذه الخصيصة. فالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف - كما يظهر من إشارات وكلمات أهل البيت

---

(١) يقصد شرب الخمر.

عليهم السلام أنفسهم – واحد من أكثر أولياء الله محبوبيّة.[١] ومن الطبيعيّ أنّ من تحلّ محبّة مثل هذا الإمام في قلبه، سيترنّم بأروع نغمات الحب والعشق.

ولو جمعتم كل رسائل وأغاني الحبّ في العالم، وجمعتم كلّ ما صبّه العشّاق، معبّرين عن عشقهم لمعشوقهم في قالب رسالة أو أغنية، وأمعنتم النظر في مضامينها العشقيّة، ثمّ اقتطفتم منها أروعها، وقارنتموها بمضامين دعاء الندبة، لوجدتم أنَّ أعلى مضامينها أيضًا لا تقُاس إطلاقًا بكلمات الحبّ والعشق في هذا الدعاء. فهل يمكن لأحدٍ أن يعشق شخصًا بهذا المستوى، كما يمكن لأحد أن يعشق صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف؟

ومن لم يحصل على مثل هذا العشق للإمام، فعليه أن يلوم نفسه. ولا يمكننا أن نكون عاشقين عبر لقلقة اللّسان والادّعاء الواهي، بل لا بدّ أن نصل إلى مرتبة نقول لإمام زماننا عجل الله فرجه الشريف من سويداء القلب: «هجرك دون هجر الناس لا يسعني، وفقدك قد أحرقني»، فلو لم نكن صادقين في مقالنا، ستقول الملائكة في جوابنا: «إنّك غير صادق، وسواء كان الإمام حاضرًا أم غائبًا، فإنّك ماضٍ في حياتك، مُشتّت القلب، وقد صنعت لنفسك ما يُلهيك عنه؛ بحيث لا يصل الدور إليه، فضلًا عن أن تحبس نفسك عليه».

---

(١) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «...فَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتي أَهْلِ بَيتي يُحِبُّهُ ساكِنُ الأَرْضِ وَساكِنُ السَّمَاءِ». معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٨٤؛ شرح إحقاق الحقّ للمرعشي النجفي، ج١٣، ص١٥٢.
وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا في حديث المعراج: «...فَتَقَدَّمْتُ أَمَامِي وَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَ...وَالْحُجَّةُ الْقَائِمُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ فِي وَسَطِهِمْ. فَقُلْتُ: يَا رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ وَهَذَا الْقَائِمُ يُحِلُّ حَلَالِي وَيُحَرِّمُ حَرَامِي وَيَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي، يَا مُحَمَّدُ أَحْبِبْهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ». الغيبة للنعماني، ص٩٣.

وإنّ من أهم فوائد وضروريّات هذا العشق، هي أن تقوم لنشر الدين بعد بيان بُعده المنطقيّ والعقلانيّ، بإظهار ما أوقده الدين من العشق في قلبك للآخرين، ليرى الجميع كيف استطاع الدين الّذي اعتنقته أن يملأ قلبك حبًّا لهم، وإلى أيّ حدّ جعلك تلتذّ بدينك، وتلتذّ بصلاتك وعبادتك وولايتك، واليوم تريد دعوة الآخرين إلى هذا الدين نفسه.

والناس يسألونك دون كلام: إن كنت تعرف إمام زمانك وتحبّه، فكم استطاع مولاك أن يُسخّر وجودك؟ ما هو أثر الولاية الّتي تتحدث عنها فيك؟ كم استطاعت أن تميّز حياتك عن الآخرين؟ كم وهبت لك من النشاط والطاقة والطمأنينة في حياتك؟ فإن لم أكن - أنا الّذي أدّعي الانتظار - أملك جوابًا جديرًا عن هذه الأسئلة، سوف لا يسعني أن أكون مبلّغًا جيّدًا للإمام ﷻ، بل سيكون وجودي وادّعائي مضادًّا للتبليغ لوجوده المقدّس.

ومن الآثار الأخرى لتوطيد علاقتنا بالإمام، بالاستناد إلى نفس تلك الرواية الّتي تشير إلى انقطاع مودّة العوام[١]، هو أنّ الإمام ﷻ يتقبّلنا ويختارنا أنصارًا له؛ لأنَّه يرى محبّتنا له مضمونة ثابتة. وليس من المعلوم أن يختار لنصرته من تكون محبّته متزلزلة.

إذن، لا يسعنا أن نستهين بهذه المودّة، ولا أن نحتمل قلّتها. فإنّ المودّة النابعة عن عشق، تمثّل عصّارة المعرفة والكمال المعنوي للمنتظِر. علمًا بأنَّ المنتظِر، وإلى جانب عشقه للإمام ﷻ، يموج في قلبه حب شديد لـ«الفرج» أيضًا، ولا بدّ من التعرّض لهذا الأمر في

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَودَّةُ العَوامِّ تَنْقَطِعُ كانْقِطاعِ السَّحابِ، وتَنْقَشِعُ كما يَنْقَشِعُ السَّرابُ». غرر الحكم، ح١١٢٩.

محله. وإنّ لهذا الحب والشوق للظهور قواعد وأبعادًا خاصة سنتناولها في الفصول التالية.

فإذا كان الحضور في هذه المنزلة العامّة بدائيًّا وإجباريًّا وسهلًا، فإنّ الحضور في تلك المنزلة الخاصة اختياريٌ وصعبٌ؛ ولصُلَحاء العالم من أجل الوصول إلى تلك المنزلة الرفيعة تضرّع وابتهال كثير.

الفصل الثاني:

انتظار العلماء

- المقدّمة
  - إدراك الشعور بالانتظار
  - أنواع الانتظار
- اكتشاف عناصر الانتظار
  1. الاعتراض على الوضع الموجود
  2. معرفة الوضع المنشود
  3. الاعتقاد والأمل بتحقّق الوضع المنشود
  4. الشوق إلى الوضع المنشود
  5. العمل من أجل تحقّق الوضع المنشود

المقدّمة

إدراك الشعور بالانتظار

لقد وُلدنا على الإدراك والفكر، وروحنا متضمنة لما هو موسوم بـ«العقل». والشيء الّذي يستنير بنور المعرفة يبدو للعيان بشكل أوضح. وإنّ معرفة الحسنات تؤدي إلى مزيد من السهولة لاكتسابها، ومن الحفظ لاستدامتها. ومعرفة السيّئات أيضًا تسبّب سهولة مكافحتها. وبواسطة نور العلم، يمكننا معرفة ما في سرائرنا وإنماءه بشكل أمثل.

فالتفكّر هو أسلوب من أساليب اكتساب العلم، وله طرق مختلفة. بإمكان التفكّر أن يقوم بتنظير التجارب وتبديل الشعور الّذي نشاهده في داخلنا إلى إدراك جديد. كما أنّ أيّ إدراك بإمكانه أن يؤول إلى ولادة شعورٍ جديد في نفوسنا. وبعبارة أخرى، يتسنى لنا عبر التفكّر الإلمام بشعور ما، ويتأتّى لهذا الإلمام أيضًا أن يوجِد فينا شعورًا جديدًا. وعلى أيّ حال، علينا السعي لإدراك الشعور بالانتظار في أنفسنا، وإنماء إدراكنا بهذا الشعور أيضًا.

وإنّ من أساليب إدراك المفاهيم الإنسانيّة وفهمها بشكل أمثل، هو تحليلها للوصول إلى العناصر الرئيسة المكوِّنة لها. نظير ما يتمّ إنجازه في الكيمياء لمعرفة المواد. وإنّ العناصر الرئيسة لمفهوم ما، تمثّل عوامل تكوينه أيضًا، وأحيانًا بفقدان أيّ واحدة من تلك العوامل يتعذّر تحقّق ذلك المفهوم أو يُصاب بنقصان فادح. وبإمكان هذا الأسلوب أن يدلّنا على طرق تحقّق أو زوال المفهوم. ومن هنا، إذا حدّدنا العناصر المكوّنة لظاهرة ما في النفس الإنسانيّة، فقد حصلنا على تعريف دقيق نسبيًّا حيالها.

وإنّ الشعور بـ«الانتظار» أيضًا يُعدّ من تلك المفاهيم الإنسانيّة الّتي يمكن تجربتها في نفوس جميع الناس، وإدراكه ليس بالأمر العسير.

ويتأطّر بحالات ودرجات مختلفة بحسب ما يُضاف إليه، وبحسب ما نريد انتظاره. والشعور بالانتظار بنفسه ينتظر أن ندركه بشكل أمثل، ونتعرّف على المزيد من قِيَمه وآثاره، ونقوم بإكمال هذه المعرفة.

ومن أجل إدراك مفهوم الانتظار بشكل أمثل، يمكن التعرّف على العناصر المكوّنة له، واكتساب تعريف أدقّ له عبر هذا المنهج. وكلّ منتظر يمكنه من خلال التدبّر في انتظاره أن يعرف العوامل الّتي أوجدت فيه حالة الانتظار، أو الحالات والخصائص المكوّنة لانتظاره. تلك الخصائص الّتي أينما اجتمعت جنبًا إلى جنب، ستولّد الشعور بالانتظار في الإنسان.

وإن حلّ انتظار ذلك الموعود - الّذي سيغيّر العالم - في قلب أحد ما، فسيقلبه لا محالة، وسيعرض فيه قوّة الانتظار الّتي ليس لها مثيل. فإنّ انتظار الفرج يهب للمنتظر طاقة فائقة، ويغيّر رؤيته الكونيّة. علمًا بأنّ رؤية الإنسان الكونيّة في بعض الأحيان لا بدّ أن تتغيّر في بادئ الأمر ليحصل ذلك الانتظار.

وعلى أيّ حال، لا ينبغي أن نمرّ على مفهوم الانتظار ومصداقه المهمّ، وهو انتظار الموعود، مرور الكرام. ولا يمكننا عدم الاكتراث بفقدان الشعور بالانتظار في نفوسنا وفي أفراد المجتمع؛ لأنّ فقدان انتظار الموعود يؤدي إلى ركود الروح وخمودها، حتّى أنَّ رؤية الفرج بعيدًا تسبّب قساوة القلب كما ورد في كلام المعصوم.(١)

---

(١) عن علي بن يقطين، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «الشِّيعَةُ تُرَبَّى بِالأَمَانِيِّ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ»؛ أي أنّ الشيعة تتمنّى في كل لحظة رؤية مولاها وتقضي عمرها بالتمني. وفي تتمة الرواية يقول يقطين لابنه علي: «مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ وَقِيلَ لَكُمْ فَلَمْ يَكُن؟» أي كيف أنَّ وعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تحقّق في وصول بني العباس إلى الحكم، ولم يتحقق في فرج آل محمد؟ فأجابه علي بن يقطين: «... وإنَّ أَمْرَنَا لَمْ يَحْضُرْ فَعُلِّلْنَا بِالْأَمَانِيِّ، وَلَوْ قِيلَ لَنَا إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَى مِائَتَيْ سَنَةٍ أَوْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ لَقَسَتِ الْقُلُوبُ وَلَرَجَعَتْ عَامَّةُ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ قَالُوا مَا أَسْرَعَهُ وَمَا أَقْرَبَهُ تَأَلُّفًا لِقُلُوبِ النَّاسِ وَتَقْرِيبًا لِلْفَرَجِ» الكافي، ج١، ص٣٦٩؛ الغيبة للنعماني، ص٢٩٥. وشبيه بذلك ما روي عن علي بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السلام أيضًا. علل الشرائع للصدوق، ج٢، ص٥٨١.

وبالتأكيد، فإنّ الانتظار الّذي اعتبره رسول الله «أفضل أعمال أمّته»[1]، لا يمكن أن يكون مسألة فرعيّة تافهة قليلة الأهميّة، أو أن يكون له أثرٌ ضئيل في تكاملنا روحيًّا ومعنويًّا. وإنّ لآثار الانتظار النفسيّة أهميّة بالغة؛ بحيث تزيد من قيمة تعريف مفهوم الانتظار وضرورة اكتشاف عناصره.

أنواع الانتظار

قبل تحليل الانتظار إلى العناصر المكوّنة له، حريّ بنا أن نلقي نظرة عابرة لأنواع الانتظار؛ حتّى يتّضح لأيّ نوعٍ من أنواع الانتظار نريد التعرّض. فإنّ الانتظار بإمكانه أن يكون لأيّ حادث في المستقبل. غير أنّ انتظار «الفرج» يعدّ واحدًا من أهمّ أنواع الانتظار، وفي الوقت ذاته من أكثرها شيوعًا. ويعدّ انتظار «الموعود» أيضًا من المصاديق البارزة لانتظار الفرج. وإنّ الكثير من أنوع الانتظار يدخل في عداد انتظار الفرج؛ فإنّ انتظار حلول وقت لقاء أو عمل مهمّ، أو انتظار سماع جواب مطلوب أو رؤية شخص محبوب، كلّها تتأطّر بإطار انتظار حلّ عقدة من العقد، وتعدّ من الفرج وتنضوي تحت منظومة انتظار الفرج.

---

(١) عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٤. وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ» كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٨٧. وفي كتاب للإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ. وَلَا تَزَالُ شِيعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِيَ الّذي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا فَاصْبِرْ ... وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ شِيعَتِنَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ» المناقب لابن شهرآشوب، ج٤، ص٤٢٥.
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انْتَظِرُوا الْفَرَجَ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ انْتِظَارُ الْفَرَجِ». الخصال للشيخ الصدوق، ج٢، ص٦١٦.

وإنّ كلّ من يلتمس الدعاء لحلّ المشاكل ويترقّب إزالة العقبات والأزمات، ويأمل بالمستقبل، يدخل في عداد المنتظرين للفرج. وإن كان هناك فرق كبير بين أنواع الانتظار هذه: فبين منتظرٍ لفرج العالم بأسره، ومنتظرٍ لفرجه الشخصيّ، وبين منتظرٍ لحلّ المشاكل بأجمعها، ومؤمّلٍ لحلّ عدد منها.

وفي بعض الأحيان أيضًا، قد نترقّب مجيء وضع مرفوض غير مطلوب. وفي هذه الحالة، نكون «قلقين» أكثر من كوننا «منتظرين». وكلمة الانتظار، وإن كان بالإمكان استعمالها في مثل هذه الحالة، ولكنّه أمر غير مستحسن؛ لأنّ الشعور بالانتظار لا بدّ وأن يواكبه نوع من الشوق أيضًا.

وعلى أيّ حال، فإنّ الانتظار الّذي نريد التحدّث عنه هنا، هو انتظار «فرج الموعود» الّذي وُعدت به الأمم. ومرادنا من أيّ انتظار نتعرّض إليه هو انتظار «تحقّق ذلك الوضع الموعود» على يد المهديّ الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف. علمًا بأنّ لهذا الانتظار نطاقًا واسعًا، وينضوي تحته الكثير من أنواع الانتظار.

اكتشاف عناصر الانتظار

يتأتّى لجميع الناس أن يجرّبوا في أنفسهم «الشعور بالانتظار» بسهولة. فإنّ إدراك هذا الشعور ليس بالأمر العسير. غير أنّ حالات ودرجات هذا الانتظار تختلف بالنظر إلى الشيء الّذي ننتظره.

ومن أجل إدراك مفهوم الانتظار بشكل أمثل، يمكن معرفة العناصر المكوّنة له، واكتساب تعريف أدقّ منه عبر هذا المنهج. وكلّ منتظر يمكنه من خلال التدبّر في انتظاره أن يعرف ما هي العوامل الّتي

اجتمعت جنبًا إلى جنب، وولدّت فيه حالة الانتظار. وفي تتمّة هذا الفصل، سوف نتصدّى لتحليل مفهوم الانتظار ومعرفة عناصره، ليتسنّى لنا على ضوء نتائج هذه الدراسة، الوصول إلى تعريفٍ دقيق وعلميّ عن الانتظار.

١. الاعتراض على الوضع الموجود

إنّ الاعتراض على الوضع الموجود يعدّ مقدّمة لظهور الشعور بانتظار الفرج. فمن كان راضيًا بالوضع الموجود، لا يمكنه انتظار وضع آخر أفضل منه. وهذا الاعتراض، وإن كان يعدّ من مقدّمات الانتظار الخارجيّة لا الداخليّة، ولكنّنا أدرجناه في باكورة عناصر الانتظار بسبب دوره الهامّ والحيويّ في نشوء حالة الانتظار.

فعلى الإنسان أن يعترض على الوضع الموجود، وإلّا فلا يمكنه أن يكون منتظرًا. والاعتراض هذا بما فيه من مراحل مختلفة من النفور ممّا هو موجود، إلى الولع الشديد بما هو ليس بموجود - ولا بدّ من وجوده - يمثل العنصر الأوّل للانتظار.

كما أنَّ عدم القناعة بما نملك، يبعث فينا الحرص للوصول إلى ما لا نملك؛ والحرص والجهد هذا لـ«الامتلاك» الّذي غالبًا ما يقترن بالأمل لـ«الحصول»، يعني بداية ظهور الانتظار في روح الإنسان الجموحة.

قد يُقال إنَّ الاعتراض على الوضع الموجود لا يتيّسر إلّا عبر مشاهدة «الوضع المنشود» ثمّ مقارنته بالوضع الموجود. هذا كلام صحيح، ولكن قد يتسنّى الاعتراض على الوضع السيّئ الموجود أيضًا من دون مشاهدة أو تصوّر الوضع المنشود؛ لأنّ روح الإنسان في حال اتّزانها تستطيع إدراك سوء الأوضاع والاستياء منها حتّى من دون مقارنة.

ودرجات الاعتراض أيضًا متفاوتة، وبطبيعة الحال كلّما قلّت شدّة الاعتراض، كلّما ضعفت قوّة الانتظار في الإنسان؛ لأنّ الانتظار يُطلق على حالة مقرونة بالشدّة والحدّة. وبالإمكان أن يشتدّ الاعتراض بحدٍّ يؤول إلى طلب الإصلاح والتغيير، أو أن يضعف بحدٍّ لا يؤدي إلّا إلى طلب التغييرات الجزئيّة. ومن الطبيعي أنّ أيًّا من هاتَيْن الصورتَيْن، تبعث على حالة خاصة من الانتظار. ولو كان الإشكال في أساس الوضع الموجود، وكان أكبر وأعمق من أن يرتفع بواسطة الإصلاحات السطحيّة والمختصرة، سيكون «الاعتراض» أيضًا أشدّ، وسيضفي مزيدًا من الشدة على «الانتظار» أيضًا.

ومن جانب آخر، كلّما كان مبنى هذا الاعتراض أكثر منطقيّة عند الإنسان، كان انتظاره أيضًا أكثر استدامة. فإنّ الاعتراضات الناشئة عن المصالح السريعة الزوال أو الناجمة عن الأهواء النفسانيّة، لا تدوم وتتحطّم عبر الاصطدام بأدنى مانع. ودومًا ما يمكن المساومة مع أمثال هؤلاء المعترضين. والمعترض الّذي لم يستند اعتراضه إلى العقل، فهو في حالة شك وتردّد على الدوام، لا يسعى في سبيل اعتراضه ولا يقاوم من أجله.

والاعتراض لا يظهر عند الجميع بصورةٍ واحدة. فالبعض يمتلك نفسًا قانعة، وأساسًا ليس من أهل الاعتراض. هذا فضلًا عن أنّ روح القناعة هذه لا تعدّ فضيلة على الدوام[١]. ولكن على أيّ حال، فإنّ

---

(١) إنَّ البعض يتصفون من الناحية الجينية والوراثية بالهدوء أو الانطواء، أو أنّ البعض يسكتون ولا يتكلّمون لخوفهم. فإنّ هدوءهم هذا ليس ناجمًا من الصبر والتحمّل، أو الحزم وبعد النظر، حتى يعدّ فضيلة. ولذا فقد يلجأ مثل هذا الشخص إلى الصمت وعدم الاعتراض حتى في المواطن الّتي تحتاج إلى الاعتراض وعدم الاستقرار، كالظلم بحق طفل بريء.

روح الاعتراض عند أمثال هؤلاء أضعف من غيرهم. وفي هذه الصورة بالإمكان أن تبدأ ظاهرة الانتظار فيهم من الميل إلى الوضع الأمثل. وإن قَوِيَ هذا الميل، فسيؤول بشكل طبيعي إلى الاعتراض. كما أنّ عدم الوصال أيضًا، يولّد حالة الاعتراض في نفس كلّ عاشق قانع. وقد يشتدّ الاعتراض، لا لتدهور الوضع الموجود، بل لازدياد الشوق إلى الوضع المنشود. وفي هذا الخضمّ، يزداد لهيب الانتظار اتّقادًا في روح الإنسان، والولعُ للدعوة إلى الوضع المنشود، يزرع في قلبه النفور من الوضع الموجود.

والإنسان الّذي لا يعترض ولا يخالف الوضع الموجود، إنّما هو محافظ أكثر من كونه منتظرًا؛ ولربّما تجده يرحّب بعدم تغيير أوضاع العالم. فإنّ الاعتراض وعدم الرضا بالوضع الموجود هو الّذي ينشّط فكر الإنسان للوصول إلى الوضع المنشود، ويزرع في قلبه بذرة الشعور بالانتظار. ولهذا الاعتراض أثر بالغ في حركة الإنسان وحياته، وفقدانه يستجلب له الركود والجمود.

وإنّ لأصل وجود الاعتراض على المزلّات والانحرافات أهمية بالغة، ولا فرق بين أن يكون هذا الاعتراض متوجّهًا إلى شخصٍ معيّن أو منصبًّا على وضع سيّئ ليس إلّا. فالمهمّ أن يكون الإنسان معترضًا، سواء وجد لاعتراضه هذا مقصّرًا، أم كان ذلك متفرعًا من حالة طبيعيّة.

وقبل أن يكون الاعتراض حقًّا طبيعيًّا للإنسان، فهو طبيعة سرت بحقٍّ في فطرة الإنسان. وإنّ الحزن الجميل الناتج عن الاعتراض المقدّس الّذي أعطى الله حقّه للإنسان، منشأ لعروج الروح إلى المبدأ الأعلى.

إنّ الاعتراض وليد روح الإنسان الطالبة للكمال في هذه الدنيا. فلا

يمكن أن تودع أمنية القرب في فطرة الإنسان، وفي الوقت ذاته لا يشعر هذا الإنسان في قرارة نفسه بالجزع والرغبة عن النقائص والعيوب أو حتى الفرار والنفور منها. فإنّ الانتظار علامة العقلانيّة. وفي هذا الخضمّ، تُطرح الأبعاد العرفانيّة للانتظار شيئًا فشيئًا، وسنخوض هذا البحث في فصل مستقلّ.

وبإمكان الاعتراض أن يشمل حقًّا مسلوبًا، أو محبوبًا مستورًا. فحيثما يُسلب حقٌّ من الإنسان، يستطيع أن يصرخ وينتحب، وحيثما يُحجب محبوب عنه، يستطيع أن يُجري دموعه ويحترق بهدوء كالشمع حتى الزوال والاضمحلال. فالاعتراض - النابع عن عشق - على الهجران، سيرةٌ عرفانيّةٌ لجميع المنتظرين للوصال.

خصائص الاعتراض في انتظار الموعود

إذا ما أمعنّا النظر حول عنصر الاعتراض فيما يخصّ انتظار فرج المهدي الموعود ﷻ، لوصلنا إلى نقاط جديدة. والنقطة المهمّة في ذلك هو جواز هذا الاعتراض. أي على الرغم من أنّ الغيبة تقديرٌ إلهي، ولكن يمكننا الاعتراض عليها. ولهذا الدليل علّمونا في دعاء الافتتاح، وكذا في الدعاء الوارد في زمن الغيبة أن نشكو إلى الله غيبة وليّنا، ونعترض على ذلك: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا»، وقرنوا هذا الاعتراض باعتراض آخر: «وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدَدِنَا»[1] للتصعيد من شدّته.

---

(١) الدعاء الوارد في زمن الغيبة عن الإمام الحجة عليه السلام نقلاً عن سفيره الأول؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٥١٤. وكذلك مقطع من دعاء الافتتاح: مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان المبارك، وتهذيب الأحكام، ج٣، ص١١٠. وأيضًا في الدعاء الوارد في قنوت الركعة الأخيرة من صلاة الليل (صلاة الوتر): الأمالي للشيخ الطوسي، ص٤٣٢.

وقد تكون واحدة من حِكَم هذه الغيبة، هي تبلور هذا الاعتراض المقدّس ليتأهّل الناس، ولا سيّما المسلمون والشيعة لإدراك حضوره وظهوره. كما أنّ من حقّنا الحياة في ظلّ نور إمام معصوم؛ الحقّ الّذي سُلب منّا بسبب ظلم الظالمين عبر التاريخ. ومن الفضل أن نرغب في الحضور إلى جانبه والاعتراض على غيبته. وتارة نجد أئمتنا - رغم أنّهم كانوا أئمّة، ولم يكونوا مضطرّين كما هو حالنا - يندبون ويبكون على غيبة الوصيّ الخاتم بحزن وحرقة قلب، ممّا يثير دهشة الحاضرين وحيرتهم.

فعلى سبيل المثال، يقول الإمام الصادق عليه السلام في مناجاة له مع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وهو لم يولد بعد، بحزن واكتئاب: «سَيِّدِي غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي»[1].

وهذا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام يتأوّه شوقًا لرؤية المهدي عجل الله فرجه الشريف، وذلك عندما سأله رجل عنه، فبيّن له صفاته، ثمّ أومأ بيده إلى صدره الشريف قائلًا: «آهٍ، شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِ»[2].

والاعتراض على الغيبة، يتبعه انتظار الظهور. وكلّما كان هذا

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٣٥: «عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَالْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو بَصِيرٍ وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ عَلَى مَوْلَانَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام. فَرَأَيْنَاهُ جَالِسًا عَلَى التُّرَابِ وَعَلَيْهِ مِسْحٌ خَيْبَرِيٌّ مُطَوَّقٌ بِلَا جَيْبٍ، مُقَصَّرُ الْكُمَّيْنِ، وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءَ الْوَالِهِ الثَّكْلَى، ذَاتَ الْكَبِدِ الْحَرَّى، قَدْ نَالَ الْحُزْنُ مِنْ وَجْنَتَيْهِ، وَشَاعَ التَّغَيُّرُ فِي عَارِضَيْهِ وَأَبْلَى الدُّمُوعُ مَحْجِرَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيِّدِي غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي وَضَيَّقَتْ عَلَيَّ مِهَادِي وَأَسَرَتْ مِنِّي رَاحَةَ فُؤَادِي، سَيِّدِي غَيْبَتُكَ أَوْصَلَتْ مُصَابِي بِفَجَائِعِ الْأَبَدِ وَفَقْدُ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ يُفْنِي الْجَمْعَ وَالْعَدَدَ...».

(٢) «...ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صِفَةِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام فَقَالَ: أَوْسَعُكُمْ كَهْفًا وَأَكْثَرُكُمْ عِلْمًا وَأَوْصَلُكُمْ رَحِمًا ... هَاهْ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِ». الغيبة للنعماني، ص٢١٢.

الاعتراض أكثر عمقًا، كان ذلك الانتظار أكثر دقّة، وقلب المنتظر أكثر رقّة. ودعاء الندبة زاخر بالاعتراض على الأوضاع السيّئة الّتي نعيشها. حتّى أنّه يشير إلى قتل الأنبياء وأولاد الأنبياء، ويصرّح بقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء. وفي اعتراضه على شهادة الإمام الحسين عليه السلام أيضًا، لم يستخدم كلمة «الشهادة» الّتي تشير إلى الجانب الإيجابي من واقعة كربلاء، وإنّما استخدم كلمة «المقتول» مناديًا الطالب بدمه: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءَ؟»[1].

ولا بدّ من الرجوع إلى فهرس اعتراضات دعاء الندبة وزرعها في القلب بأسرها. ولا بدّ من غرس الاعتراض على آثار غيبة الإمام في القلوب وسقيها بدموع العين، ليتأتّى جني ثمار الانتظار قدر المستطاع. وإذا ما نظرنا إلى اعتراضات فاطمة الزهراء عليها السلام بين بكائها على فراق النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لتساءلنا بحيرة: مِمَّ شكواها؟ من انقطاع الوحي قائلة بلسان حالها: «أبتاه! لقد انقطع برحيلك الوحي وامتنعت الآيات القرآنيّة عن النزول»، أو من فقدان معلّم الوحي الكبير: «أين معلّم كتاب الله ومبيّن وحيه؟»[2].

وكم له من الأهميّة والقيمة أن يصل الإنسان إلى هذا المقام، بأن يعترض حاليًا على غيبة مفسّر القرآن ومحيي معالم الدين، ليكون لانتظاره معنى، ويدخل في زمرة المنتظرين الحقيقيّين. فعندما نقول في دعاء الندبة: «أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟»[3]، لا بد من القول: «أين من

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وأيضًا: إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، ص٢٩٧.

(٢) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ابنته فاطمة عليها السلام: «فَلاَ تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً بَاكِيَةً؛ تَتَذَكَّرُ انْقِطَاعَ الْوَحْيِ عَنْ بَيْتِهَا مَرَّةً، وَتَتَذَكَّرُ فِرَاقِي أُخْرَى» الأمالي للصدوق، ص١١٢.

(٣) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وكذلك إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٧.

هو أهل لمثل هذا التمني؟»، ولا نقول: كيف يمكننا أن نكون «منتظرين» حقيقيّين؟ بل لنقل: كيف يمكننا أن نكون «معترضين» حقيقيّين؟

فلا بدّ من إحياء الاعتراض في القلب من أجل إيجاد انتظار الفرج، ولا بدّ أيضًا من البحث عن مزيد من الأدلّة لتعزيز هذا الاعتراض. فالراضون بالوضع الموجود الّذي يعيشونه من دون حضور الإمام، أو الّذين لم يتجاوز اعتراضهم متطلباتهم الشخصيّة الضئيلة، لا يُعدّون من المنتظرين للموعود بلا ريب. ولا يقتصر عدم اعتراض هؤلاء على أنّ الناس لا يعرفون الله، أو أنّهم رازحون تحت وطأة الطواغيت، بل إنّهم لا يعترضون حتّى على حرمانهم من مواهب العالم اللّامتناهية.

ولو فُقِد الاعتراض، لا يتبلور انتظار الفرج أيضًا، وعلى أساس أنّ للخلائق ما هو لائق، وكذا بالاستناد إلى بعض القوانين المسنونة والمستورة في العالم، لا بدّ أن نقلق على تدهور الأوضاع أيضًا؛ لأن الرضا بالداني والقليل، يوجب سقوط الإنسان إلى أدنى مراتب عالم الوجود. فإنّ حركة الإنسان في هذه الدنيا إما صعوديّة أو سقوطيّة، وهذه من الخصائص الذاتية لحياة الإنسان في هذا العالم. إما حيّ متكامل، أو ميّت متسافل، ولا سبيل بينهما.

ولربّما يجب أن تتدهور الأوضاع بحدّ لا يبقى معها سبيل سوى الاعتراض. وهي الصورة الوحيدة الّتي ينهض حتى الكَسول والخامل أيضًا للاعتراض عليها. ولعلّ فلسفة ازدياد الظلم وكثرة الفساد في آخر الزمان، هو سوقنا للاعتراض على الزلّات والانحرافات الّتي لم نكن نراها؛ لأنّ جهدنا كان قد انصبّ على تنمية حياتنا الحيوانيّة. فإنّنا في غفلة عن النقائص والعيوب، ولم نلتفت إليها إلّا إذا عشنا في أوساط ظلم فادح وفساد شامل.

ولو طبّق صوت اعتراض البشريّة في الخافقين على أثر المعرفة بالسقوط الّذي سوف يهدّد المجتمع البشري قبل أن يصل الفساد في العالم إلى ذروته، سيؤول ذلك إلى التسهيل والتعجيل في أمر الفرج.

ولو اقتصر اعتراضنا على أنّ حياتنا لا تتحسّن ولو قليلًا - وبحسب الظاهر فقط - كالغربيّين المرفّهين، فمن حقّنا أن نتّجه نحو الانحطاط والزوال، وأن نفقد ما نملك ونصل إلى التعاسة والشقاء، وهذا هو مصيرنا المحتّم؛ لأنّ حدّ اعتراضنا لا يشمل سعادة الدنيا أيضًا، فضلًا عن سعادة الآخرة.

فالّذين لا تتجاوز دائرة اعتراضهم عن هذا الحدّ، يُعبّر عنهم في قاموس الانتظار بالمغتربين. وهم في الحقيقة يدمّرون بالكامل كيانهم ومجتمعنا الصالح. وهم عبيد لدنيا غيرهم الحقيرة من دون أن يتمتّعوا بالدنيا، وأرقّاء للدنيا الّتي لا يمتلكونها.

ولو رأيت أشباه الرجال السافلين يستهزئون بالمنتظرين، فاعلم أنّ ذلك ناجم عن حقد على الأحرار والعظماء في عالم الوجود، وهم في الحقيقيّة ينتحبون على حقارتهم ودناءتهم. ولِما يجدون في أنفسهم من ذلة يستهزئون بالمنتظرين المتّسمين بالعزة.

إنّ المنتظر لا يغترّ ببعض الظواهر المزيّنة في عصر الغيبة أيضًا، ولا يرضى بها ولا يترك الاعتراض. كما يعلم جذور الوضع السيّئ الحاصل جيّدًا ويعترض عليه. فهو يعرف أنّ أساس الظلم هو «الكفر»، وأساس العدل هو «الولاية». ولا يثأر كالعوامّ على الظلم فقط، بل لا يحتمل أيّ ضرب من ضروب الكفر ويعدّه منشأً للظلم. كما أنه يقف بوجه كلّ من يتنصّل عن الولاية؛ لأنه يعرف أنَّ «أتباع الولاية، هم أصحاب العدالة لا غير».

من الاعتراض إلى العداء

في مسألة الاعتراض، يتبلور الاعتراض أوّلًا بالنسبة إلى الأوضاع الموجودة. ثمّ يظهر شيئًا فشيئًا أناس يمكننا أن نوجّه اعتراضنا مباشرة لهم ونصرخ بوجههم. فهم في الحقيقة أولئك الّذين تسبّبوا في إيجاد الوضع الموجود، أو وقفوا حجر عثرة أمام إصلاح الوضع الموجود بشكل من الأشكال. وفي دعاء الندبة كثيرًا ما نشاهد مثل هذه العبارات: «أَيْنَ قَاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ؟ أَيْنَ هَادِمُ أَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ؟»[1]، ومن المعلوم أنّ لهذا الاعتراض مخاطبين.

فالمنتظِر في هذا العنصر الأوّل وهو الاعتراض، يصبح من أهل الحبّ والبغض؛ ويصل تعامله مع البعض إلى العداء. وهو لا ينظر للجميع على السواء، ولا يغمر الكلّ بمحبته. فإنّه، وإن كان يحبّ أهل العالم بأجمعهم؛ وأساسًا عندما يبكي على الفرج، فهو يبكي على فرج جميع الناس، غير أنّ له عداءً مع بعضهم. ويعترض على المتسبّبين بالأوضاع السيّئة في العالم. ففي الوقت الّذي يعترض على الظلم، يعادي الظالم أيضًا. فلا يتأتّى لأحد أن يطلب فرج من ينشر الرحمة ويبسط العدالة، ولا يعادي الظالمين المتغطرسين.

فإنّ البعض يكرهون «الظلم»، ولكن لا يملكون الشهامة لمعاداة «الظالم»، أو إنّهم ينسون عداءهم طمعًا للوصول إلى الأمن من خلال تطبيع العلاقات معه.

علمًا بأنّ المنتظر لا يعادي كلّ فاسد، أو كلّ إنسان سيّئ، بل يريد نجاتهم وهدايتهم، ويسعى إلى تحقيق ذلك، ولكنّه لا يقف إلى جانب

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وكذلك إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٧.

المفسدين والممهّدين للفساد. وفي الحقيقة، فإنّ المنتظر لا يعادي إلّا الّذين يمهّدون الأرضيّة لانحراف الناس وفساد أوضاع العالم. وحينما تصل قضية الانتظار إلى معاداة المفسدين، ويتضح أنَّ الانتظار لا ينسجم مع طلب الراحة، يخرج الكثير ممّن كانوا يعدّون أنفسهم من المنتظرين من هذه الدائرة.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الّذين يرغبون أن يحترمهم جميع الناس حتّى المفسدون، أو الّذين لا يقفون بوجه المفسدين على أقل تقدير، لا يمكنهم أن يدخلوا في زمرة المنتظرين. وأساسًا، فإن الرغبة في مساومة الظالمين والمفسدين، إنّما هو ميل خبيث إذا نفذ إلى روح المؤمن، أفسد إيمانه. وبإمكان هذا الميل الخبيث أن يسوق المؤمنين إلى أن يكونوا مستعدّين - طلبًا لرضا الأعداء أو للراحة والدعة - أن يحزّوا رؤوس أولاد النبي الأكرم ﷺ، وكلّ ذلك ناتج عن معاداة الله لأمثال هؤلاء الناس الّذين يحسبون حساب «رضا الظالمين وغضبهم» أكثر من «الرضا والغضب الإلهي»، وطلبًا لعافيتهم وراحتهم لا يرتدعون عن تهيئة الأرضيّة لتعزيز وتوسيع قدرة الظالمين.

وفي الكثير من الأحيان، تبدأ هذه الحالة الروحيّة الخطيرة (الميل إلى مساومة الظالم)، من مجاملة بسيطة مع الظالمين، أو طلبٍ معقولٍ للراحة بحسب الظاهر. إنّ الله سبحانه وتعالى، وبكل بساطة، يُعرض عن المؤمنين الّذين يميلون إلى المفسدين، ويستبدلهم بطائفة أخرى. وقد صرّح بذلك في الآية ٥٤ من سورة المائدة، مبيّنًا سبب الإعراض عن الطائفة الأولى من خلال الصفات الّتي وصف بها الطائفة المستبدلة، وهي ليست سوى التسليم لأعداء الله والخوف من لوم اللّائمين:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.(١) فالمؤمنون الّذين يعرض الله عنهم ويستبدلهم بجماعة شجاعة أخرى، هم الّذين ينزعون إلى أعداء الله، ويتشبّثون بشتى الوسائل والذرائع للتخلّي عن معاداة أعداء البشريّة تحقيقًا لمآربهم.

ولو أردنا متابعة هذا البحث بمزيد من الدّقة، لوصلنا إلى نقاط تمثل أفجع لحظات تاريخ الإسلام. وإنّ الكثير من مراثي ومصائب أهل البيت عليهم السلام تذكّر بهذه النقاط الأليمة. فقد كان عمر بن سعد يقول إلى ما قبل عاشوراء بأيّام: «أخشى أن يورّطني ابن زياد بقتل الحسين عليه السلام».(٢) ولما أفسد شمر ما أراده عمر ابن سعد من ابن زياد - عبر مراسلته إيّاه - من إصلاح الأمور، قال له ابن سعد: «مَا لَكَ وَيْلَكَ لَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ وَقَبَّحَ اللَّهُ مَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ نَهَيْتَهُ عَمَّا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ وَأَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرًا قَدْ كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلُحَ»(3). ولكنّه لم يمض وقتٌ طويلٌ حتّى رمى أول سهم نحو الحسين عليه السلام وأصحابه وقال: «اشْهَدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى»، ثمّ أقبلت السهام من القوم كالمطر.(٤) وأخيرًا آل به المطاف إلى أن يأمر مباشرة،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٢) بعد أوّل حوار دار بين الإمام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد عبر الرسول، كتب الأخير رسالة إلى ابن زياد، فأجابه ابن زياد فيها: «اعْرِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ أَنْ يُبَايِعَ لِيَزِيدَ هُوَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِ فَإِذَا فَعَلَ هُوَ ذَلِكَ رَأَيْنَا رَأْيَنَا وَالسَّلَامُ». فَلَمَّا وَرَدَ الْجَوَابُ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ الْعَافِيَةَ» الإرشاد للمفيد، ج٢، ص٨٦.

(٣) الإرشاد للمفيد، ج٢، ص٨٩.

(٤) اللهوف على قتلى الطفوف، ص١٠٠. الإرشاد للمفيد، ج٢، ص١٠١.

ومن دون طلب أسياده الأشقياء، بقتل طفل أبي عبد الله الحسين عليه‌السلام الرضيع.

«الانتظار» لا ينسجم مع المساومة. ولا ينتهي بالكُره ولا حتّى بالعداء، بل قد يصل إلى إظهار العداء أيضًا. فإنّ المنتظر وإن كان مظلومًا، ولكنه ليس بمنظلم.[١] وفي قاموس الانتظار، إذا ما نُصبت خيمة المنتقم، لا يتأتى للمنتظر أن ينضوي تحت خيمة الظالمين ولو للحظة واحدة. المنتظر ليس منفعلًا، ويقف دومًا بوجه أعداء العدالة. وعلى هذا، لا يستطيع أن يكون منتظرًا إلّا من كان مستعدًّا لدفع تكاليف الاعتراض.

والبعض حتّى لا يرى من البأس أن يكون حاكمًا أو وسيطًا بين الله وبين أعدائه. ويفرّط في التعاقل بذريعة التفكير في المصالح واتّباع أوامر العقل بحيث يختار طريق الاعتدال بين الحقّ والباطل؛ وعند ذلك يصل إلى الاستقرار الناتج عن فقدان الغيرة. ويلجأ تبريرًا لنزوعه إلى الراحة والدعة إلى حجج واهية كـ«إمكان الهداية» و«الإنسانيّة»، غافلًا عن أنّ الله سبحانه قد أشار فيما سبق إلى أنّ الظالمين لا يهتدون ولا يُجدي السعي لذلك.[٢] وأقترح على أصدقائي الأعزّاء بعد الآيات والروايات والأدعية كدعاء الندبة، مراجعة أقوال الإمام الخميني

---

(١) المنظلم هو المنفعل الّذي يرضخ للظلم طلبًا للوصول إلى بعض المنافع الدنيويّة الحقّيرة أو خوفًا من فقدانها. أمّا المظلوم فهو الّذي يتعرّض للظلم اضطرارًا ومن دون امتلاك قدرة على الردع. وقد اعتبر العلامة الحلي الظلم والانظلام كليهما رذيلة وقال في الانظلام: «الانظلام وهو الاستجابة في المقتنيات بمن لا ينبغي وكما لا ينبغي». (الألفين في إمامة أمير المؤمنين، ص١٦٢) وقال الإمام الصادق عليه‌السلام في هذا الشأن: «العامِلُ بِالظُّلمِ والمُعينُ لَهُ والرَّاضِي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهُم». الكافي، ج٢، ص٣٣٣.

(٢) على سبيل المثال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة المائدة، الآية ٥١.

قدس سره لتعلّم آداب معاداة العدوّ، وعدم نسيان السعي والجهد لمقارعة الظالمين.[١]

كيفيّة التعبير عن الاعتراض

أمّا كيفيّة تعبير المنتظر عن اعتراضه، فتتفاوت باختلاف الظروف. فتارة يعبّر المنتظر عن هذا الاعتراض في مقام البيان والتبيين، وأخرى في مقام الأنين والصراخ. وتارة يعمد إلى ذكر الأدلّة العقليّة، وأخرى يندب بقلبه بزفرات عشقيّة. وهنا تتجلّى أروع مشاهد الحبّ والعشق للمنتظر المعترض وأجمل الزفرات والأنّات:

---

(١) نماذج من أقوال الإمام الخميني قدس سره:

«نحن أعلنّا هذه الحقّيقة مرارًا في سياستنا الإسلاميّة الخارجيّة والدوليّة بأنّ بغيتنا كانت ولا تزال هي تنمية نفوذ الإسلام في العالم والحدّ من هيمنة ناهبي العالم. ولا ضير لو أطلق أذناب أميركا على ذلك بالتوسعيّة والتفكير من أجل إقامة امبراطورية عظمى بل ونرحّب بذلك. نحن بصدد اقتلاع الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم. نحن اعتزمنا بلطف الله وعنايته على الإطاحة بالأنظمة المبتنية على هذه القواعد الثلاث وترويج النظام الإسلامي لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في عالم الاستكبار. وستشهد الشعوب المضطهدة ذلك عاجلًا أم آجلًا. نحن بكلّ كياننا سنقف بوجه الابتزاز وحصانة الرعايا الأميركان، حتى لو كلّفنا ذلك حربًا ضروسًا». (صحيفة الإمام، ج١٢، ص٨١).

«بالنسبة لي لا يهمني المكان. بل المهم هو مقارعة الظلم. وأينما تتحقق هذه المقارعة بشكل أمثل، سأكون هناك». (صحيفة الإمام، ج٥، ص٣٠١).

«قوموا بتحصيل العلوم واكتساب المعارف والاستفادة من المواهب الإلهية بجد؛ ولا تضعوا سلاح مقارعة الظلم والاستكبار والاستضعاف قطّ؛ واجعلوا شعاركم تولّي أولياء الله والبراءة من أعدائه». (صحيفة الإمام، ج٢٠، ص٣٨).

«إنّني أعلن بحزم لكل العالم أنّه لو أراد ناهبو العالم أن يقفوا بوجه ديننا، فإنّنا سنقف بوجه كلّ دنياهم ولن ننثني حتى القضاء عليهم، فإما أن نتحرّر بأجمعنا أو أن نصل إلى حرية أكبر وهي الشهادة ... احفظوا الحقّد والضغينة الثورية في صدوركم؛ وانظروا أعداءكم بغيظ وغضب؛ واعلموا أنكم أنتم المنتصرون». (صحيفة الإمام، ج٢٠، ص٣٢٥).

«عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلاَ تُرَى وَلاَ أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلاَ نَجْوَى عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى وَلاَ يَنَالُكَ مِنِّى ضَجِيجٌ وَلاَ شَكْوَى...»[1]، فكيف يمكن تفسير هذه الاعتراضات العشقيّة؟

يجب أن يرقّ قلبك إلى حدّ تتلمّس غيبته بكلّ كيانك، وخلايا وجودك تصرخ حزنًا وألمًا على فراقه. وهذا الصراخ هو ذروة لطافة الروح، ورقّة القلب الّتي لا تتولّد إلّا في قلوب المنتظرين المعترضين. ولعلّ الّذين يشكون غيبته اليوم، هم الّذين سيشكرون حضوره غدًا.

علمًا بأنّ اعتراض المنتظر لا يقتصر على الصراخ؛ بل سيبذل قصارى جهده لاستئصال شأفة موانع ظهوره وأعداء حضوره. ويمكن مشاهدة هذا الاعتراض في النزعة السياسيّة والجهد البليغ للمنتظر الحقيقي. ومن هنا، يتّصف المنتظر بالنشاط والحيويّة؛ لأنَّ من يكون له عدوّ وهو معتقد بوجوده، يكون حَرِكًا نشيطًا. وأما من لا يعادي أعداءه، فمن المتوقّع أن يكون ذليلًا حقيرًا منفعلًا.

آفات الاعتراض

بالطبع، قد يقترن الاعتراض على الوضع الموجود مع كلّ إيجابيّاته، ببعض الآفات كأيّ أمر آخر. وبالإمكان أن تكون هذه الآفات خطيرة للغاية، لا سيّما في المجتمعات الممهّدة للظهور.

واحدة من آفات الاعتراض هي الغلوّ والمبالغة في الاعتراض. وهذا يعني التفريط في تقدير سوء الأوضاع، وعدم رؤية الوجوه الإيجابيّة، حتّى الوصول إلى اليأس والقنوط الّذي بإمكانه أن يُعدّ آفة مستقلّة للاعتراض. إنّ المبالغة في الاعتراض بالإضافة إلى أنّها

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وأيضًا إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٧.

تزرع في الإنسان الروح السلبيّة والحِدّة في الأخلاق، وتُشوّه الصورة الجميلة لـ«الاعتراض في مسار الانتظار»، بإمكانها أن تسبّب التسرّع في العمل وهدم الوجوه المطلوبة الموجودة، فلا بد من اتّقاء هذه الآفات.

والشباب أكثر من غيرهم عرضة لهذه الآفّة. ففي الأغلب، عندما يدور الحديث عن الاعتراض على الوضع الموجود، سرعان ما تتورّط الروح المثاليّة والمتسارعة للشباب بآفة «الغلو». يقول الإمام الصادق عليه السلام: «احْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمُ الْغُلَاةَ لَا يُفْسِدُوهُمْ»[1]. لماذا يجب الحذر من إيجاد العلاقة بين الشباب والغلاة؟ لأنّ الشابّ - بصورة طبيعيّة - يميل إلى الغلوّ، والحضور في جمع الغلاة ينمّي هذا الميل بسرعة ويسوقه إلى الفساد. وفي بعض الأحيان إذا أراد الشابّ أن يبالغ في مشاهدة النقاط السلبية للوضع الموجود ويسعى مفرّطًا للاعتراض عليه، قد يقوم بإجراءات تعسفيّة أو يُصاب بالإحباط.

الآفّة الأخرى للاعتراض على الوضع الموجود، هي اليأس من الوصول إلى الوضع المنشود الناتج عن عدم مشاهدة الأرضيّات والاستعدادات المناسبة. وقد تحلّ المصائب والنوائب بالإنسان إلى حدٍّ تغلق بوجهه جميع المنافذ، وتسوقه إلى وادي اليأس والقنوط. ولكن لنعلم أنّ الله سبحانه قد وفّر في أسوء الحالات أيضًا فرصًا للخروج من المآزق والأزمات، فلا بدّ من البحث عنها واغتنامها.

والآفّة الأخرى للاعتراض على الوضع الموجود هي السلبيّة المطلقة الّتي تؤول إلى العبثيّة. فلا ينبغي أن نعدّ الوضع الموجود سيّئًا على الإطلاق مهما كانت الظروف. ولا ينبغي أن نعدّ جميع الناس أشقياء

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي، ص٦٥٠.

بالكامل؛ أو نزعم أنّ جميع الأشقياء غير قابلين للهداية. فإنّ أسهل، وفي الوقت نفسه أبعد رؤية عن العقل، هو الإطلاق في النظرة السلبية للمجتمع والوضع الموجود؛ حيث لا تحتاج إلى أيّة دقة وعقلانيّة، وهي علامة على غلبة بعض الأحاسيس السطحيّة. فإنّ المتثاقل في ميدان التحليل، ومن خلال تلخيص كلّ شيء في النظرة المطلقة، يرى كلّ شيء فاسدًا.

إنَّ آفات وأضرار الاعتراض في كثير من الأوقات ناجمة عن منشأ باطل. فلو لم يستند الاعتراض على أساس صحيح، لا يصل الانتظار أيضًا إلى نهاية جيّدة، وقد يزول في وسط الطريق؛ أو إنَّه يستمرّ خطأً بعد الوصول إلى الوضع المنشود أيضًا، وهذه أسوأ من الصورتَيْن السابقتَيْن. كما أنّ بعض المنتظرين المعترضين على الوضع الموجود، يستمرّون على اعتراضاتهم الوهميّة حتّى بعد ظهور الإمام أيضًا ويسبّبون له الأذى.

إنّ أساس الاعتراض عند البعض، هو الروح السلبيّة فيهم، لا التعقّل والنزوع إلى الحقّ. وأمثال هؤلاء، وإن يلتحقون بجمع المعترضين والمنتظرين الحقيقيّين بسهولة، ولكنّهم يخرجون من صفوفهم بأدنى ما يواجهونه من امتحان وتعقيد، وأكثر ما يظهر منهم إلى العيان هو الأخلاق السيّئة لا العقيدة الراسخة.

ومن المصاديق المهمّة لآفات الاعتراض، هي أنّ البعض في هذا النظام المقدّس والثورة المباركة، عبر نكران هذه النعمة العظيمة المتاحة، وبذريعة الاعتراض على الوضع الموجود وانتظار الفرج، يتغافلون عن الوجوه الإيجابيّة السارية في مجتمعنا الإسلامي، ولا يكترثون لمسألة التمهيد للفرج. فهم لا يفرّقون بين الاعتراض على

النقائص والعيوب، وبين الاعتراض على الانحرافات والمُضلّات، وعلى أثر شدّة سوء الفهم يقعون في أحضان الظالمين وناهبي العالم.

المسألة المهمّة في إزالة الآفات عن الاعتراض هي أن يستطيع المعترض مشاهدة الطريق الموصل إلى الوضع المنشود، واغتنام كل فرصة تؤدي إلى المحبوب؛ لا أن يُعرض عن هذه الفرصة العظيمة الّتي أُتيحت عبر دماء الشهداء المنتظرين، ويصرخ بصرخة الاعتراض المطلق في مجرى الانتظار. فإنّ المنتظر المعترض يعدّ خدمة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة المقدّس، رغم كلّ بُعده عن الحكومة المهدويّة، واجبة كالخدمة تحت راية الإمام، ويرى الثورة الإسلاميّة طريقًا للوصول إلى ساحل النجاة.

كما صرّحت بذلك الرواية الواردة عن رسول الله ﷺ: «يَخرُجُ ناسٌ مِن المَشرِقِ فَيُوطِّئُونَ للمَهدِيِّ سُلْطانَهُ»[1]. وقد أشار الإمام الخميني قدس سره والإمام الخامنئي في أقوالهما مرارًا إلى هذا المعنى.[٢] فعلى سبيل المثال، يقول الإمام الخميني قدس سره في النصف من شعبان الأخير من عمره الشريف: «ليعلم مسؤولونا بأنَّ ثورتنا غير محدودة في إيران. ثورة الشعب الإيراني مبدأ لانطلاق ثورة كبرى في العالم الإسلامي تحت لواء الإمام الحجّة – أوراحنا فداه – ونسأل الله أن يمنّ

---

(١) ميزان الحكمة، باب «الثَّورَةُ الإسلامِيَّةُ فِي الشَّرقِ»، ح٢٣٦٦، نقلاً عن كنز العمال، ح٣٨٥٦٧. وأيضًا كشف الغمة ج٢، ص٤٧٧ مع اختلاف قليل في النص: «يَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ يَعْنِي سُلْطَانَهُ»، ويقول المحدث الإربلي (٦٩٣ هـ) صاحب كشف الغمة في نهاية هذا الحديث: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ رَوَتْهُ الثِّقَاتُ وَالْأَثْبَاتُ أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَاجَةَ الْقَزْوِينِيُّ فِي سُنَنِهِ».

(٢) إن لسماحة الإمام الخميني قدس سره والإمام الخامنئي كلمات مهمّة وواضحة في هذا المجال وقد أوردناها في نهاية هذا الفصل.

على المسلمين وكلّ أهل العالم، وأن يجعل ظهوره وفرجه في العصر الحاضر»[1]. فكيف سيعشق المعترض والمنتظر الحقيقيّ مثل هذه الثورة ويحتضنها؟

الاعتراض المطلق، والّذي لم يُقيّد بأيّ قيد، هو مثل أن يكون النبي يعقوب عليه السلام غير مكترث بقميص يوسف عليه السلام، وبذريعة أنَّه كان منتظرًا للقاء يوسف نفسه، لم يعتدّ بما له من آثار وبركات، أو عندما يأتونه بالقميص، وبدلًا من أن ينهل جرعة من منهل الوصال ويمسح القميص الّذي يفوح منه عطر الحبيب على عينَيْه (الّذي أدّى إلى أن يرتدّ بصيرًا)، يعترض قائلًا: «زمن طويل وأنا أنتظر يوسف، والآن تأتونني بقميص؟!»، ويرمي بالقميص جانبًا. إنّ أيّ نسيم يهبّ من جانب الحبيب، يهب الحياة للمنتظر المهجور، وعند ذلك يكون اعتراضه النابع عشقًا على هجر الحبيب حقيقيًّا.

٢. معرفة الوضع المنشود

العنصر الثاني للانتظار هو معرفة الوضع المنشود. يعني العلم بالوضع الّذي يمكننا أن نعيشه، لكننا لا نتمتّع به اليوم؛ العلم بالخيرات اللّامتناهية الّتي يمكننا ولا بدّ لنا من تلقّيها ولكنّنا مُبعدون عنها، ولا نهتمّ بها لعدم علمنا بها.

وهو أيضًا معرفة الوضع المنشود والمثاليّ الّذي أدّى عدم علمنا به إلى أن لا نمتلك إدراكًا وتحليلًا صحيحًا عن الوضع الموجود؛ لأنّ جزءًا من إدراكنا عن أوضاع وأحوال عصرنا ومعرفة سلبيّات الوضع الموجود، منوط باطّلاعنا على الوضع المنشود. ولكن كيف يمكننا تقييم وضعنا

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص٣٢٧.

الموجود من دون ملاحظة أنموذج لفهم ذلك الوضع المنشود؟ هل نعلّق آمالنا على النماذج الشرقيّة والغربيّة المندرسة الّتي نتعلّمها في المدارس والجامعات، ونقيّم أنفسنا بالمعايير الناقصة واللّاإنسانية في بلاد الغرب؛ الأمر المرفوض الّذي تتداوله بعض النخب المغتربة في بلادنا؟

وأحيانًا من لا يحمل معرفة وصورة دقيقة عن الوضع المنشود، لا يمكنه حتى الاعتراض على الوضع الموجود. ولا يتأتّى التألّم من حالة الغيبة (الوضع الموجود) والتولّع للظهور إلّا عبر معرفة خصائص المجتمع المهدويّ، وإلّا فمن اعتاد على الحياة في ظلّ هذه الظروف المرّة، وغفل عن إمكانيّة التمتع بحياة سامية، لا يمكنه أن يكون منتظرًا للوضع الأمثل. فهو يتقبّل جميع نقائص حياته الفرديّة والاجتماعيّة، ويعدّها أمرًا لا مفرّ منه.

يجب على المنتظر إلى جانب «الاعتراض على الوضع الموجود» أن يحمل صورة عن «الوضع المنشود» أيضًا. وهما أمران يكمّل أحدهما الآخر، ويولّدان حالة الانتظار بمعيّة سائر العناصر المرتبط معظمها بالوضع المنشود، والّتي سنتعرّض لها في تتمّة البحث. وإنّ للشعور بالانتظار أساسًا صلة وثيقة بهذا الإدراك والمعرفة بالنسبة إلى الوضع المنشود؛ حيث يمكن القول إنّ تنمية هذه المعرفة تمثّل واحدة من طرق تعزيز روح الانتظار.

الانتظار شعورٌ مختصّ بالمستقبل وبوضع أمثل. ومن هنا، فكلّما كانت صورتنا عن الوضع المنشود أوضح، كلّما اشتدّ انتظارنا. ولكن ما هو الوضع الّذي ينتظره الجاهل بالوضع المنشود؟ وكما ذكرنا في بحث «النظرة العاميّة»، فإنّ من تبرّم من الظلم، ولكنّه لا يحمل صورة واضحة

عن العدالة، لا يُعلم أنّه أساسًا كم سيرغب في العدالة ويتقبّلها، وكم هو مستعدّ لأن يعيش في ظلّ مجتمع تسوده العدالة.

إنّ لنفس معرفة الوضع المنشود والعلم بماهيّته وكيفيّته، فوائد جمّة، حتّى لو لم تؤدّ إلى الانتظار. فمن فوائده المهمّة، تهيئة أرضيّة مناسبة لتحليل صائب عن الماضي، والعثور على جواب الكثير من الأسئلة الأساسيّة في حياة البشر. مثل أنّه: لماذا كان أنبياء وأولياء الله على مرّ التاريخ مظلومين في الأغلب؟ لماذا كلّ هذا التأخير وكلّ هذه الصعوبة في إقامة الحقّ؟ لماذا نجد غلبة الأشقياء على الأولياء مستمرّة وبشتّى الأنحاء؟ والكثير من الأسئلة الّتي يُجاب عنها.

بشرى

إنّ معرفة الوضع المنشود والإخبار عمّا سيتحقّق في المستقبل، يعمل كانفجار النور الّذي بإمكانه أن يزيل ظلمات الجهالة، وأن ينشر ضياءً يمكن من خلاله مشاهدة جانب من الوضع المأساوي الّذي تعيشه البشريّة. وهذه المعرفة ترفع حالة التوقّع والانتظار؛ وتهيّئ أرضيّة الاعتراض الشامل على النظام الموجود في العالم.

الإخبار عن إمكانيّة ظهور حياة أمثل، في الفضاء الملكوتي لحكومة وليّ الله الأعظم أرواحنا له الفداء، يكشف عن بطلان جميع النظريّات والأفكار الباطلة الموضوعة لحياة البشر، ويميط اللثام عن الجهل الكامن في الكثير من العلوم.

إنّ معرفة الناس بخصائص المجتمع والحكومة المهدويّة وبركاتها وإمكانيّة تحقّقها، ستؤول إلى التحوّل. وحتّى لو لم يكن الناس معتقدين

بالعقائد الدينيّة المساندة للظهور ومصير العالم، فإنّ الحد الأدنى لثمرة هذه المعرفة هو ظهور الشك والتردّد حيال الحلول المطروحة حتّى الآن للنجاة من المشاكل؛ والّتي قد تبلورت في العلوم المختلفة.

الاطّلاع على المجتمع المهدوي، يعبّد طرق التفكير للمفكرين ويفتح آفاقًا جديدة لتدبّر الإنسان حول الحياة. ولو شُبّه الوجود الأقدس للإمام ﷻ في عصر الغيبة في أحاديثنا بالشمس المغيّبة خلف السحاب[1]، فلعلّ جزءًا من هذه البركات ناظرة إلى نفس تلك المعرفة بالحكومة المهدويّة. ولو كنّا نعيش في عصر حاكميّة الإمام ﷻ، لكانت الحقائق جليّة لنا كالشمس في رابعة النهار. واليوم حيث نعيش عصر الغيبة، يمكننا عبر الوقوف على تلك الفترة والتدبّر في خصائصها، أن نضيء طريقنا كالنّور الساطع من الشمس الّتي جلّلها السحاب.

إنّ غيبة الإمام بحدّ ذاتها قد حَرَمتنا من مجموعة من النِعَم، فلا ينبغي أن نزيد من حرماننا بغيبتنا عن معرفة ذلك العصر. ففي ظلّ الجهل بشأن حكومة وليّ الله، تنحرف الأفكار وتتورّط بالمزاعم الواهية والنظريات الباطلة. علمًا بأنّ هذه النظريات سيظهر بطلانها في آخر الزمان واحدة تلو الأخرى. ولو قام العلماء المنصفون وغير المغرضين في العالم بمجرّد تصوّر المجتمع المهدوي، لأدّى ذلك إلى التصديق وإلى تقبّل مقدماته الاعتقاديّة.

---

(١) «قَالَ جَابِرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَهَلْ يَنْتَفِعُ الشِّيعَةُ بِهِ فِي غَيْبَتِهِ؟ فَقَالَ ﷺ: إِي وَالّذي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ لَيَنْتَفِعُونَ بِهِ. يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ وَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ جَلَّلَهَا السَّحَابُ». كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٥٣. وكذلك ممّا جاء في التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة للسفير الثاني: «وَأَمَّا وَجْهُ الِانْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالِانْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ وَإِنِّي لَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ». كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٣.

وكلّما ازدادت الصورة والمعرفة إزاء الوضع المنشود شفافيّة، واتّسعت بالاستناد إلى العقل والوحي، كلّما اشتدّ جانب العلم والعشق في مسألة انتظار الفرج. ولا بدّ أن يتمّ هذا البيان لخصائص عصر الحكومة المهدويّة في الأوساط والمراكز العلميّة، الدينيّة والجامعيّة.

إنّ هذه الحقيقة، وهي أنّ المجتمع المهدوي وحاكميّة ولي الله بإمكانها أن تثبت بطلان النظريّات الباطلة في إدارة حياة البشر، قد تمّ تجربتها إلى حدّ ما في الثورة الإسلاميّة ونظامنا المقدّس. فحينما بدأت تتضاءل مفاهيم «لا يمكن» و«لا يتحقّق» لدى العلوم التجريبيّة في مسار أحداث الثورة الإسلاميّة، وأخذت انتصارات هذه الأمّة الولائيّة تُثبت وهميّة الأفكار غير الإلهيّة، واحدة تلو الأخرى، فمن الطبيعي أن تتحقّق هذه الحالة، وبنفس هذه الآثار في ذلك العصر بمقياس أكبر، وستسوق المفكّرين إلى إعادة النظر في نظرياتهم. بالطبع إذا سمحت بذلك المؤسسة الإعلاميّة الاستكباريّة وأصحاب النفوس المريضة.

وظيفة المنتظرين في رسم المجتمع المهدوي

من البركات الأخرى للمعرفة الجليّة بالوضع المنشود، هي استنارة الطريق في هذا العصر، والاستلهام للعبور من المشاكل المتفشية في مجتمعنا.

يجب علينا رسم خصائص المجتمع المهدوي، وفي المرحلة الّتي تليها تقييم بُعدنا عن الوضع المنشود والمضيّ نحوه؛ لأنّ بعض خصائص الوضع المنشود، لا بدّ وأن تتحقّق على أيدينا قدر

استطاعتنا[1]. وهذه هي من لوازم التمهيد للظهور الّتي هي وظيفتنا ورسالتنا التاريخيّة، نحن الشيعة.

وكما أنّ على مجتمعنا تلقّي الدروس والعِبَر الكثيرة من مدينة النبيّ ﷺ، يجب علينا أخذ الدروس الكثيرة من المجتمع المهدويّ أيضًا. ويتسنّى لمجتمعنا أن يجتاز الكثير من المشاكل الّتي كانت موجودة في صدر الإسلام، والّتي من الممكن أن تكون موجودة أيضًا

---

(١) الإمام الخميني قدس سره: «من أجل أيّ شيء يظهر الإمام الحجة؟ من أجل بسط العدل، من أجل تعزيز الحُكم، من أجل القضاء على الفساد. نحن خلافًا للآيات القرآنيّة الشريفة نكفّ عن النهي عن المنكر، نكفّ عن الأمر بالمعروف ونُوسّع الذنوب من أجل أن يأتي الإمام؟ ماذا سيصنع الإمام إذا ظهر؟ يظهر الإمام ليقوم بهذه الأمور... نحن يجب علينا إن استطعنا وإن كنّا نمتلك قدرة أن نزيح الظلم والجور بأسره عن العالم. هذه هي وظيفتنا الشرعيّة، غير أنّنا لا يسعنا ذلك. الحالة الموجودة هو أنّ الإمام يملأ الأرض عدلًا؛ لا أن تكفّوا عن العمل بتكليفكم، ولا أن يرتفع التكليف عنكم ... نعم، نحن لا نستطيع أن نملأ الأرض عدلًا كما ستُملأ، ولو استطعنا لفعلنا، ولكن لعدم استطاعتنا لا بدّ من أن يظهر الإمام. العالم اليوم مليء بالظلم. أنتم نقطة في العالم والعالم يزخر بالظلم. نحن إن استطعنا الوقوف بوجه الظلم، يجب علينا ذلك وهي وظيفتنا. وقد حتّمت علينا الضرورة الإسلاميّة والقرآنيّة أن نقوم بكل هذه الأعمال. ولكن بما أنّنا لا نستطيع ذلك، لا بدّ من ظهور الإمام للقيام بهذه الأمور. ولكن يجب علينا التمهيد لذلك، وتهيئة الأسباب الّتي تؤدي إلى تعجيل هذا الأمر، والعمل من أجل أن يستعدّ العالم لمجيء الإمام – سلام الله عليه -». صحيفة الإمام، ج٢١، ص١٤-١٧.

الإمام الخامنئي دام ظله: «نحن المنتظرون لصاحب الأمر، يجب علينا بناء حياتنا الحاليّة بنفس الوجهة الّتي ستتأسس عليها حكومة صاحب العصر (عليه آلاف التحية والثناء وعجّل الله تعالى فرجه). علمًا بأننا أقلّ من أن يسعنا بناء ما بناه أو سيبنيه أولياء الله؛ ولكن يجب أن نصبّ سعينا وجهدنا في نفس ذلك الاتجاه». كلمته بمناسبة ذكرى ولادة صاحب العصر عجل الله فرجه؛ ١٣/٣/١٩٩٠.

حجة الإسلام صالح نيا من تلامذة آية الله الشيخ بهجت مع وكالة فارس: «ذات مرة سألت سماحته [آية الله بهجت] بأنّنا إذا أردنا التعجيل في ظهور الإمام المهدي، ماذا ينبغي أن نفعل؟» فقال سماحته: «لنفعل الآن ما يجب علينا فعله في عصر ظهوره. ما هي الأفعال الّتي سنؤدّيها وما هي الأفعال الّتي سنتركها إذا كان الإمام حاضرًا؟ لنؤدّ الآن نفس تلك الأفعال والأعمال الحسنة ولنترك الآن السيئات، عندها سيتحقق ظهوره». (وكالة أنباء فارس، الخبر المرقّم: ١٣٩١٠٢٢٥٠٠١٤٤٣؛ ١٦/٥/٢٠١٢)

في مجتمعنا، وذلك من خلال تلقّي الدروس من المجتمع المهدوي. فإنّنا، وإن كنّا نفتخر بالتاريخ المشرق لحياة المعصومين عليهم السلام، ونأخذ الدروس الكثيرة منه، إلّا أنّ الغالب على ذلك التاريخ هو المظلوميّة الكبيرة لأولياء الله. ويمكننا إكمال معرفتنا عبر إمعان النظر في المجتمع المهدوي الّذي ستكون فيه الولاية في أوْج اقتدارها.

انظروا إلى المشاكل الموجودة في مجتمعنا اليوم. أيّ واحدة من هذه المشاكل لا يمكن حلّها عبر الوقوف على مجتمع الإمام وحكومته، والتأسّي به والاستلهام منه؟ لا سيّما وأنّ لمجتمعنا اليوم شبهًا كبيرًا بالمجتمع المهدوي، وهو أقرب مجتمع إلى المجتمع الّذي سيكوّنه الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف.

إنَّ بعض المشاكل الموجودة في مجتمعنا لو ارتفعت، لتقرّبنا إلى الوضع المنشود كثيرًا. وهذه هي بشارة مولانا؛ حيث قال في توقيعه الشريف للشيخ المفيد قدس سره: «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمْ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا».(١)

إنّ أهمّ خصّيصة يتحلّى بها مجتعمنا، والّتي تؤدّي إلى قربنا من الإمام، هي كونه ولائيًّا. واكتساب الكمالات في هذا المجال، يزيد من قربنا للإمام لا محالة. فإنّ اتّصاف مجتمعنا بمزيد من الحالة الولائيّة، يمثّل تلبية لذلك العهد المأخوذ على عاتقنا. كما أنّ مشاكلنا ناجمة عن قصورنا وسوء تصرّفنا في هذا المجال.

وإذا ما نظرنا إلى المجتمع الموعود، لوجدنا أنّ جميع البركات

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٤٩٩.

والخيرات في المجتمع المهدوي، وتبلور الوضع المنشود، ناجمة عن استقرار الولاية وتقبّل أهل الأرض بأجمعهم لها. وأمّا ما هي الظروف الّتي يصبح كلّ الناس على ضوئها ولائيّين، فهو بحث آخر لا بدّ من التعرّض له في محله، ولكن على أيّ حال، بعد أن يُصبح الجميع ولائيّين، تتنزّل النِعَم من الأمن والاستقرار إلى العدالة والرفاهية.

ولو كان للنُخب والخواص في المجتمع دورٌ أساسيّ في تعزيز أركان الولاية في المجتمع، فما هي الآن وظيفة النُخب في مجتمعنا؟ ولو كان عبء حكومة الإمام ملقىً على عاتق النُخب الأتقياء المقتدرين في عصر الظهور، فكم سيكون لتربية مثل هؤلاء النُخب وفسح المجال لهم من دورٍ هامّ في تسيير الأمور؟

ولو أنّ عقول الناس تتكامل بعنايته في ذلك العصر وتؤدّي هذه العقلانية نفسها إلى إرساء قواعد حكومة الإمام، فما هي وظيفتنا اليوم في تنمية العقلانيّة في المجتمع؟ ولو أنّ محبّة الناس الشديدة للإمام في عهده تؤدي إلى التآلف بين القلوب وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء، فما مدى أهمية تعزيز المحبّة لولي الله ونائبه في المجتمع (الولي الفقيه) في الظروف الراهنة؟

يجب علينا ضمن بحوث مستقلّة، أن نتعرفّ من جانب إلى خصائص المجتمع المهدوي والوضع المنشود بدقّة، وأن نقوم من جانب آخر برصد المشاكل المتفشية في مجتمعنا، والبحث عن حلولها في إطار خصائص الوضع الموعود.

نماء الأسئلة وتفتّح الأجوبة

الآن يجب أن نعرف ما هي الصورة الّتي نحملها عن المجتمع المهدوي؟ للوصول إلى مثل هذه الصورة الجليّة، يمكننا النظر إلى نماء

أسئلتنا. فهناك الكثير من الأسئلة الّتي يمكن التفكير فيها والوصول إلى الحقائق المختصّة بالمجتمع المهدوي حسب نسبة جودة السؤال.

كيف تتكامل العقلانيّة في ذلك العصر؟ ما هو الحدث الّذي سيتحقّق في ذلك الزمان ولم يتحقّق حاليًا، وعلى أثره يزداد فهم الناس إلى حدّ تزول أرضيّة تقبّل الكلام الخاطئ؟ كم سيكون لكلٍّ من تجربة البشر التاريخيّة وتمحورهم حول الولاية من أثر في تكامل العقلانية؟

ما هي العلاقة بين محبّة الإمام وبين كلّ ما يتمخضّ عن العطف والحنان في العلاقات بين الناس؟ ما هو أساس ازدياد النعم؟ وكم سيكون لحضور الإمام وإقبال الناس عليه من أثر في هذا المجال؟ هل أنّ السبب الغالب لخوف الأعداء من الإمام هو قوّة سيفه أم شدّة حبّ أنصاره له؟ ألا تُعدّ هذه المحبّة والولاية بذاتها العامل الأهم لتكامل العقل والفهم عند الناس؟

كيف سيكون وضع المذنبين؟ ماذا على من لا يريد أن يكون صالحًا؟ هل إنّ التحلّي بالصلاح سيكون أمرًا إجباريًّا أم إنّ الظروف لا تسمح لأن يكون الإنسان سيّئًا؟ هل سيُفتضح المذنبون ويُعدَمون على الفور؟

كيف تتمّ مشاركة الناس في حكومة الإمام؟ ما هو مقدار القوانين الّتي تُسنّ في المجتمع؟ ما هو الضمان لتطبيق هذه القوانين؟ ما هي نسبة استخدام الشدّة في تطبيق القوانين؟ كم من مهمّة إدارة المجتمع ستقع على عاتق الأخلاق بدلًا من القانون؟ كيف تتمّ تنمية الأخلاق والمعنويّة في المجتمع؛ بحيث تحلّ محلّ الكثير من القوانين الإضافيّة العديمة التأثير؟ كم سيكون للإيمان بالمبدأ والمعاد دورٌ في تنمية الأخلاق وتأسيس مجتمع أخلاقي؟ ما هو أثر الالتزام بالولاية في هذا الشأن؟

كيف يتمّ تبليغ الدين في عصر الموعود؟ كيف سيتمّ جذب الناس إلى

الدين؟ ما هي نسبة استخدام الفنّ في تبليغ الدين؟ هل يستطيع الفنّانون إغواء الناس حتى لصالح الله؟ أساسًا كيف سيكون وضع الفنّ في المجتمع المهدوي؟ من الّذي يستطيع أن يكون فنّانًا؟ هل يستطيع الفنّانون دسّ السمّ بالعسل تحايلًا؟ هل سيقع الإشراف أكثر على عاتق الحكومة أم الناس في تقييم المنتوجات الفنية؟ هل سينمو ويتوسّع الفنّ أيضًا؟

كم ستتجه وسائل الإعلام إلى إظهار الحقائق وكم ستتمحور حول المصالح؟ كم سيكون لإذاعة السلبيات دور في إدارة المجتمع؟ هل سيكون الإعلام ركنًا من أركان المجتمع المهدوي؟ هل ستتمّ الرقابة على المنتوجات الإعلاميّة؟ أم أنّ شدّة معرفة الناس وفهم المخاطبين يُغني الحكومة عن الرقابة الشديدة العديمة الجدوى؟ من سيتولّى إدارة الإعلام؟ وما هي الخصائص والصفات الّتي لا بد وأن يتحلّى بها هذا المدير؟

هذه الأسئلة إضافة إلى التوعية، بإمكانها أن تكسب المتنصّلين عن الدين الّذين يحملون صورة باطلة عن المجتمع والحكومة الدينيّة، ولذا يهابونها، بل بإمكانها أن تقترب من الإجابة على جميع الأسئلة العالقة على أذهان البشر في الوقت الحاضر.

٣. الاعتقاد والأمل بتحقّق الوضع المنشود

العنصر الثالث للانتظار هو «الاعتقاد» بتحقّق الوضع المنشود، أي الإيمان والاعتقاد بتحقّق الوضع المنشود الّذي نعرفه. والأمل ينبثق من هذا الاعتقاد نفسه. ففي الظروف العصيبة الّتي تسوق الإنسان إلى اليأس، يكون الأمل ناجمًا من عقيدة راسخة بتحقّق أمر في المستقبل. فإنّنا بعد الاعتراض على الوضع الموجود، والحصول على صورة صحيحة بالنسبة إلى الوضع الموعود، يجب علينا الآن الاعتقاد بتحقّق

ذلك الوضع المنشود. فإنّ الأمل بالوصول إلى الوضع الموعود هو الّذي يأخذ بأيدينا نحوه.

وفي مسألة رسم الوضع المنشود، نصل إلى خصائص يصعب على المرتابين تقبّلها بسهولة. وقد آل المطاف بالبعض إلى عدم التصديق بالصورة المذكورة في الروايات، والّتي تبدو خيالية حول خصائص المجتمع المهدوي، بحيث إنَّه لم يكلّف نفسه عناء إنكارها أيضًا، بل بات يمرّ عليها مرور الكرام، معتبرًا أنّ الوضع المنشود المرسوم لا يمكن تحقّقه(١).

إنّ أحد عوامل ضيق الأفق ورفض تحقّق الوضع المنشود هو الغور في التجارب البشرية الّتي يتمّ تنظيرها في مدارس المفكّرين الغربيّين. ومن العوامل الأخرى لإيجاد أرضيّة التشكيك في المجتمع المهدوي هو السلبيّة وعدم امتلاك فلسفة قويمة لحياة الإنسان.

إنّ للاعتقاد بالمهدويّة والوضع المنشود الموعود، عقبات سنشير إليها، ولكن رغم ذلك لا ينبغي إهمال الموانع الجديّة الّتي تحول دون الإيمان بكلّ ما وعده الله. إنّ الإيمان بأيّ وعد من وعود الأنبياء والاعتقاد بتحقّقها يحتاج أساسًا إلى نوع من صفاء السريرة لتستطيع أجنحة الفكر أن

---

(١) يقول الإمام الخامنئي دام ظله في بيان هدف الثورة: «إن القضيّة لا تختص بإيران. إيران مطلوبة كنموذج للمجتمعات الإسلاميّة بالدرجة الأولى، وكافة المجتمعات الإنسانية بالدرجة الثانية. أردنا نحن بناء هذا المجتمع بهذه الخصائص - نحن معناها الشعب الإيراني، وثورة إيران، والثوريّون الإيرانيّون، وليس المراد أنا وعدّة أشخاص آخرين - ووضعه أمام كل أبناء البشر والأمة الإسلامية والقول لهم: هذا هو الشيء الّذي يطمح إليه الإسلام ويقدر عليه الناس في هذا الزمن. لا يخال البعض أنَّ هذا شيء منشود لكنه غير ميسور. يقال إنَّ بعض ذوي النوايا الحسنة حتى، كانوا خلال فترة كفاح النهضة الإسلامية يقولون: لِمَ كل هذه الجهود الّتي لا طائل من ورائها. نعم، كلامكم صحيح لكنّه غير ممكن. وأرادت الثورة أن تثبت للجميع أينما كانوا من العالم الإسلامي أنَّ هذا النموذج قابل للتحقق، وهذا هو المثال. كان هذا هدف الثورة. كان هذا الهدف مطروحًا منذ البداية وأقول لكم إنَّه لا يزال قائمًا اليوم أيضًا، وسيبقى في المستقبل. إنَّه هدف ثابت». كلمته في لقائه مع الأساتذة والجامعيين بمحافظة شيراز؛ ٢٠٠٨/٥/٣.

تحلّق بحرية في السماء للوصول إلى أفق الحقيقة. فإنّ أدنى ثغرة كامنة في روح الإنسان قد تقطع عليه طريق تقبّل الوعود الإلهيّة والتدبّر فيها.

وقد تؤول الكثير من الانحرافات الدينيّة إلى عدم الاعتقاد بالمجتمع المهدوي. فلو تعارضت مسيرة أحد بالكامل مع المبادئ المهدويّة، ومن جانب لا بدّ له أن يرى غاية الحياة ونهاية الكمال في المعتقدات المهدويّة، فإنّ الطريق الأسهل له هو إنكار المجتمع المهدوي من الأساس، وإلّا فلا بد له من تغيير مسيرة حياته، أو الاعتراف بخطأ حركته على أقلّ تقدير؛ وهو أمر عسير على الكثير.

وفي هذا، يتضّح دليل عدم اعتقاد المكابرين وعبيد الأموال بالمجتمع المهدوي للعيان، وسعيهم المستمرّ لسلب الاعتقاد من المستضعفين، أو سوقهم إلى عدم الاكتراث - على أقلّ تقدير - بمستقبل خالٍ منهم. علمًا بأنّ المكابرة لا تختصّ بدائرة الأموال والحكم، بل لها أقسام وأنواع عدّة، وبالإمكان ظهورها في شتى المجالات. كأن يقوم طالب العلم في ضمن حوار علميّ بعدم التراجع عن كلامه الباطل حبًّا بالجاه. فهو ضرب من ضروب المكابرة.

وفي المقابل، فإنّ الاعتقاد بتحقّق المجتمع المهدوي يفتح بوجه البشرية آفاق السعادة، وله آثار عديدة في إرساء القواعد الدينيّة لدى المؤمنين، وسوف نشير إلى جملة من هذه الآثار. والحدّ الأدنى للاعتقاد بهذا المستقبل المشرق هو أنّك تتحلّى بسلامة القلب، وهي علامة جيّدة تبعث على الابتهاج؛ وستترك في حياتك المعنويّة الكثير من الخيرات والبركات.

وأساسًا، فإنّ الاعتقاد بالمسائل المعنويّة علامة على سلامة روح الإنسان، وسرعة التصديق بالوعود الإلهيّة ناجمة من صفاء السريرة. فإنّ سرعة التصديق، وإن تكن تارة بسبب السذاجة وهي مذمومة،

غير أنّها تارة أخرى تكون بسبب شدّة الدراية والحكمة وهو أمر مطلوب للغاية. فإنّ الّذي يتمتّع بحكمة ورؤية ثاقبة وسرعة فهم وقوة تحليل، غالبًا ما يؤمن بالوعود الإلهيّة بسرعة. ولكن لا يمكن التغافل إطلاقًا عن دور صفاء السريرة؛ لأنّ الإنسان الذكيّ لو لم يتمتّع بصفاء السريرة، سيستخدم جميع ذكائه في سبيل الباطل.

وكذلك العكس، فإنّ الّذي يتحلّى بصفاء القلب، ولكن لا يحمل النظر الثاقب، قد لا يستطيع في بعض المواطن اختيار الطريق الصائب. ولذا تجده ينخدع سريعًا وينحرف بأدنى تحايل وإغواء. ولو لم يسقط بمواجهة المتحايلين، فلربّما يفقد إيمانه بمواجهة أدنى امتحان أو بافتراض أنّ الوعود الإلهيّة غير منطقية.

وفيما يخصّ الإيمان بالمهدويّة لا بدّ من القول إنّ الساحة زاخرة بالابتلاءات، وإنّ الابتلاءات الإلهيّة للمؤمنين مع اقتراب الظهور وبعده يتبعها الكثير من السقوط كما في الروايات.[1] فمن عَقَدَ إيمانه على

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام لابن أبي يعفور حول أصحاب القائم: «لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمَحَّصُوا وَيُمَيَّزُوا وَيُغَرْبَلُوا وَيَخْرُجُ فِي الْغِرْبَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ». الكافي، ج١، ص٣٧٠.

وقال عليه السلام أيضًا في جواب جابر الجعفي الّذي سأله: مَتَى يَكُونُ فَرَجُكُمْ؟: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتَّى تُغَرْبَلُوا ثُمَّ تُغَرْبَلُوا ثُمَّ تُغَرْبَلُوا يَقُولُهَا ثَلَاثًا حَتَّى يَذْهَبَ الْكَدِرُ وَيَبْقَى الصَّفْوُ». الغيبة للطوسي، ص٣٣٩.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَأَبِي بَصِيرٍ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ»، فَقُلْنَا: «إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ فَمَنْ يَبْقَى؟»، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا فِي الثُّلُثِ الْبَاقِي؟» الغيبة للطوسي، ص٣٣٩، وكمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٥٥، مع اختلاف قليل.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لأبي إسحاق وهو يسأله عن الفرج: «أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تُمَيَّزُوا وَتُمَحَّصُوا وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَقَلُّ ثُمَّ صَعَّرَ كَفَّهُ». الغيبة للنعماني، ص٢٠٨.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَيْهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا وَتُمَيَّزُوا...». الغيبة للطوسي، ص٣٣٦، الغيبة للنعماني، ص٢٠٨.

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «إِنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ وَارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ». كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٧٨.

قليل من المعرفة، وبنى أساس عقيدته على صفاء سريرته، سيسقط في الابتلاءات الصعبة، أو سيستولي عليه الخوف على أقلّ تقدير وسوف لا ينهض للدفاع عن الحقّ بشجاعة تامّة، تلك الّتي تنبثق من العقيدة الراسخة والمعرفة السديدة.

الاعتقاد بالموعود، يستلزم الاعتقاد بأحقيّة الدّين

حريّ بنا هنا أن نشير إلى نقطة مهمّة وهي دور الاعتقاد بـ«تحقّق المجتمع المهدوي» في إثبات «أحقيّة الدين». فلو فقد الاعتقاد بالمجتمع الموعود، لأصبحت جميع مبادئنا الدينيّة في العالم عرضة للتشكيك والتساؤل. إذ إنّ في قبال الكثير من الوصايا الاجتماعيّة للدين والصورة الّتي يرسمها لنا من المجتمع المنشود، يمكن القول بكل بساطة: «ماذا سيكون لو أمكن، ولكن المؤسف أنّه لا يمكن». ومعنى ذلك أنَّ وصايا الدين حتّى لو كانت جيّدة لا يمكن تطبيقها. وعدد القائلين بهذا الرأي – بشتّى التعابير - ليس بالقليل.

نحن لو لم نكن معتقدين بإمكانية تحقّق الدين كلّه، وأنَّه سيتحقّق في يوم من الأيام بصورة شاملة وثابتة، لوقع الدين بأسره عرضة للتشكيك. فلو قمنا بإثبات التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، وتعرّضنا بعد ذلك لبيان الأحكام الإسلاميّة، ولكنّنا غير معتقدين بالمجتمع المهدوي، لا يمكننا عندئذ الدفاع عن أحقيّة الدين بشكل جيد، لماذا؟

لأنّه سيُقال لنا: هذا الدين الّذي تدّعون أنَّه أكمل دين، لم يستقرّ بالكامل في عهد النبيّ الأكرم ﷺ، وذلك لما وجّهه المنافقون من ضربات كبيرة له، وحالوا دون تحقيق القِيَم النبويّة بأسرها، وما تحقّق منه لم يستمر. ولو كان قد استقرّ بالكامل، لتحقّق وعد الله في قوله:

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[١]، ولكان انتشر دين الإسلام في جميع أقطار العالم.

وأهم علامة على عدم استقراره هي الأحداث الّتي جرت بعد النبي ﷺ، حتّى آل المطاف إلى أن يتربّع رجل فاسق مثل يزيد على كرسيّ الحكم بصفته خليفة لرسول الله ﷺ، ثمّ يقول بعد قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «لَعِبَت هاشِمُ بِالمُلكِ فَلا / خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحيٌ نَزَل»[2].

وأمير المؤمنين عليه السلام أيضًا لم يوفّق لتحقيق ما كان يرمي إليه بالكامل، وحكومته الإلهيّة لم تدم أكثر من خمسة أعـوام.[٣] وسائر الأئمة عليهم السلام أيضًا كانوا في الأغلب يعيشون في غربة ومظلوميّة، وكانوا محرومين من حقوقهم الأولى، فضلًا عن أن تؤاتيهم الفرصة لإحلال الدين في المجتمع.

وقد أشار الإمام الخميني قدس سره في كلمته بمناسبة النصف من شعبان إلى هذه المسألة المهمّة حسب تعبيره قائلًا:

«إنّ قضيّة غيبة صاحب العصر، قضية مهمّة توقفنا على العديد من المسائل. منها أنّ الله تبارك وتعالى قد ادّخر المهدي

---

(١) ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾. سورة التوبة، الآية ٣٣، وسورة الصف، الآية ٩.

(٢) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٣٠٧.

(٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قَدْ عَمِلَتِ الْوُلاَةُ قَبْلِي أَعْمَالاً خَالَفُوا فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدِينَ لِخِلاَفِهِ نَاقِضِينَ لِعَهْدِهِ مُغَيِّرِينَ لِسُنَّتِه وَلَوْ حَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى تَرْكِهَا وَحَوَّلْتُهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا وَإِلَى مَا كَانَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَفَرَّقَ عَنِّي جُنْدِي حَتَّى أَبْقَى وَحْدِي أَوْ قَلِيلٌ مِنْ شِيعَتِيَ الّذِينَ عَرَفُوا فَضْلِي وَفَرْضَ إِمَامَتِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّه...». الكافي، ج٨، ص٥٩. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثَبَتَتْ قَدَمَاهُ، أَقَامَ كِتَابَ اللَّهِ كُلَّهُ وَالحقّ كُلَّهُ». الكافي، ج٥، ص٥٥٦؛ تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤٦٣.

الموعود عليه السلام للبشرية من أجل تحقيق هذا العمل العظيم، وهو تطبيق العدالة بمعناها الحقيقي في جميع المعمورة، تلك الّتي لم يسبقه أحد إليها. فقد جاء الأنبياء من أجل تطبيق العدالة، وبغيتهم هي تطبيق العدالة في جميع العالم، ولكن لم يوفّقوا لذلك. حتّى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الّذي جاء لإصلاح البشر ولتطبيق العدالة ولتربية الناس، لم يوفّق لذلك في زمانه، فلم تتوفر الإمكانيّة لأيّ أحد من الأولين والآخرين، وقد توافرت للمهدي الموعود فقط إمكانيّة نشر العدالة في جميع العالم، حيث ادّخره الله تبارك وتعالى لتحقيق ما لم يوفّق إليه الأنبياء مع أنهم جاؤوا لذلك، ولتطبيق ما كان يرمي إليه جميع الأنبياء وجميع الأولياء، ولكن الأسباب حالت دون ذلك»[1].

ويقول الإمام الخامنئي دام ظله أيضًا:

«إذا لم تكن المهدويّة كان معنى ذلك أن كل مساعي الأنبياء وكل الدعوات وكل البعثات وكل هذه الجهود المضنية لا فائدة منها ولا أثر لها. إذًا قضية المهدويّة قضية أصليّة رئيسية ومن أكثر المعارف الإلهيّة أهمية وأصالة. لذلك في كل الأديان الإلهيّة تقريبًا - في حدود اطلاعنا طبعًا - شيء لبابه ومعناه الحقيقي هو نفس هذه المهدويّة»[2].

ومن هنا، فإنّ من الانتقادات الموجّهة لديننا، بل وللأديان الإلهيّة كافّة من دون النظر إلى المجتمع المهدوي، هي أنّ دينكم يحمل بين دفّتَيْه تعاليم قيمة للغاية، ولكن لا يمكن إدارة حكومة من خلاله. كما أنّ أولياء الله أيضًا لم يتمكّنوا من ذلك.

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٢، ص٤٨٠.

(٢) كلمته في الأساتذة والخريجين المتخصصين في المهدوية، ٢٠١١/٠٧/٠٩.

يُنقل أنّ في عصر أحد ملوك الصفويّة، عُقد مجلس بحضور الحاكم. فقام أحد الحاضرين بالحديث عن عدل علي عليه السلام كثيرًا لعلمه بادّعاء ملوك الصفويّة حبّهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام. فعرف الحاكم أنَّه يتحدّث بتلميح وتهكّم. وبعد انتهاء المجلس وذهاب الحاضرين، أشار إليه بالبقاء وقال له: «ما لك تتكلّم بهذا المقدار عن عدل علي عليه السلام؟»

فأجابه أخيرًا، وقال: «كانت لديّ أرض وأخذها رجالك منّي بالقوة ولا أجد من أتظلّم إليه»، فقال الحاكم: «قل لي من الّذي اغتصب أرضك حتّى أعيدها إليك، ولكن لماذا كل هذا الكلام عن عدل علي عليه السلام؟»

قال الرجل للحاكم: «إنك تدّعي حبّ علي عليه السلام، وعليك أن تتصرّف مثله بعدالة»، فأجابه الحاكم: «صحيح بأنّنا نحبّ عليًّا، غير أنّ حكومة علي عليه السلام لم تدم أكثر من خمسة أعوام لعدالته. وأنا أريد أن تدوم حكومتي أكثر»، يريد أن يقول: «لا يمكن الحكم من خلال عدل علي عليه السلام ونهجه».

وهذه هي عقيدة الكثير من المتنصّلين عن الدين الّذين يعتبرون الدين أمرًا لطيفًا، ولا يُستفاد منه سوى لتلطيف روح الإنسان؛ وما زاد عن ذلك فلا للدين أمر محتمل ولا للمجتمع ممكن التطبيق. ومن هنا، يصفون الدين باللّاواقعية معتبرين أنَّه مجرد أشعار وحكايات يتحدث بعبارات مبالغ فيها عن القمم والأساطير البعيدة المنال، ويبيّن أشدّ المواعظ مبالغة وغلوًا ليترك ولو أثرًا إيجابيًّا قليلًا في نفوس المخاطبين.

علمًا بأنّ هذه الرؤية شائعة إلى حدّ ما في أوساط الكثير من

المؤمنين والمتدينين. أي إنّ عددًا من المؤمنين قد ابتلوا بنوع من العلمانية بدرجات مختلفة، وقد تظهر هذه الرؤية في مواقفهم السياسيّة. ولا يعبّرون عن ذلك باللّادينية بل يعتبرون رؤيتهم هذه مزيجًا بين الواقعيّة والمبدئيّة.

فلو سأل سائل: «لو كان دينكم برنامجًا للحياة، وقابل للتطبيق، فلماذا لم تتوافر إمكانيّة تطبيقه على يد النبي ﷺ وأوصيائه المعصومين عليهم السلام؟» لا سبيل لنا سوى أن نعده بالمستقل إلى جانب ذكر الموانع الموجودة في السابق بأدلّة منطقية، ونقول له بأنّ هذا الدين بصفته أفضل برنامج للحياة في هذه الدنيا، ممكن التطبيق، وسيتّضح ذلك عبر ظهور المجتمع المهدوي العالمي في المستقبل.

ولا ينبغي أن نفسّر الحسنات والفضائل الّتي وصّى بها الدين بشكل يؤول إلى اتصافها باللّاواقعية، وإلى ظهور هذا التصور بأن المجتمع لا يمكن إدارته من خلال التعاليم الدينيّة. وعلى أيّ حال، فمن ساقه النظر إلى تاريخ أهل البيت عليهم السلام الزاخر بالمظلوميّة وإلى جميع المظالم الحالة بالبشرية باسم الدين، إلى هذه الرؤية وهي أنَّ التعاليم الدينية خياليّة لا يمكن تحقّقها، فالجواب الوحيد له هو المجتمع المهدوي.

ولهذا، فإنّ الاعتقاد بالمهدويّة يمثّل عاملًا مهمًّا في أن لا يقع أساس المعتقدات الدينية عرضة للتشكيك والتساؤل. ومن هنا، نجد النصوص الدينية تؤكّد بشكل كبير على قضية الموعود. فقد خصص النبي الأكرم ﷺ جزءًا كبيرًا من كلامه في خطبة الغدير

بالحديث عن الموعود[١]، لئلاّ يُتّهم الدين بأنه غير قابل للتطبيق.

ما هو تفسير بكاء الأئمّة على فراق الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف الّذي لم يولد بعد، مع ملاحظة أنّهم يتمتعون بمقام الإمامة أيضًا؟ أليس كذلك في أنّ الإمام سيطبّق بالكامل ذلك الدين الّذي قام بتبليغه جميع الأنبياء والأوصياء، وكانت بغيتهم تطبيقه وإذاقة الناس طعمه؟ أليس كذلك في أنّ الأنبياء كانوا يريدون أن يعرف الناس بأنّ هذا النهج الإلهي هو النهج الأمثل للحياة، والإمام سيُبيّن ذلك للناس عمليًّا والكلّ سيصدّق به؟

ومن جانب آخر، فإنّ من الطرق الموصلة للاعتقاد بالدين هو الاعتقاد بالموعود والمجتمع المنشود، لا سيّما في هذا الزمان الّذي عمدت المظاهر الماديّة المغرية في الحضارة الغربيّة إلى أن تعرّف نفسها

---

(١) يروي الإمام باقر عليه السلام القصة والخطبة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم. فقد أشار النبي في مقاطع مختلفة من هذه الخطبة إلى الإمام المهدي عليه السلام وصفاته ورسالته بالتفصيل قائلًا: «مَعَاشِرَ النَّاسِ! آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الّذي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها. مَعَاشِرَ النَّاسِ! النُّورُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ مَسْلُوكٌ، ثُمَّ فِي عَلِيٍّ ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ الّذي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا. لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِّرِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَالْمُخَالِفِينَ وَالْخَائِنِينَ وَالْآثِمِينَ وَالظَّالِمِينَ وَالْغَاصِبِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ... مَعَاشِرَ النَّاسِ! أَلَا وَإِنِّي مُنْذِرٌ وَعَلِيٌّ هَادٍ. مَعَاشِرَ النَّاسِ! إِنِّي نَبِيٌّ وَعَلِيٌّ وَصِيِّي. أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الْأَئِمَّةِ مِنَّا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ. أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ. أَلَا إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ. أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونِ وَهَادِمُهَا. أَلَا إِنَّهُ قَاتِلُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ. أَلَا إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثَارٍ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَلَا إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ. أَلَا إِنَّهُ الْغَرَّافُ مِنْ بَحْرٍ عَمِيقٍ. أَلَا إِنَّهُ قَسِيمُ كُلِّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلِّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ. أَلَا إِنَّهُ خِيَرَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ مُخْتَارُهُ. أَلَا إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمُحِيطُ بِهِ. أَلَا إِنَّهُ الْمُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُنَبِّهُ بِأَمْرِ إِيمَانِهِ، أَلَا إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّدِيدُ. أَلَا إِنَّهُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ. أَلَا إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. أَلَا إِنَّهُ الْبَاقِي حُجَّةً وَلَا حُجَّةَ بَعْدَهُ وَلَا حَقَّ إِلَّا مَعَهُ وَلَا نُورَ إِلَّا عِنْدَهُ. أَلَا إِنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُ وَلَا مَنْصُورَ عَلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحَكَمُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ. مَعَاشِرَ النَّاسِ! قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ وَهَذَا عَلِيٌّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدِي». الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٦١-٦٣. وكذلك التحصين للسيد بن طاووس، ص٥٨٥-٥٨٦.

بأنّها هي نفس ذلك المجتمع الموعود. ففي مثل هذه الظروف، يجب التصديّ لإظهار عيوب هذه الحضارة الغربيّة عبر بيان خصائص المجتمع المهدوي الّذي يمثل حالتنا المنشودة، وذلك لإنقاذ الأفكار من الوقوع في فخ هذه الحضارة الزائفة ولهدايتهم إلى الحضارة الإسلاميّة الأصيلة.

فلو تمّ تبيان الحضارة المهدويّة وخصائصها لأولئك المولعين والوالهين والخائبين في الوقت ذاته بالحضارة الغربية (الّذي ولعوا بالمبادئ الإنسانيّة السارية في شعارات الحضارة الغربيّة وذاقوا كذلك الطعم المرّ لكذبها وزيفها)، سيُدركون محاسنها قبل الآخرين لا محالة، وسوف يؤمنون بدين الإسلام بسبب هذه النهاية الحسنة أفضل وأسرع من غيرهم.

إنّ الّذين يؤمنون بدين الإسلام قد يتّخذون هذا الدين لأسباب بسيطة. كما قيل إنَّ معظم الزنوج في سجون أميركا قد اعتقنوا الإسلام. فإنّ النزوع نحو دين الإسلام في أوج الشدّة واليأس، ومن أجل تسكين الروح لا قيمة له بذلك المعنى. في حين أنّنا لو استطعنا أن نهدي الطبقة المتوسطة في المجتمع الغربي إلى الموعود، تلك الّتي كانت قد علّقت آمالها على الشعارات ووصلت عمليًّا إلى بطلانها وهي مستعدّة لاستبدال الحضارة الغربيّة بفكر جديد، فقد زعزعنا أسس الحضارة الغربيّة في الرأي العام.

وفي هذا الطريق، لا ينبغي أن ننتظر اقتناع بعض المثقّفين المغتربين في الداخل، ثمّ التصدي لتنوير الرأي العام في العالم؛ لأنّ من هو في معرض النور، وتجده قابعًا في الظلمة، فإنّه قد لا يصل إلى النور إطلاقًا.

إشكالات في طريق الاعتقاد بالموعود (تحقّق الوضع المنشود)

لا بدّ من الاعتراف بأنّ الاعتقاد بتحقّق الوضع المنشود مقرون بالصعوبات. فبغضّ النظر عن رفض غير المعتقدين الّذين يستهزئون بكلّ النداءات الإلهيّة الغيبيّة، هناك أناس متذرّعون مرتابون يتسبّبون

دومًا في إطالة الحوارات والنقاشات. فإنّهم وإن يوجبون تنمية علميّة كاذبة ويُنعشون سوق البحوث العلميّة إنعاشًا ليس مفيدًا، ولكنهم يبعّدون طريق الوصول إلى المقصد. ولو كان الرأي العام في متناول أيديهم لعمدوا وبكل وقاحة إلى زرع الشك والريب في قلوب الناس.

وبالإمكان الاستماع إلى آخر الاحتجاجات الصادرة عن أمثال هؤلاء الناس، وصدّ آخر مقاومتهم من خلال استعراض الأدلّة الكافية. ولكن لا عجب إن استمروا في رفضهم (لأنه لا يُتوقّع من المتذرّعين سوى ذلك). ولا بدّ من الاكتفاء بإنقاذ الناس من إشاعتهم للشبهات. فإنّ التذرّع لعدم الإيمان بالوعود الإلهيّة، سنّة سيّئة في القلوب المريضة الّتي قد لا تستيقظ بتاتًا.

ومن أجل إزالة الإشكالات الاعتقاديّة، لا بدّ في البدء من تحجيم أرضيّات التذرّع، ولا يتيسّر ذلك إلا بتنمية المعرفة وبسطها. وفيما يلي نستعرض معًا بعض هذه الإشكالات لنتمكّن من اجتيازها بشكل أمثل:

الإشكال الأول: لو كان ذلك المجتمع الموعود ممكن التحقيق، فهل سيتحقّق عبر الالتزام بكل المبادئ الّتي كان التزم بها الرسول الأكرم ﷺ وأوصياؤه عليهم السلام؟ المبادئ الّتي تؤدّي إلى استخدام القوة إلى الحد الأدنى والمرونة إلى الحد الأعلى، المبادئ الّتي تستلزم مراعاة الكرامة الإنسانيّة، والّتي يؤدي الالتزام بها إلى إتاحة الفرصة لاستغلال المنافقين وتأثير عناد الكافرين. (وبالطبع كلّنا يعلم أنّ الالتزام بنفس هذه المبادئ هو الّذي سبّب أن يتعرّض المعصومون عليهم السلام للظلم، ولكنَّه آل في نهاية المطاف إلى اتّضاح أحقيّتهم. ومعلوم أيضًا أنَّ الالتزام بنفس هذه المبادئ قد وهب للمجتمع المهدوي أهميّة بالغة ولانتظاره قيمة متزايدة).

ولو كان من المقرر أن يتحقّق المجتمع المهدوي عبر الالتزام بتلك

المبادئ، ألا يكون الحقّ مظلومًا للمرة الثانية؟ ولو أنّنا نسمع بأنّ الإمام سيستخدم السيف لاستئصال شأفة أعداء الدين،(١) ألا يعدّ ذلك نقضًا لتلك المبادئ؟

قد لا يبدو هذا الإشكال وجوابه مهمَّيْن للوهلة الأولى، غير أنّ أهمية هذه المسألة تظهر عندما نعرف أنَّ البعض – كما جاء في الروايات – ينحرف ويتّهم الإمام بالخشونة والقساوة؛ لأنَّه لا يحمل تحليلًا صحيحًا عن سبب شدّة الإمام في تعامله مع المنافقين.

تكمن أهمية مثل هذه الأسئلة والأجوبة في أننا لو أدركنا زمن حضور الإمام وسمعنا بشدة الإمام في تعامله مع المنافقين، سنحمل تحليلًا صحيحًا عن ذلك لئلّا نقع في تلك الانحرافات ،ولا نتهم الإمام بالخشونة والعياذ بالله.

الإجابة عن هذا السؤال تميط اللثام عن إمكانية تحقّق ثورة الإمام

---

(١) يقول الإمام الباقر عليه السلام حول الإمام الثاني عشر: «إِذَا قَامَ سَارَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلاَّ أَنَّهُ يُبَيِّنُ آثَارَ مُحَمَّدٍ وَيَضَعُ السَّيْفَ عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ هَرْجًا هَرْجًا حَتَّى رَضِيَ اللَّهُ». الغيبة للنعماني، ص١٦٤. وقال في رواية أخرى: «سُنَّةٌ مِنْ مُوسَى وَسُنَّةٌ مِنْ عِيسَى وَسُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ وَسُنَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ... وَأَمَّا مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَالْقِيَامُ بِسِيرَتِهِ وَتَبْيِينُ آثَارِهِ ثُمَّ يَضَعُ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٣٢٩.

وفي طريق العودة من حرب الجمل، أخذ أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن الفتن في ضمن الإجابة على أسئلة الناس، حتى قال رجل آخر فقال: ثُمَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يُفَرِّجُ الْفِتَنَ بِرَجُلٍ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ يَسُومُهُمْ خَسْفًا وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ فَلَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ هَرْجًا هَرْجًا يَضَعُ السَّيْفَ عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَدَّتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ ذَلِكَ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ أَوْ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْضَ الّذي يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَقُولُ قُرَيْشٌ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ لَرَحِمَنَا فَيُغْرِيهِ اللَّهُ بِبَنِي أُمَيَّةَ فَيَجْعَلُهُمْ مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا». الغارات، ج١، ص٣. وكذلك نهج البلاغه، الخطبة ٩٣؛ والغيبة للنعماني، ص٢٢٩، ح١١، مع اختلاف يسير.

وحكومته، ومراحل تشكيلها، وإرساء قواعدها (وتُنمّي المعتقدات في هذا المجال)، وتكشف السر أيضًا عن مظلوميّة أولياء الله؛ السرّ الّذي يلعب دورًا هامًّا في فهم الدين بشكل صحيح، ومعرفته تحول دون تكرار هذه الظلامات.

وعلى سبيل المقدّمة ولاتضاح السؤال أكثر، نقول إنّ الأسس المهمّة في دين الإسلام هي مراعاة كرامة الإنسان، إلى درجة يمكن أوّلًا أن يترعرع المنافقون في المجتمع الديني، (وهم الّذين يُبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان والإسلام)، وأولياء الله بكرمهم، يُغلقون أبواب التجسّس والإفشاء من خلال علم الغيب أو بعض المعلومات الطبيعيّة، ويسترون عيوب المنافقين عبر التعامل معهم إنسانيًّا. وثانيًا، تُتاح للمنافقين الفرصة بأن يحبطوا بعض تدابير أولياء الله. ويكتفي أولياء الله أيضًا في الأغلب بالإفشاء العام وتنمية البصيرة، ولا يشيرون بأصابع الاتّهام إليهم مباشرة إلّا إذا كشف المنافقون الستار عن وجوههم الحقيقيّة، أو تسبّبوا بتهديد المجتمع الديني بأخطار جسيمة.

ومن الطبيعي في ظلّ هذا المنهج، أن ينحرف الضعاف من المؤمنين بواسطة المنافقين بسهولة، وأن يستولي اليأس واللبس على عامّة الناس أيضًا، متأثرين بهذه الأجواء السائدة.

وهناك أيضًا وجهٌ آخر للاهتمام بكرامة الإنسان، وهو المهلة الّتي يُمهلها الله لعامّة الناس من أجل أن يميّزوا الحقّ عن الباطل بفكرهم وطينتهم الطاهرة. فإنَّ فرصة التفكير والتحليل الّتي يوفّرها الله للناس هي ضرب من ضروب تكريم الإنسان، وإن كان أولياء الله يحتملون أنواع المظلومية في هذا الطريق.

واحدة من مصاديق هذا الإمهال في مسألة مراعاة كرامة الإنسان في صدر الإسلام، هو عدم إفشاء أسماء المنافقين. فقد أشار القرآن

الكريم إلى علامات المنافقين[١]، ولم يذكر أسماءهم في مجتمع المدينة الصغير. إلّا أنّ المنافقين كانوا قلقين من أن يفضحهم الله عبر الوحي.[٢]

وقد اتّبع النبي الأكرم ﷺ نفس هذا المنهج، فكان يشير إلى المصاديق بالتلميح على وجه العموم وبالتصريح على وجه الخصوص. ومن الأمثلة البارزة لهذا الأسلوب في التعامل هو محاولة الإغتيال الفاشلة للنبي ﷺ عند عودته من غزوة تبوك:

ففي طريق العودة من غزوة تبوك، تآمر جمع من المنافقين على اغتيال النبي ﷺ، وذلك بإسقاطه من أعلى الجبل. فأخبر جبرائيل الأمين النبي ﷺ بهذه المؤامرة. فوضع رجلَيْن من أصحابه حماية له، وأحبطوا مؤامرة المنافقين، وعرفوا المتآمرين بأجمعهم؛ حيث كانوا من وجوه المدينة، وأرادوا مجازاتهم على صنيعهم هذا، فمنعم النبي من ذلك، ولم يسمح لهم بذكر أسمائهم.[٣]

---

(١) تعرض القرآن الكريم في سورة المنافقون والآية ٤٩ - ٧٤ من سورة التوبة، لبيان علامات المنافقين.

(٢) ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾. سورة التوبة، الآية ٦٤.

(٣) الميزان، ج٩، ص٣٢٥ - ٣٤٩، في ذيل الآية ٦٤ - ٧٤ من التوبة. تعرض العلامة الطباطبائي في ذيل هذه الآيات إلى بحث تفسيري وروائي مبسوط. وفيما يلي نشير إلى ما استخلصه العلامة من هذه الآيات قائلًا: «فيتلخص من الآيات أنّ جماعة ممن خرج مع النبي ﷺ تواطؤوا على أن يمكروا بالنبي ﷺ، وأسروا عند ذلك فيما بينهم بكلمات كفروا بها بعد إسلامهم ثم هموا أن يفعلوا ما اتفقوا عليه بفتك أو نحوه فأبطل الله كيدهم وفضحهم وكشف عنه...».
وقد ذُكرت هذه الحادثة في الكثير من المصادر الشيعية والسنية، منها: الخصال للشيخ الصدوق، الاحتجاج للطبرسي، العمدة، تفسير الثعلبي، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، إعلام الورى، تفسير التبيان نقلًا عن مصادر أهل السنة، قصص الأنبياء للراوندي، البداية والنهاية لابن أثير الّذي نقل هذه الواقعة عن تاريخ البيهقي وصحيح مسلم ومسند أحمد بن حنبل. ومما ذكره نقلًا عن تاريخ البيهقي عن حذيفة بن اليمان قال: «كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقود به وعمار يسوق الناقة... قلنا يا رسول الله: أولا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: لا، أكره أن يتحدث العرب بينها أن محمدًا قاتل لقومه». البداية والنهاية، ج٥، ص٢٠.

فواصل هؤلاء المنافقون مسيرتهم، وبقيت لهم مكانتهم المرموقة في المجتمع الإسلامي المدني، ودبّروا خططًا أخرى وطبقوا بعض مؤامراتهم، واكتسبوا نجاحًا ملحوظًا في النيل من الحقّ. وهذا ما هو مشهود في عهد أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا، ولا بد من التعرّض لذلك في البحث عن سيرته السياسية.

والسؤال المهم هنا هو أنّ من يريد أن يحكم بهذه الطريقة، وأن يراعي كرامة الناس إلى هذا المستوى، فهل ستستمر حكومته؟ ولو أنَّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف سينتهج نهج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حكومته، فهل هو أمرٌ قابلٌ للتحقّق؟ وهل ستدوم حكومته؟

والمسألة المهمّة الّتي يجدر الاهتمام بها إضافة إلى ما ذُكر، هي أنّ النفاق يعدّ من بدايات العوارض الطبيعية لسيادة القِيم في المجتمع. فإنّ المبادئ والقيم إذا سادت في مجتمع ما، سواء كانت سيادة ثقافية (شيوع القيم في المجتمع) أو حكوميّة، ستؤول بالتالي إلى ظهور النفاق؛ لأنّ من لا يؤمن بقيم المجتمع، ينساق إلى التظاهر والنفاق من أجل الحفاظ على موقعه ومكانته الاجتماعيّة. وعلى الرغم من أنَّه يرفض المبادئ، يظهر بمظهر إنسان مبدئي مدافع عن القيم والمبادئ. أو أنَّه يساير المبادئ ظاهريًّا على أقلّ تقدير، ولكن من الواضح أنَّه لا يستطيع مواصلة الطريق. فيبدأ بالتدرّج وتوجيه الضربات الخفيّة. علمًا بأنَّ للنفاق أقسامًا وحدًّا أدنى وأعلى، ولا بدّ من التعرض لذلك في محله. ولكن على أيّ حال، فإنَّ النفاق ظاهرةُ مشؤومةٌ يبتلى بها كل مجتمع مبدئي بصورة طبيعيّة.

والإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف الّذي سيؤسّس مجتمعًا مبدئيًّا دينيًّا على صعيد العالم، من الطبيعي أن يكون المعارض الأوّل لهذا المجتمع

هو النفاق. ومن جانب آخر، فإنّ الإمام سيقوم باجتثاث النفاق في هذه الحكومة الدينيّة نفسها، كما نقرأ في دعاء الندبة: «أَيْنَ هَادِمُ أَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ؟»[1]، ونقرأ أيضًا في ليالي شهر رمضان: «اَللّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيك في دَوْلَةٍ كريمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَأَهْلَهُ»[2].

فإن كان نهج وسيرة أولياء الله في التعامل مع النفاق، هو عدم إفشاء سرّ المنافق وفضحه، ففي هذا الحالة كيف سيتمّ «اجتثاث» أساس النفاق؟ كيف يُذَلّ النفاق؟ كيف يمكن تحقيق هذه المسألة إلى جانب الحفاظ على كرامة الإنسان؟

بالإضافة إلى أنّ المؤمنين الحقيقيّين في المجتمع الديني، يتحلّون بصفات يؤدّي بعضها إلى خفاء وعدم اكتشاف ضروب من النفاق. وعلى سبيل المثال، إذا كان المؤمن لا يبحث عن مقام وجاه وشهرة وسمعة إلّا إذا اضطّر لتقبل المسؤوليّة أداءً للتكليف، سيقوى احتمال وقوع المناصب بيد الشخص الحريص. وإن كان المؤمن يغضّ الطرف عن أخطاء الآخرين أو حتى يتبنّى أخطاءهم، سيتوفّر احتمال تأخّر افتضاح أهل النفاق المحيطين به. وإذا كان المؤمن مخلصًا يعمل لوجه الله ولا يريد أن تُكتب باسمه إنجازاته الحسنة، فلربّما تُسجّل خدماته باسم غيره. وإن كان المؤمن حَيِيًّا ولا يتصيّد أخطاء الآخرين، فمن الواضح في ظلّ مكارم أخلاقه أن تُتاح الفرصة لظهور مكائد المنافقين.

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وأيضًا إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٧.

(٢) مقطع من دعاء الافتتاح الوارد عن الإمام الكاظم عليه السلام الّذي يُقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك، تهذيب الأحكام، ج٣، ص١١٠. وكذلك جزء من خطبة الجمعة الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام، الكافي، ج٣، ص٤٢٤.

في مثل هذه الظروف، كيف ستدوم حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟ وإن كانت الفرصة مؤاتية لصولة المنافقين، ومن الممكن أن يجتمع عدد من المنافقين الانتهازيّين لهدم كل الجهود. فهل يمكن تحقّق المجتمع المهدوي رغم هذه المشاكل؟ وكيف يمكن منع النفاق من النمو في عهد الإمام بل يُذلّ أيضًا مع حفظ كرامة الإنسان؟

الجواب هو أنَّ «الالتزام برعاية الكرامة الإنسانيّة» كان وسيكون واحدًا من خصائص الأئمّة المعصومين عليهم السلام. غير أنَّ افتضاح النفاق وذلّته سيتحقّق إثر أدلة أخرى. فبصيرة الناس من جانب، وكثرة الخواص الصالحين من جانب آخر، بالإضافة إلى شدّة الإمام في التعامل مع الخواص الصالحين المحيطين به والّذين هم من ولاته، توجب ذلّة المنافقين وافتضاحهم.

إذا تمّ التعامل مع الولاة بشدّة، لا يلجأ أحد للنفاق طمعًا للوصول إلى المقام. وإذا كثُر عدد الخواص الصالحين، لا يستطيع الخواص الطالحون أن يضغطوا على وليّ الأمر للوصول إلى مآربهم. وإذا كان الناس من أهل البصائر، سيفتضح أدنى ما يقوم به شخص من تصرّف منافق، ولا حاجة عندئذ لاكتشاف النفاق إلى إفشاء أسمائهم من قبل الإمام. وعند ذلك لا يسوغ الترحّم على المنافقين؛ لأنهم من جانب كانت لديهم الفرصة الكافية لاختيار الطريق الصحيح، ومن جانب آخر، يحقّ للناس الّذين تحلّوا بالبصيرة وعرفوا المنافقين أن يعيشوا بسلام واستقرار عبر القضاء عليهم. فقد حُفظت كرامة المنافقين؛ لأنّ الفرصة كانت متوفرة لديهم، وهم الّذين فضحوا أنفسهم، ولوحظت كرامة عامّة الناس أيضًا؛ لأنهم هم الّذين اتّصفوا بالبصيرة وفضحوا المنافقين.

فلو شاهدنا أنَّ الإمام يعمل في الظاهر على خلاف سيرة آبائه الطاهرين، فليس دليله بأنَّ تلك الأسس قد ارتفعت، بل لأنَّ الأرضيّة قد تهيّأت لتطبيق أسس أخرى[1]. ومن أهم تلك الأسس، هو تطبيق حكم الله بشأن المنافقين حيث قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، ولو أنّ الجهاد مع المنافقين والغلظة عليهم قلّما نشهدها في صدر الإسلام. فإنّ ذلك ناجم من قلّة البصيرة

---

(١) عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: صَالِحٌ مِنَ الصَّالِحِينَ سَمِّهِ لِي - أُرِيدُ الْقَائِمَ عليه السلام - فَقَالَ: اسْمُهُ اسْمِي. قُلْتُ: أَيَسِيرُ بِسِيرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا زُرَارَةُ. مَا يَسِيرُ بِسِيرَتِهِ. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لِمَ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله سَارَ فِي أُمَّتِهِ بِاللِّينِ [بالمِنّةِ]، كَانَ يَتَأَلَّفُ النَّاسَ، وَالْقَائِمُ عليه السلام يَسِيرُ بِالْقَتْلِ، بِذَلِكَ أُمِرَ فِي الْكِتَابِ الّذي مَعَهُ، أَنْ يَسِيرَ بِالْقَتْلِ وَلَا يَسْتَتِيبَ أَحَدًا، وَيْلٌ لِمَنْ نَاوَاهُ». الغيبة النعماني، ص٢٣١.

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «لَسِيرَةُ عَلِيٍّ عليه السلام فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَتْ خَيْرًا لِشِيعَتِهِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. إِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ لِلْقَوْمِ دَوْلَةً فَلَوْ سَبَاهُمْ لَسُبِيَتْ شِيعَتُهُ. قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْقَائِمِ عليه السلام يَسِيرُ بِسِيرَتِهِ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام سَارَ فِيهِمْ بِالْمَنِّ لِلْعِلْمِ مِنْ دَوْلَتِهِمْ، وَإِنَّ الْقَائِمَ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ يَسِيرُ فِيهِمْ بِخِلَافِ تِلْكَ السِّيرَةِ، لِأَنَّهُ لَا دَوْلَةَ لَهُمْ». الكافي، ج٥، ص٣٣.

وعَنِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُون قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِسًا فَسَأَلَهُ مُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ: أَيَسِيرُ الْقَائِمُ عليه السلام بِخِلَافِ سِيرَةِ عَلِيٍّ عليه السلام؟ قَالَ: «نَعَمْ وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا سَارَ بِالْمَنِّ وَالْكَفِّ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ شِيعَتَهُ سَيُظْهَرُ عَلَيْهِمْ [مِنْ بَعْدِهِ] وَإِنَّ الْقَائِمَ إِذَا قَامَ، سَارَ فِيهِمْ بِالسَّيْفِ وَالسَّبْيِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ شِيعَتَهُ لَمْ يُظْهَرْ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا». تهذيب الأحكام، ج٦، ص١٥٤؛ الغيبة للنعماني، ص٢٣٢.

علمًا بأنّ بعض الروايات تشير إلى أنّ الإمام يعمل على سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام في موضوع معين. (كالأحاديث الواردة في الهامش ص ؟؟؟) وبأدنى تأمّل يتضح أن لا تعارض بين هاتين الطائفتين من الروايات ويمكن الجمع بينهما. فإن الإمام عليه السلام يسير في بعض المسائل على سيرة النبي صلى الله عليه وآله ويخالفه في البعض الآخر لتوافر أرضية تطبيق بعض الأحكام والأسس الّتي لم تكن متوافرة آنذاك.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣.

عند الناس وقلة الخواص العارفين.[١] وهذان العاملان يمثلان جزءًا من أسرار وأسباب مظلوميّة أولياء الله.

الإشكال الثاني: أساسًا لا يتحقّق الوضع المنشود بالكامل في ظلّ حكومة الموعود إلّا إذا انتهج الناس كلّهم النهج الإلهي. بيد أنّ التجربة التاريخيّة لحياة البشر تكشف بأنّ أكثر الناس لا يخضعون للأوامر الإلهيّة. فكيف أنّهم سيتّبعون الحقّ بعد ظهور الإمام بصورة شاملة وثابتة، ويعبّدون الطريق لاستقرار الحكومة الموعودة واستدامتها؟ هل ستتغيّر ذائقة الناس تغييرًا غريزيًّا خاصًّا، أم أنّ الخوف من حاكميّة الدين تسلب منهم التجرّؤ على المعصية؟ وبعبارة أخرى، هل ستسلب قدرة التفكير ضدّ الحقّ، أم سترتفع أرضيّة الحديث عن الآراء الباطلة من الأساس؟

يكمن الجواب عن هذه الأسئلة في سرّ حاكميّة الحقّ. ولعلّ أهم سرّ لحاكميّة الولاية الإلهيّة المطلقة هو أنّ المكر والجور سينقضي أمدهما في ظلّ هذه الحكومة، لا سيّما إذا وصلت إلى ذروة اقتدارها، وانقضاء فترة الطغيان وتحرّر الناس من أسر الطواغيت يوجب تعبيد الطريق لهدايتهم. وفي مثل هذه الأوضاع، سيتقبّل أكثر الناس الحقّ عقلًا وقلبًا وبصورة طبيعيّة جدًّا، وسيتّخذون تلقائيًّا موقفًا صحيحًا تجاه الدين؛ ذلك الموقف الّذي تقتضيه الفطرة ويؤكّد عليه الأنبياء.

---

(١) فعلى سبيل المثال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبب عدم مجازاة المتآمرين على قتله: «أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ». وذلك لفقدان البصيرة عند الناس. إعلام الورى، ص١٢٣. وأمير المؤمنين أيضًا لم يتعامل بشدة مع المنافقين حفظًا لشيعته، وأما في زمن ظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه، فسيتم التعامل مع المنافقين كالكفار، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «ثُمَّ يَدْخُلُ الْكُوفَةَ فَيَقْتُلُ بِهَا كُلَّ مُنَافِقٍ مُرْتَابٍ». الإرشاد للمفيد، ج٢، ص٣٨٤. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا كَافِرٌ أَوْ مُنَافِقٌ». بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٨٦.

على أساس هذا التحليل، فإنّ سبب أكثر الانحرافات والزلّات في الوقت الحاضر، هو عدم حاكميّة الحقّ، وبتعبير أدق حاكميّة الطاغوت. وقد صرّح القرآن بذلك معتبرًا أنَّ الطاغوت أشدّ وقعًا على الناس من الكفر، حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾.[1]

وإذا ما نظرنا اليوم إلى ساحة الفكر والعلم، لوجدنا بوضوح أنّ العلم لم يسلك طريقه الطبيعي، وأنّ هذه الأفكار الباطلة لم تتبلور إثر التفكير البشري. ولو أمعنّا النظر، لوجدنا أنّ الأفكار اللّاإنسانية واللّادينية هي إما وليدة هيمنة الطواغيت الفاسدين والمفسدين، أو نتيجة غير مباشرة للفساد والظلم الّذي أحلّوه بالمجتمعات البشريّة. وغالبًا ما نجد العلم والفكر على مرّ التاريخ رازحًا تحت سيطرة الجائرين

---

(١) سورة البقره، الآية ٢٥٧.

في خصوص معنى الآية، أشكل البعض بأن الكافر كيف يكون له نور أو أنه في نور حتى يُخرجه الطاغوت من النور إلى الظلمة. يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان، في ذيل هذه الآية: «... لكن يمكن أن يقال: إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة، هو نور إجمالي يقبل التفصيل، وأما بالنسبة إلى المعارف الحقّة والأعمال الصالحة تفصيلًا فهو في ظلمة بعد لعدم تبين أمره، والنور والظلمة بهذا المعنى لا يتنافيان ولا يمتنع اجتماعهما، والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلًا، والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصي التفصيلية». الميزان، ج٢، ص٣٦٤.

ويقول آية الله الشيخ مكارم الشيرازي: «يمكن أن يقال أنّ الكفّار ليس لهم نور فيخرجوا منه، ولكن مع الالتفات إلى أنّ نور الإيمان موجود في فطرتهم دائما فينطبق عليه هذا التعبير انطباقًا كاملًا». الأمثل، ج٢، ص٢٦٦.

ويقول آية الله الشيخ جوادي الآملي في تفسير هذه الآية: «ثمرة التمسّك بالعروة الوثقى، هي الإيمان الأمثل والنور، ونتيجة تقبل ولاية الطاغوت، هي ازدياد الكفر والظلمة. فإنّ الله يتولّى المؤمنين ويدفع أو يرفع عنهم الظلمة؛ أما الطاغوت الّذي هو عدوّ للمؤمن والكافر، فهو يُلقي درس الطغيان ويرفع بذلك نور الفطرة ويدسّ الكافر في الظلمة». تفسير تسنيم، ج١٢، ص١٩٤.

وعبّاد الأموال، وكلّما اقتضت الظروف، استخدموا العلم وسيلة لتحقيق مطامعهم والوصول إلى مآربهم.

وعندما يصل الناس إلى الحرية الكاملة على أثر حاكميّة الولاية، وتوضع عن أفكارهم الأغلال والسلاسل،[١] يتفكّرون ويتحدثون بشكل صحيح. وفي هذه الصورة تقترب المسافة من شمس الحقيقة، ويغطّي النور الخافقين. ولا تبقى إلّا الخفافيش الميّالة إلى الظلمة الّتي انتهجت سوء التفكير لمرض في قلبها. فهم حينما لا يجدون موقعًا لهم في أوساط أهل البصائر، سيختمون على أفواههم الثرثارة، ولا يبقى مجال لمهاتراتهم الّتي لا طائل من ورائها في المجتمع.

ولا بدّ أن يّعنى بهذه المسألة كلّ من ينزع إلى الأدب والثقافة طلبًا للراحة؛ وهي أنَّه لا يمكن هداية الخلق من دون السعي لإقامة حكومة الحقّ، ولا يمكن بسط المعرفة والمعنويّة من دون إمساك زمام الحكم. فإنَّ دائرة تأثير أيّ جهد لهداية الناس في عهد حكومة الطاغوت محدودة للغاية.

هناك آية قرآنيّة مشهورة توصي بتزكية النفس، وتدعو المؤمنين بأن يتعرّضوا لأنفسهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾.[٢] ولعلّ البعض بعد نزول هذه الآية، أخذ يتساءل في نفسه: هل نترك المجتمع إذن ونهتم بأنفسنا؟ فسألوا النبي عن المراد من هذه الآية، فقال: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا

---

(١) ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَـٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) سوره مائدة، الآية ١٠٥.

وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[1]. (وسيرد البحث لاحقًا حول سبب عدم تقدّم تزكية النفس ومواطن استثنائه).

ونشاهد في تاريخ الإسلام أيضًا بأنّ الأئمّة الثلاثة الأوائل صرفوا كلّ اهتمامهم الشريف بمسألة الولاية، وبذلوا بالغ جهدهم لإنقاذ الولاية الاجتماعية من يد الغاصبين وهدايتها إلى مجراها الصحيح قدر المستطاع. وعندما منعت الظروف باقي أئمّتنا من تحقيق هذا الهدف، لجؤوا إلى التعليم والتربية وأعدّوا مائدة الدرس والبحث، وسجّلوا المعارف النبويّة للأجيال القادمة.

ولا يُدرك الاستراتيجيّة المتبّعة من قبل الأئمّة الثلاثة الأوائل، إلّا من يحمل نظرة ثاقبة وفكرًا استراتيجيًّا في المسائل المختلفة كسماحة السيّد القائد. يقول الإمام الخامنئي (دام ظله) حول مدى أهميّة وأولوية إقامة الحكومة بالنسبة إلى أمر التعليم والتربية:

«إنّ الوضع الحالي - أي الوضع القائم للدولة الإسلاميّة - يبقى أفضل ألف مرة ربّما من أحسن الأحوال الّتي يمكن للإنسان فيها أن يقوم بنشر ومتابعة وتحقيق المبادئ الإلهيّة في عهد الطاغوت. فإذن ينبغي تقدير كل ذلك»[2].

أكثر حقل اعتقادي للدين جاذبية

لو تمّ هذا التصديق بعد ذلك التصور الصحيح حيال الوضع المنشود، سيكون مبعثًا للهياج والاندفاع. فإنّ الاعتقاد بالموعود

---

(١) تفسير الميزان، ج٦، ص١٧٧، نقلاً عن مصادر متعددة؛ مصباح الشريعة، ص١٨. كما نقلت هذه الرواية الكثير من التفاسير الشيعيّة والسنيّة في ذيل هذه الآية.

(٢) كلمته في مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ ٢٠٠٠/١٢/٠٢.

والمهدويّة رأسمال كبير الجاذبية للمعتقدات الدينيّة. وهو نفس ذلك الاعتقاد الّذي يُعرّف الإسلام دومًا كدين منتَظَرٍ لم تظهر محاسنه كلّها بعد، وتوجد في مكنونه أسرار خافية كثيرة؛ كالجبل الشاهق الّذي لم يظهر منه إلا جزء قليل، والجزء الأعظم منه مخفيٌّ تحت البحار. ومن المقرر أن يظهر هذا الجبل بأكمله إلى العيان.

وعلى الرغم من وجود روائع جذّابة سارية في شريان الدين، ولكلّ منها صبغة خاصة، ولكن لا يصل أيٌّ منها إلى جاذبية هذا الاعتقاد المؤثّر. فلو وصلت بعد تصوّر الوضع المنشود إلى تصديقه، سيكون مبعثًا للسعادة.

وأحيانًا كلّما تحدثت عن رسول الله ﷺ وأوصيائه الطاهرين، لا تتلمّس تغييرًا في نفوس البعض، ولكن إذا ما تحدثت عن الموعود بصورة اعتقاديّة مقنعة، ستشهد تغييرًا ملحوظًا في القلوب. ودليل هذا التحوّل والاندفاع يكمن في «تجسيد كلّ الوعود الإلهيّة» و«تجلّي جميع آيات الله».

أولئك الّذين يشهدون نبيًّا من الأنبياء ويرون معاجزه كنماذج صغيرة من قدرته الفائقة، أو يسمعون منه آيات متضمّنة للوعود الإلهيّة، كيف سينتابهم السرور والابتهاج؟ والآن لو رأوا بأعينهم تحقّق جميع الوعود الإلهيّة وشاهدوا معاجز على الصعيد العالمي، كيف ستكون حالهم؟ إنَّ العقيدة الراسخة بالموعود، بإمكانها أن تبعث في قلب المؤمن هذا الابتهاج الّذي ليس له نهاية؛ وكأنّ ذلك الزمن قد تحقّق حاليًا، بحيث أنّ مشاهدة تلك الوقائع العظيمة لم تزده يقينًا.

ومن هنا، فإنّ تأثير تبليغ جميع الأنبياء والأوصياء في كفّة، وتأثير حكومة الإمام الّتي هي تجسيد لكل تلك الأحكام والتعاليم في كفّة أخرى.

ومن جانب آخر، فإنّ الاعتقاد بالموعود يزيل ضعف الإيمان أيضًا؛ بحيث يكون مقدور الإنسان - عبر استذكار هذه القيامة الصغرى - أن

يقوم بتعزيز دوافعه الدينيّة. وإنّ لهذا المعتقد آثارًا أخلاقيّة ومعنويّة واسعة النطاق؛ بحيث يمكن القول إنّ «خبر مجيئه يستطيع بحدّ ذاته أن يربّي أنصارًا للإمام».

إضافة إلى أنّ الإيمان بتحقّق المجتمع الموعود بكل درجاته يبعث على استنزاف طاقة الأعداء والمنافقين أيضًا. وكما أنّ الإمام بعد ظهوره يلقي الرعب في قلوب أعدائه، ويفتح الطريق لتقدّم جيوشه، فإنّ الإيمان به وحتى تتبّع أخبار مجيئه والتدبرّ في مسألة ظهوره، يقمع الأعداء ويغلّ يد الشيطان كما في شهر رمضان المبارك.

الأمل والقوة

الاعتقاد يبعث على الأمل، ولو كان الأمل مسبوقًا بعقيدة عرفانيّة، سيكون قويًّا راسخًا. الأمل كوكب دريّ في منظومة الانتظار، ومن أهم سمات الإيمان. وإنَّ لمفهوم الأمل في مشاهدنا اليوميّة معنيَيْن: أمل مقرون بنوع من القطع؛ وأمل ليس إلّا احتمالًا تقوّيه الرغبة في تحقّقه.

الأمل بانتظار الموعود، من القسم الأول حيث يتضمّن نوعًا من الجزم والقطع، ولهذا يكون مبدأً للحيوية والنشاط؛ لأنّ الاعتقاد بتحقّق أمر في المستقبل ينمّي الشعور بالأمل في قلب الإنسان، ويجعله يترقّب المستقبل باطمئنان. الأمل يربط الإنسان بالمستقبل ويهب له الطاقة الكافية للحركة، والأهم من ذلك لاجتياز الموانع والعقبات.

إذا أصبح الاعتقاد والأمل بالنصر يموج في قلب الإنسان المجاهد، سيرى نفسه منتصرًا في أحلك الظروف والأزمات. ولا يستولي عليه اليأس الّذي هو من المكائد إطلاقًا. ويكتسب اطمئنانًا يسوقه إلى البصيرة والدقّة. فمن كان يتحلّى بهذا الاطمئنان الراسخ، تجده في أيّ جهاد يخطط بشكل أمثل ويحقّق نجاحًا أكبر.

إنَّ البعض لا يؤمن بـ«تحقّق الوعود الإلهيّة، رغم كل الموانع الظاهريّة»، وينتظر أوّلًا أن يصل إلى أعلى مراتب الفهم في ذلك، (كأن يعرف مثلًا كيف يرتفع المانع الفلاني الحائل دون تحقّق الوعد الإلهي)، ثمّ يصل إلى العقيدة الراسخة. في حين أنَّ من يتحلّى بصفاء السريرة، سيصل إلى الاعتقاد بأدنى فهم، وعندها سيسوقه نفس هذا الاعتقاد إلى الاطمئنان والبصيرة الثاقبة. ومثل هذا سيحمل مزيدًا من الاستعداد للوصول إلى أعلى مراتب الفهم.

الزمان والانتظار

إنّ من نتائج العقيدة الراسخة بتحقّق الوضع المنشود، هي رؤية الفرج والظهور قريبًا. فإن كانت أهميّة الأمر المترقّب قريبة جدًّا، عند ذلك لا يرى المرء تأخير زمن وقوعه، ولا يشعر بالمسافة الزمنية. وعلى سبيل المثال، من يعتبر الموت والحساب في صحراء المحشر أمرًا هامًّا وغاص في عظمته، سيعتبره قريبًا ويشعر بمسايرته. وقد أشير في الروايات كثيرًا إلى هذا المعنى.[١]

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الْأَمْرُ قَرِيبٌ وَالِاصْطِحَابُ قَلِيل». نهج البلاغة، الحكمة١٦٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام فيما ناجى به الله عيسى عليه السلام: «يَا عِيسَى شَمِّرْ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ». الكافي، ج٨، ص١٣٥.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ». من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٤٠٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالوسيلة: «لَا غَائِبَ أَقْرَبُ مِنَ الْمَوْتِ». الكافي، ج٨، ص١٨. وقال في موضع آخر: «وَالْقَرِيبُ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ وَالْأَقْرَبُ هُوَ الْمَوْتُ». جامع الأخبار، ص١٣٨. وقال في كتاب له: «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا». نهج البلاغة، الكتاب٢٧. وقال في خطبة له: «رَحِمَ اللَّهُ أمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصرَ فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ». نهج البلاغة، الخطبة١٠٣.

إنّ الشعور بقرب الظهور من صفات المنتظرين. وقد ورد هذا المعنى في الأحاديث بتعابير مختلفة. قال الإمام الصادق عليه السلام في دعاء العهد: «اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِحُضُورِهِ وَعَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا»[1]. كما أوصانا أهل البيت عليهم السلام برؤية الظهور قريبًا، معتبرين ذلك عاملًا لنجاتنا.[٢] وأنّ من لا يرى الفرج قريبًا سيقسو قلبه.[٣] فلا بدّ أن يترسّخ الميل والإيمان بظهور المخلّص في قلوبنا؛ بحيث نتلمّس قربه بكلّ كياننا. فتصوّروا كم سيترك ذلك من آثار روحية ومعنويّة في قلوبنا.

ولو كنت معتقدًا بالفرج، ولكن لم يكن هذا الاعتقاد بحيث يقرّبه إليك، فقد قضيت تقريبًا على أكثر آثار الاعتقاد والأمل بالظهور. ولو افترضنا أنّك اطمأننت عن طريق خاص بقرب الظهور، فما هي الحالة القلبيّة الّتي ستستولي عليك؟ ألا يكون سلوكك أفضل ومراقبتك أشدّ؟ لماذا يحرّم الإنسان نفسه من هذه الآثار الكثيرة البركة. فإن كنّا

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء العهد. وأيضًا: المصباح للكفعمي، ص٥٥٠

(٢) كان أمير المؤمنين عليه السلام دومًا ما يكرر هذه المقولة: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ وَنَجَا الْمُقَرَّبُونَ». الكافي، ج٨، ص٢٩٤. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ فَأَقْبَلُوا مَعَهُ يُلَبُّونَ زُمَرًا زُمَرًا...هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ وَنَجَا الْمُقَرَّبُونَ». الكافي، ج٣، ص١٣٢.

وعَنْ أَبِي الْمُرْهِفِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ. قُلْتُ: وَمَا الْمَحَاضِيرُ؟ قَالَ: الْمُسْتَعْجِلُونَ وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ». الغيبة للنعماني، ص١٩٦.

توضيح: بالاستناد إلى ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام، لا بدّ من التمييز بين المستعجلين والمقرّبين للفرج. فهناك فرق بين من يتعامل مع مسألة الظهور بعجالة ولا يصبر على التأخير المحتمل وينحرف عن الطريق، وبين من يرى الظهور قريبًا ويصبر في الوقت ذاته ويعرف وظائفه في التمهيد للظهور على أساس المعارف الدينية ويتابع ذلك عبر التمسك بالتكاليف الشرعية والإلهية ومراقبة أعماله، ويعدّ نفسه للظهور. حيث يذكر الإمام أنّ الطائفة الأولى هالكة والطائفة الثانية ناجية.

(٣) الكافي، ج١، ص٣٦٩؛ والغيبة للنعماني، ص٢٩٥.

نستطيع اكتساب عامل صحيح وسالم لتحسين حالتنا المعنويّة، وهو الشعور بقرب الظهور، فلماذا نفقد هذا العامل القيّم؟

وإن كان الاعتقاد بقرب الظهور في هذا العصر ليس بالأمر العسير، فإنّ معرفة الأحداث الّتي تجري حولنا والظروف الخاصّة الّتي نعيشها تعيننا على هذا الاعتقاد والإيمان. وإنّ الشعور بقرب الظهور في مثل الظروف لا يتطلّب اعتقادًا راسخًا، ولا يُحسب فضيلة كبيرة.

علمًا بأنّ البعض في هذا الزمان أيضًا يحاولون عبر طرح الاحتمالات الغريبة نفي قرب الظهور، أو يُصوّرون أوضاع العالم الطبيعيّة على أقلّ تقدير. ولكن لا بدّ من العلم بأنّ المنتظر أساسًا يعتبر الفرج قريبًا مع غضّ النظر عن تحقّق علائم الظهور أو عدمه. فإنّه قد زرع قرب الظهور في قلبه على الدوام لإيمانه الراسخ - حتّى لو لم يرَ أيّ علامة - وإن كان إذا شاهد أيّة علامة محتملة اعتبرها بشارة لقرب الظهور وقوّى بها أمله.

ولكن لا ينبغي الاستعجال وبناء الشعور بقرب الظهور على أدلّة لا أساس لها، وبأفكار واهية. فإنّ الشعور بالقرب هذا لدى المؤمن المنتظر منوط بالاعتقاد والأمل أكثر من أن يكون منوطًا بعلائم الظهور في آخر الزمان. فكما أنّ التسرّع والاستعجال مذموم في كلّ أمر، قد يُؤدّي في مسألة الظهور أيضًا إلى تضعيف إيمان العوام، وإعراض الخواص عن المعارف المهدويّة. فإنَّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام قد أوصوا شيعتهم برؤية الظهور قريبًا، وفي الوقت نفسه منعوهم من التسرّع والاستعجال في ذلك. قال الإمام الصادق عليه السلام: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ». فسأله الراوي: «وَمَا الْمَحَاضِيرُ؟» قال الإمام: «الْمُسْتَعْجِلُونَ. وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ»[1].

(١) الغيبة للنعماني، ص١٩٦.

٤. الشوق إلى الوضع المنشود

العنصر الرابع للانتظار هو الميل إلى الوضع المنشود. وهو غير العقيدة الّتي تُكتسب عبر الاستدلال وصفاء السريرة. فإنّه وإن كان من آثار تلك العقيدة، لكنّه حقيقة أخرى تضفي على عقيدة الإنسان نوعًا من اللّذة والنشوة. فإن اقترنت العقيدة بالميل والرغبة، ستبعث على الحياة كالدّم الّذي يجري من القلب في جميع العروق، ويشعر الإنسان بحرارته بكلّ وجوده.

والآن، سواء اعتبرنا العقيدة مقدّمة للعشق والشوق بحيث تصبح العقيدة فرعًا والمحبة أصلًا، أو اعتبرنا العقيدة أصلًا والمحبة فرعها وثمرتها بحيث لا تقوى العقيدة إلّا بجني هذه الثمرة. أساسًا، فإنّ واحدة من طرق إثبات عقيدةٍ في قلب الإنسان هي نفس هذه المحبّة؛ أي بالنظر إلى أنَّ الإنسان قد يخادع نفسه، وعلى الرغم من عدم اعتقاده يرى نفسه معتقدًا، لو أراد أن يرى نسبة اعتقاده، عليه أن ينظر إلى المحبّة النابعة من هذا الاعتقاد.

والشوق أيضًا ثمرة المحبّة، وكلاهما من ثمرات الإيمان، ولهما في منظومة الحقائق المعنويّة مكانة قيّمة؛ حيث يقول الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْتَقْ إِلَى لِقَائِهِ فَقَدِ اسْتَهَزَأَ بِنَفْسِهِ»[1]. ومعنى ذلك أنّ ذكر الله يؤدي بطبيعة الحال إلى الشوق، وإلّا فيتّضح أنَّ الإنسان قد أخطأ طريقه أو خادع نفسه.

إنَّ أهم ما يمتلكه المؤمنون على وجه العموم والمنتظرون على وجه

---

(١) مجموعة ورام، ج٢، ص١١٠. وأيضًا كنز الفوائد، ج١، ص٣٣٠، مع اختلاف بسيط حيث جاء في المصدر الثاني: «وَلَمْ يَسْتَبِقْ» بدلًا من «وَلَمْ يَشْتَقْ».

الخصوص من سلاح للتغلّب على الدنيا وزخارفها هو العشق والرغبة في معتقداتهم، تلك الّتي أعيت أهل العالم واستحقرتهم. فإنّ مثل هذا الشوق الفائق والجاذبية البالغة في نفوس المنتظرين للقاء بالإمام الغائب، لا يمكن تصورها وتحقّقها في أيّ موقع من حياة البشر. وهنا يمكننا مشاهدة فتح العاشقين وتلمّس غلبة المنتظرين على أهل العالم بأجمعهم، حتّى قبل الفرج.

عندما تقول للشابّ: أطبِق عينَيْك على زخارف الدنيا السطحيّة ولذائذها الدنيّة، وكفّ يدك عن اللّغو واللّهو فيها، لا بدّ أن تهديه إلى ما يستبدل هذا بذاك. هل من الممكن أن يقضي الإنسان حياته من دون أيّة سلوة ولذّة؟ فالمؤمنون غالبًا ما يستبدلون اللّذائذ الماديّة باللّذائذ المعنويّة، وعند ذلك يمكنهم الكف عن اللّذائذ المحرّمة والإعراض عن الدنيا، بل يصل بهم الحدّ إلى الفرار والنفور من الدنيا، ولا ينظرون إليها إلا بصفتها مكان لأداء التكاليف. إذًا من أين تحصل هذه اللّذة؟ الشوق والمحبّة الّتي تسانده هي المحفّز الوحيد لأن يعرض الإنسان عن ملذّات الدنيا ويُفكّر في العقبى.

ودعاء الندبة زاخر بزفرات الحبّ الّتي لا يوجد نظيرها في أيّ نصٍ من نصوص الحبّ والعشق. فإنَّ الشوق الساري في دعاء الندبة قد بلغ الذروة، وهو عالميّ وواسع النطاق. ففي دعاء الندبة، نشهد صراخ المنتظر النابع عن شوق وتوق، وهو يتمنّى نجاة أهل العالم. وعلى الرغم من أنَّ العشق مقولة فرديّة وشخصيّة، غير أنَّ الاشتياق إلى فرج المخلّص وظهوره، يجعلك عالميًّا. وهنا يحلّ العالم بأسره في زاوية من قلبك العاشق وهو منتظر.

سبق وأن تحدّثنا عن حبّ الإمام وعشقه، ولكن حقيق بنا أن نسلّط

الضوء على هذا البُعد من الشوق إلى الظهور لنُدرك أهميّته. هل من الممكن أن يشتاق أحد إلى إقامة «حكومة» ليس له فيها منصب؟ هل من الممكن أن نعشق حالة اجتماعيّة ونذرف الدموع من أجلها؟ الانتظار يُخرج عشق الإمام والشوق إلى لقائه من حالة ثنائيّة إلى حالة عالميّة، ويؤدي إلى شرح المنتظر صدره بحيث يستطيع أن يبكي على العالم.

مباني الشوق إلى الفرج

كما أنّ للعقيدة أو الفكر مباني نظريّة، خاصّة إذا فُقدت لا تتبلور تلك العقيدة أو الفكرة من الأساس، أو إذا تبلورت لا تكون راسخة، فإنَّ للعلاقة في الأغلب أيضًا مباني نظريّة أو عاطفيّة خاصة تنبثق من خلالها. وما سوى الفكر الّذي يقف ظهيرًا للعلاقة الوطيدة، فإنّ أيّ واحدة من علائقنا تستند في الأغلب إلى علاقة أو عدّة علائق بدائيّة. ويتمّ تقييمها ونسبة ثباتها من خلال المباني النظريّة والعاطفيّة لها.

وفيما يخصّ الشوق إلى ظهور الإمام وتحقّق فرجه، لا بدّ من التوجه لمبانيه العاطفية إلى جانب المباني النظريّة أيضًا، وذلك تسهيلًا للوصول إلى هذا الشوق، وتحديدًا لقيمته وأهميّته.

يُروى عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سأل الإمام: «الْعِبَادَةُ مَعَ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي السِّرِّ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ أَمِ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الحقّ وَدَوْلَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ مِنْكُمْ؟»، فقال عليه السلام: «الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ وَكَذَلِكَ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ لِخَوْفِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَحَالِ الْهُدْنَةِ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي ظُهُورِ الحقّ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الحقّ وَلَيْسَ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ

فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الحقّ... اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً... كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً... ومَن....»[1]. فقد كان الإمام الصادق عليه السلام وأنصاره في غربة، ولكنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قائد العالم، وأنصاره رغم جهدهم الجهيد ليسوا غرباء. ومن الواضح أنّ العبادة والعمل مع الغربة أكبر أجرًا من العبادة والعمل دونها.

فاستنتج الراوي من كلام الإمام نتيجة خاصة وسأل سؤالًا مهمًّا آخر: «جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا نَتَمَنَّى إِذًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عليه السلام فِي ظُهُورِ الحقّ وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ وَطَاعَتِكَ أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الحقّ؟»[2].

قبل أن نستمع إلى جواب الإمام الصادق عليه السلام، لنوضّح أهميّة هذا السؤال لأنفسنا، من أجل أن نثمّن جواب الإمام بشكل أمثل.

إنّ الصلاة الّتي يؤديها الشيعة في عهد الإمام الصادق عليه السلام أعظم أجرًا من الصلاة الّتي يؤديها الشيعة في زمن الظهور على حسب ما جاء في الرواية. والآن نسأل سؤالًا بسيطًا: «الصلاة الّتي يؤديها الشيعة اليوم في زمن الغيبة أكبر أجرًا أم صلاة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام؟». الجواب هو شيعة عصر الغيبة دون ريب، لأنّهم لم يشهدوا حتّى الإمام الصادق عليه السلام. وعلى هذا الأساس، لو كان ثواب أصحاب الإمام الصادق عليه السلام بالنسبة إلى عصر الظهور أعظم بدرجة، فإنّ ثواب أعمالنا بالنسبة إلى عصر الظهور أعظم بدرجتين. وبعبارة أخرى،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٥. وكذلك الكافي، ج١، ص٣٣٣، مع اختلاف قليل في العبارات.

(٢) المصدر نفسه.

ظهور الإمام يؤدّي إلى أن يقلّ ثواب أعمالنا درجتين. وعليه، لماذا يجب علينا أن ندعو بتعجيل فرج الإمام؟

نحن في هذا الزمن نعيش ظروفًا سيّئة، وطبق القاعدة لا بدّ أن يكون ثواب أعمالنا مضاعف، وعقاب بعض ذنوبنا أقلّ، وقبول توبة المستغفر من ذنبه أسرع. لماذا؟ لأنّ أداء الصلاة وإعطاء الزكاة في عصر الإمام عجّل الله فرجه الشريف ليس بالأمر العسير؛ فإنّ الحقّ آنذاك ظاهر. ومن هنا، فإنَّ الشهادة في عصر الغيبة أعظم درجة منها في عصر الظهور؛ لأنَّ الشهادة في سبيل إمام حاضر أسهل بكثير. ومن جانب آخر، فإنّ عقاب المذنب أكبر؛ وذلك لأنَّ المعرفة في عصر الظهور قد ازدادات ومجالات الذنب قد تحدّدت.

إذًا، والحال هذه، لماذا يجب أن نرغب في تعجيل مجيء الإمام عجّل الله فرجه الشريف؟ وبأيّ رغبة ندعو بقرب الظهور؟ بل قد يجدر بنا أن ندعو بتأخير الفرج قليلًا لاكتساب مزيد من الثواب!

يتّضح من ذلك أنَّ الرغبة في تحقّق المجتمع المهدوي المنشود ليس بهذه البساطة. وأحيانًا عندما نفكّر بأنّنا نرغب كثيرًا في تحقّق المجتمع المهدوي، إذا ما قمنا قليلًا بالغور في علائقنا، واستخرجنا جذورها، فلربّما ستضمحلّ هذه العلائق واحدة تلو الأخرى.

والآن، إذا عدنا إلى تتمّة الرواية، سنثمّن جواب الإمام الصادق عليه السلام لذلك الصحابي الّذي سأله: «فَمَا نَتَمَنَّى إِذًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عليه السلام فِي ظُهُورِ الحقّ وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ وَطَاعَتِكَ أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الحقّ؟»

أجاب الإمام الصادق عليه السلام: «سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الحقّ وَالْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ وَيُحْسِنَ حَالَ عَامَّةِ النَّاسِ وَيَجْمَعَ اللَّهُ

الْكَلِمَةَ وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ وَلَا يُعْصَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ وَيُقَامَ حُدُودُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَيُرَدَّ الحقّ إِلَى أَهْلِهِ فَيُظْهِرُونهُ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الحقّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ. أَمَا وَاللَّهِ يَا عَمَّارُ لَا يَمُوتُ مِنْكُمْ مَيِّتٌ عَلَى الْحَالِ الّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا فَأَبْشِرُوا»[1]. إنّ عصارة جواب الإمام الصادق عليه السلام هو أنّه يجب أن ندعو بتعجيل الفرج لدليلَيْن: الأول محبّة الحقّ، والثاني محبّة الخلق.

بهذه المقدّمة، نعود إلى موضوع البحث: «ما هي مباني الشوق إلى الفرج؟». إنَّ للشوق إلى الفرج بالاستناد إلى كلام الإمام الصادق عليه السلام، مقدمتَيْن وشرطَيْن أساسيَّيْن: «محبّة الحقّ» و«محبّة الخلق». فالشوق إلى الفرج وليد هاتَيْن العلاقتَيْن ووجودهما شرط إيجاد اشتياق صادق في قلب المنتظر وأمنيته بقرب الفرج.

الشرط الأوّل: محبّة الحقّ

إنّ من يحبّ الله ويحبّ الحقّ، يجب بطبيعة الحال أن يحبّ بأن يكون الله معروفًا لدى الجميع. يجب أن يحبّ بأن يكون الإمام عجل الله فرجه الشريف معروفًا لدى الجميع. يجب أن يقول مثلًا: «لماذا لا يعرف اليابانيّون الإمام عجل الله فرجه الشريف؟ إنّني لا أطيق أن يكون سيدي مغمورًا». هل يقتصر تكليفنا على اكتساب الأجر لأنفسنا فحسب؟ بهذا يخرج الإنسان من دائرة الأنانيّة المعنويّة أيضًا.

إذا اشتدّت محبّة الحقّ، ستصبح واحدة من مباني الشوق إلى الفرج. وهذا المبنى أثمن من المباني الأخرى كالاضطرار على أثر البلايا

(١) المصدر نفسه.

والمصائب الدنيويّة. فإنّ السبب الرئيس لتمنّي المنتظرين الفرج هو محبّة الحقّ حتى وإن كانوا مضطّرين.

وقد يتبلور هذا العشق والحبّ للحقّ بأسلوب آخر، ويظهر بصورة الانتقام من الظالمين واجتثاث معسكر الباطل. وفي هذه الحالة أيضًا لا يسري في عروق الإنسان إلّا طلب الحقّ لا الأنانية. كما نقرأ في دعاء الندبة: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءَ؟»[1].

ويموج هذا العشق للحقّ أيضًا في مقاطع أخرى من دعاء الندبة الّتي يمكننا أن نشاهد فيها الشوق والتوق لإقامة الحقّ، كما يقول: «عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلاَ تُرَى وَلاَ أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلاَ نَجْوَى... عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى....»[2]. والأمر الصعب للمنتدب في هذه المقاطع هو أنَّه مستور.

إنَّ الحرمان من الحقّ أمرٌ، وكون الحقّ مستورًا أمرٌ آخر. ففي هذه الدنيا الّتي لا يوجد فيها حيّ إلّا وهو عاشق شائق، سوى المغرور الّذي ألمّت به الأنانيّة، فإنَّ المنتظر عاشق للحقّ؛ حيث لا يرى الحقّ وسيلة إجباريّة لسعادته دون أن يكون له أي شوق إليه، بل يشهد محاسنه ويُدرك لطائفه ليتأتّى له عشقه. ولا تتبلور محبّة الحقّ إلّا بعد تذوّق لذة الاستغراق في الحقّ؛ بحيث يطلب نفسه للحقّ لا أنَّه يطلب الحقّ لنفسه.

الشرط الثّاني: محبّة الخلق

والدليل الآخر للدعاء بتعجيل الفرج هو محبّة «الخلق». فالمنتظر لا يُفكّر بالوصول وحيدًا، ولا يستطيع أن يدع الناس في ورطة الباطل.

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة. وأيضًا إقبال الأعمال للسيد بن طاووس، ص٢٩٧.

(٢) المصدر نفسه.

وكأنَّه يُحادث نفسه: «لو افترضنا أنّني وجدت الطريق، ماذا سيكون مصير سائر الناس؟». إنَّ من المباني المهمّة للعشق والشوق إلى الفرج، هو أن ترغب في هداية الناس. فإنّ محبة الخلق هي من المسائل الّتي قد يتغافل عنها المحبّون للحقّ.

علمًا بأنَّ أساس محبّة الخلق تكمن في محبّة الحقّ. فلو اشتدّت محبّة الإنسان بالله، سيشتد عطفه وحنانه على الناس شيئًا فشيئًا. وبالتالي، سيهتم بمصير الناس الّذين هم عباد الله وأحبّاؤه.

ذات يوم جاءني شابّ للاستشارة حول العمل الثقافي في الجامعة، وقال: «أريد أن أعمل عملًا ثقافيًّا في جامعتنا، فما هو أفضل عمل أقوم به؟»

سألته: «هل تعرف غسل الثياب؟»

قال: «نعم، أعرف غسل الثياب، ولكن ما هي علاقته بالعمل الثقافي؟ إنّي أريد أن أعمل عملًا ثقافيًّا».

قلت: «مستعدٌّ لأن تغسل ثياب زميلك في القسم الداخلي؟»

قال: «كلّا، عمل صعب». ثمّ قال وهو يمزح: «نحن لسنا في الحرب حتى نقوم بمثل هذه التضحيات».

قلت: «لسنا في الحرب، ولكنّ زميلك «إنسان». فكم تقيّم إنسانيته؟»

قال: «قد لا يكون شابًّا جيّدًا».

قلت: «لأنّه قد لا يكون شابًّا جيّدًا سألتك هذا السؤال. هل قيمة إنسانيّته لديك بالحدّ الّذي تقوم بغسل ثيابه عند الحاجة بطيب خاطر ولذة وتقول بأنّي أغسل ثياب إنسان؟»

قال بصدق: «كلّا، أنا لست كذلك».

قلت بِودّ: «إن لم يكن الإنسان عندك بهذا المستوى من الأهميّة، فلماذا تريد أن تعمل عملًا ثقافيًّا لهدايته؟ ما هو دخلك بأن تكون قلقًا على جنّة الناس ونارهم؟ إنّك لا تحبّ الناس، فما هو شأنك بمصيرهم؟»

علمًا بأنّ موضوع غسل ثياب الآخرين، ليس إلّا أسلوب للتقييم، لا أنّه معيارٌ قطعي. وعلى أيّ حال، يجب أن ينظر الإنسان إلى مدى اهتمامه بالآخرين.

والآن لننظر إلى أسوة وقدوة. فإنّ لمشاهدة بعض النماذج والأمثلة أحيانًا أثرًا أبلغ بكثير من عشرات النصائح والمواعظ. ومن النماذج الّتي يمكن الإشارة إليها في مجال محبّة الناس هو الشهيد «شمران».

ينقل مدير مكتب الشهيد «شمران»: عندما كان السيد شمران وزير الدفاع، وقف رجلٌ ببابه، وهو من كبار الضبّاط في عهد النظام الطاغوتي البائد، وكان فصله من الوظيفة أمرًا مستعجلًا، وقد وقّع الدكتور قرار فصله. فقلت للسيد شمران: «هذا الرجل من الّذين سيتمّ فصلهم. فلا حاجة لأن تشغل وقتك معه»، فنهض شمران وأزاحني عن طريقه وذهب لاستقباله، وتعامل معه كما يتعامل مع غيره حيث قام بمصافحته ومعانقته بحرارة، ثمّ أدخله إلى غرفته واستمع إليه بصبر وتروٍّ. وعندما ذهب ذلك الرجل، سألت شمران: «ليس من المقرّر أن يبقى هذا الرجل هنا، فلماذا شغلت وقتك معه؟» فقال شمران: «لا بدّ من فصله؟ حسنًا، سلّمناه قرار فصله وعليه الذهاب. ولكنَّه إنسان وأنا احترمت إنسانيته».

من كان كذلك يستطيع أن يكون منتظرًا للفرج؟!. وبالطبع ليس

المقصود بأن نعطف بهذا المستوى، وفي كلّ موطن على العناصر الجائرة المناهضة للثورة، ونُعطيها الفرصة للقضاء علينا (كما أنَّ الشهيد شمران أيضًا لم يتردّد في فصله). ولكن بشكل عام، فإنّ هذا الاستعداد لمحبّة الخلق أمرٌ قيّم للغاية.

يكتب الشهيد «شمران» في مناجاته: «تقع على عاتقي مسؤوليّة تامّة بأن أقف بوجه الشدائد والبلايا، وأحتمل كلّ الآلام، وأتقبّل المحن، وأحترق كالشمع، وأضيء الطريق للآخرين، وأنفخ الروح في الأموات، وأروي غليل المتعطشين للحقّ والحقيقة»[١]، فانظروا إلى حلاوة الجمع بين محبّة الحقّ ومحبة الخلق في هذه المناجاة.

يُنقل أنّ عارفًا قد استولى عليه البكاء والنحيب في حالة الاحتضار وهو يقول: «كيف أجيب ربي؟»، فقالوا له: «مثلك لماذا يتكلّم بهذا الكلام؟»، فقال: «لو رحلت إلى ذلك العالم، وقال لي ربي: إنك كنت رفيقًا معنا، ولكن هناك في زاوية من العالم شخصٌ بقي على ضلالته، فلماذا لم تهده إلى رفقتنا وصحبتنا، فبماذا أجيب ربّي؟».

الشوق إلى الفرج يعني محبّة الناس؛ يعني أن يكون الإنسان واسع الصدر بعيد النظر. فالمنتظر يرى العالم في زاوية قلبه، وتربطه صلة مع جميع أهل العالم.

وفي دعاء العهد حينما يريد المنتظر أن يصلّي على الإمام المهدي يقول: «اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَانَا الْإِمَامَ الْهَادِيَ الْمَهْدِيَّ الْقَائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جميعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا بَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَعَنِّي وَعَنْ وَالِدَيَّ

---

(١) مصطفى شمران، خدا بود و ديگر هيچ نبود، ص٢٨.

مِنَ الصَّلَوَاتِ....»[1]؛ انظروا إلى هذه السعة في الرؤية حيث إنَّه إذا أراد أن يسلّم على إمام زمانه لم يسلّم عن نفسه فحسب، بل يسلّم عن جميع أهل العالم، وهذا ناتج من سعة الصدر الّتي يمتلكها المنتظر.

والآن ضعوا سؤال «عمار الساباطي» المنطقي نسبيًّا من الإمام الصادق عليه السلام إلى جانب كلام «سلمان الفارسي»، والشعور الّذي انتابه بالنسبة إلى انتظار الفرج، لتجدوا البون الشاسع.[٢]

العلاقة بين الذكر والشوق

في خضمّ تنمية هذا الشوق، نصل إلى مفهوم باسم «الذكر». فحريّ بنا إلى جانب اكتساب جميع الفضائل الّتي تُنعش الحبّ والشوق، أن نتعرّض إلى الذكر أيضًا. فالكثير يسأل: «كيف نُنمّي الشوق إلى الفرج في نفوسنا ونعيش في ذروة الشوق إلى الظهور لندخل في عداد المنتظرين الحقيقيّين لصاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف؟ الجواب هو أنّ تنمية هذا الشوق، ليس إلّا اكتساب التقوى وأداء العبادات والعمل بالأوامر الإلهيّة، ولا سيّما التكاليف الاجتماعيّة بصحة وإخلاص. وإلى جانب

---

(١) دعاء مروي عن الإمام الصادق عليه السلام: مفاتيح الجنان، دعاء العهد. وكذلك المصباح للكفعمي، ص٥٥٠.

(٢) يروي سلمان الفارسي حديثًا طويلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أنّ الأئمّة من بعده اثني عشر، ثمّ بدأ يذكر أسماءهم حتى وصل إلى الإمام الثاني عشر وسكت، فقال سلمان: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي بِإِدْرَاكِهِمْ، قَالَ: يَا سَلْمَانُ إِنَّكَ مُدْرِكُهُمْ وَأَمْثَالُكَ وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ. قَالَ سَلْمَانُ: فَشَكَرْتُ اللَّهَ كَثِيرًا ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُؤَجَّلٌ فِيَّ إِلَى أَنْ أُدْرِكَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ اقْرَأْ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ قَالَ سَلْمَانُ: فَاشْتَدَّ بُكَائِي وَشَوْقِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِعَهْدٍ مِنْكَ؟ فَقَالَ: إِي وَالّذي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إِنَّهُ بِعَهْدٍ مِنِّي وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَتِسْعَةِ أَئِمَّةٍ... قَالَ سَلْمَانُ: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا يُبَالِي سَلْمَانُ مَتَى لَقِيَ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَهُ». بحار الأنوار، ج٢٥، ص٦-٨.

كلّ هذه المسائل، وبعد اكتساب المعارف الضروريّة والعلوم الدقيقة والعميقة، لو أردنا أن نعمل عملًا خاصًّا فعلينا التوجّه إلى «الذكر». ومن هنا، ينبغي الاهتمام بـ«دعاء الندبة» و«دعاء العهد» و«الدعاء لسلامته عليه السلام» وسائر الأدعية. فإنّ من يحبّ الإمام وينتظره ألا ينبغي أن يذكره ولو في اليوم مرّة على أقلّ تقدير؟ ألا ينبغي أن يرفع يدَيْه للدعاء بفرجه في قنوت صلواته، وفي كلّ لحظة من لحظات استجابة الدعاء؟

يعتبر دعاء العهد برنامجًا مستمرًّا، ويشير إلى مفاهيم أساسيّة وقيمة، ويعدّ دعاء ملحميًّا. ولهذا فإن له مكانة مرموقة بين الأدعية المختصة بالإمام عليه السلام. كان الإمام الخميني قدس سره يقول: «دعاء العهد مؤثّر في مصير الإنسان»[1]، وكان قده مواظبًا على قراءة دعاء العهد، واستمرّ على هذا البرنامج حتّى آخر يوم من حياته في المستشفى.[٢] وهو الدعاء الّذي أوصى عائلته بقراءته في آخر أيام حياته.[٣]

---

(١) تقول فاطمة طباطبائي، زوجة السيد أحمد الخميني: «من المسائل الّتي كان يوصيني بها الإمام في أواخر أيام حياته هي قراءة دعاء العهد. وكان يقول: حاولي أن تقرئي دعاء العهد في كل صباح، لأنّه يؤثر في مصير الإنسان». صحيفة اطلاعات، ١٩٩٠/٦/٤.

(٢) يقول المرحوم آية الله توسلي: «قالت لي إحدى النساء: اذهب إلى جانب الإمام واقرأ الدعاء. وكان ذلك قبل يوم من وفاة الإمام، فشرعت بقراءة دعاء العديلة. وإذا بي أرى أنّ الإمام قد وضع علامة في موضع من المفاتيح. ففتحته ورأيت أنه دعاء العهد، وبما أن قراءته تستحبّ أربعين يومًا فقد كتب الإمام على قصاصة بأنه شرع فيه من ٨ شوال وقرأه حتى ذلك اليوم». پابه‌پای آفتاب، ج٢، ص١٠٢.

ويقول حجة الإسلام والمسلمين آشتياني: «عندما ارتدى الإمام الثياب المختصة بالمستشفى، كان بيده مفاتيح الجنان وهو يقرأ دعاء العهد بطمأنينة خاصة». برداشت‌هایی از سیره امام خمینی، ج٣، ص٤٣.

(٣) برداشت‌هایی از سیره امام خمینی، ج٣، ص٤٢. راجع الهامش السابق.

المسألة المهمّة الّتي لا بدّ من الالتفات إليها هي أنّ «الحب» لا ينمو مع فقدان «الذكر». وهذه هي الحال بالنسبة إلى الدنيا أيضًا. ما هو الشيء الّذي ينمّي حبّ الدنيا في قلوبنا ويجعلها لذيذة في أعيننا؟ الدنيا الّتي نتذوّقها ونشمّها ونجرّبها، وخلاصة الكلام أنّها «حاضرة» ويمكننا تجربتها بسهولة، غير أنّ تجربتها لا تأخذ بمجامع قلوبنا بمقدار ذكرنا لها.

فالدنيا الّتي هي حاضرة لا تحلّ في قلبك من دون ذكرها كثيرًا، فكيف يحلّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في قلوبنا من دون ذكره وهو غائب؟ لا تقل: «كلّما ضاق صدري، أتذكّر الإمام عجل الله فرجه الشريف»، إذ ينبغي أن تضع لنفسك برنامجًا للذكر. وليكن برنامجك مختصرًا حتّى لا ينقطع، فالمواظبة على مثل هذه البرامج مهمّة للغاية. وعندها سيحلّ الشوق إلى الإمام في قلبك شيئًا فشيئًا. بالإضافة إلى أنّنا لو ندّعي الشوق إلى فرج الإمام وظهوره، لا بدّ وأن يتجلّى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في قلوبنا، حيث قال: «مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا لَهِجَ بِذِكْرِهِ»[1].

علمًا بأنّ الفكر سندٌ للذكر كما أشرنا إليه سابقًا. فالعلم والمعرفة والتفكّر بالمعلومات رأسمال الذكر. والذكر أساسًا، وإن كان يتدفّق من قلب الإنسان، إلّا أنه ينبثق من علوّ الفكر. فلو قرن الإنسان فكره بالمودّة والعاطفة، سيكون ذكرًا. ومن هنا يتبيّن الفرق بين «الذكر» و«الورد»، فإنّ الأوراد رغم أهميّتها لم تحظ بعناية أولياء الله إن خلت من الفكر والتوجه.

إنّ من المسائل المهمّة الّتي يؤدي الالتفات إليها إلى الدخول في عداد أهل الذكر، والّتي تحثّ الإنسان على الدعاء لا سيّما في قضية الفرج، هي هذه الحقيقة أنّ دعاءنا للفرج دعاء مستجاب، وأن

---

(١) غرر الحكم، ص٦٥، ح٨٥٩.

الله سبحانه يعتني بآراء عباده في هذا الشأن. فإذا اعتقدنا أنّ طلبنا وسؤالنا للفرج ليس أمرًا شكليًّا ومجاملة، وإنّما هو حقيقة سامية، سنعكف على الدعاء والذكر دون انقطاع. فهذا أمرٌ عامٌ لله، حيث قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾(١)، وهذا أمر خاص بالإمام المهدي عليه السلام حيث قال عن طريق سفيره الثاني «إسحاق بن يعقوب»: «أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ»(2).

لا ننسى بأنّه لا يُعرض عن الدعاء بالفرج إلّا من لا يرى الله وفيًّا في العمل بوعوده، أو لا يحمل اعتقادًا راسخًا بعناية الله ولطفه في حقّ عباده، وكلاهما مدعاة لسوء الظن بالله الّذي نُهينا عنه بشدة.(٣)

يجب أن نعتقد بأنّ لشعورنا وشوقنا إلى الفرج تأثيرًا في العالم. وأهم أثر يتركه هذا الشوق هو في التقدير الإلهي(٤). فإنّ الله الّذي بيده أمر الفرج، ينظر لاتّخاذ القرار في ذلك إلى قلوبنا.(٥) فهو الوحيد الّذي

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٣؛ والغيبة للطوسي، ص٢٩٠.

(٣) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً بِظَهْرِ قَلْبٍ سَاهٍ فَإِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنِ الْإِجَابَةَ». الكافي، ج٢، ص٤٧٣. ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكبَرُ الكبائرِ سُوءُ الظَّنِّ بِاللّه». ميزان الحكمة، ح١١٧٢٦، نقلًا عن كنز العمال، ح٥٨٤٩.

(٤) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَامًا فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ». الكافي، ج٢، ص٤٧٠. والدعاء من أهم المعالم والنتائج لاشتياق المؤمن، لأن الاشتياق يجرّ إلى الدعاء لا محالة ولا يتحقّق الدعاء الصادق من دون اشتياق.

(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصية له لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَر إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». الأمالي للطوسي، ص٥٣٥. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عَلَى قَدرِ النِّيَّةِ تكونُ مِن اللّهِ العَطِيَّةُ». غرر الحكم، ح٦١٩٣. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ عَوْنَ الْعِبَادِ عَلَى قَدْرِ نِيَّاتِهِمْ فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ تَمَّ عَوْنُ اللَّهِ لَهُ وَمَنْ قَصَرَتْ نِيَّتُهُ قَصرَ عَنْهُ الْعَوْنُ بِقَدْرِ الّذي قَصرَ». الأمالي للمفيد، ص٦٥.

يستطيع تقييم نسبة معرفتنا ومحبّتنا وعلى أساسها يدبّر مقدّراتنا.

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام حول دور وأثر «الدعاء بتعجيل فرج ولده عجل الله فرجه الشريف» في نجاة الإنسان: «وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ التَّهْلُكَةِ إِلَّا مَنْ يُثْبِتُهُ اللَّهُ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَوَفَّقَهُ لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في كلام مهمّ له حول أثر الدعاء بالفرج في التقدير الإلهي لنجاة المجتمع وقرب الظهور: «فَلَمَّا طَالَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَذَابُ ضَجُّوا وَبَكَوْا إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ يُخَلِّصُهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ فَحَطَّ عَنْهُمْ سَبْعِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هَكَذَا أَنْتُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ لَفَرَّجَ اللَّهُ عَنَّا فَأَمَّا إِذْ لَمْ تَكُونُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَاهُ»[2].

يقول آية الله الشيخ «بهجت» (البالغ مناه) حول التأثير القطعي للدعاء بالفرج: «كم ينبغي أن نفكّر في الإمام الغائب عجل الله فرجه الشريف وأن ندعو بتعجيل فرجه؟! الدعاء بتعجيل فرج الإمام مؤثر لا محالة، ولكن لا بلقلقة اللّسان وقول «وعَجِّل فرجه» بصورة جامدة كورد يُقرأ في آخر المنابر على الدّوام من أجل أن يقوم الناس. الدعاء بتعجيل الفرج عمل مستحبّ كصلاة النافلة، أي أن نسأل الله بجدّ وصدق وهمّ وغمّ أن يزيل المسافة الّتي طالت ألف عام ونيّف بين الناس وبين واسطة الفيض. والدعاء الصادر من الناس لم يقترن بحالة من الحزن والأسى والتأثّر القلبي، وإلّا لتغيّرت الأوضاع لا محالة»[3].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٨٤.

(٢) تفسير العياشي، ج٢، ص١٥٤.

(٣) در محضر بهجت، ج٢، الرقم١١١٦.

٥. العمل من أجل تحقّق الوضع المنشود

العمل دليل على صدق الانتظار وسبب لتعزيزه

العنصر الأخير للانتظار هو «العمل». فالعمل من أجل تحقّق الوضع المنشود أو امتلاك الدافع للمبادرة على أقل تقدير، يقوّي دعائم الانتظار في وجود الإنسان. فإنّ العمل والمبادرة من أجل التمهيد للظهور وتهيئة أرضيّة الفرج قدر المستطاع دليلٌ على صدق ادّعاء الانتظار وسبب لتعزيزه. فعلى المنتظر أن يكون أهل عمل. وهو أمرٌ ثابتٌ في ثقافة المنتظرين؛ لأنّ المنتظر لا يكون منتظرًا حقيقة إلّا إذا تحرّك نحو الوضع المنشود.

أساسًا، لا يمكن لأيّ شعور وإدراك أن يبقى محبوسًا إلى الأبد في حصار عدم التجلّي في العمل. فلو كان المهدي عجّل الله فرجه الشريف محبوبًا، وكان ظهوره وتحقّق جميع محاسن حاكميّة الدين المطلقة محبوبًا، إلى متى يمكن أن تبقى هذه المحبة مخفيّة؟ فممّا لا شك فيه أنَّ هذه المحبّة ستُظهر آثارها العميقة في سلوك المجتمع ورؤيته، وستُحدث بعض التغييرات فيه شئنا أم أبينا. وكلامنا في هذا الحقل يدور حول تعزيز هذه الآثار، وكيف أنَّ العمل بمقتضى المحبّة وبمقتضى انتظار الفرج يؤدّي إلى إرساء قواعد الانتظار، والحدّ من طول فترة الغيبة.

وبطبيعة الحال، كلّما تتبلور وتنمو رؤية ونزعة حيال موضوع معيّن، ستترك ظلالها على سلوك الإنسان إلى حدّ ما. وفي هذه الحالة، لا يحتاج الإنسان إلى وصيّة خاصة للعمل على أساس هذه الرؤية والنزعة، سوى أنّ التوجّه إلى العمل ودوره والاهتمام به يوجب استخدام الرؤى والنزعات الموجودة. فلا ينبغي أن ننتظر حتّى يطفح كيل معرفتنا ومحبّتنا القلبيّة، ثمّ نصل بشكل طبيعي إلى العمل، بل

يجب عبر الوقوف على أهميّة العمل أن نكون سببًا في إنعاش الشعور الباطني وازدهاره.

العمل، يحدّ من آفات الانتظار

يمكن النظر إلى أهميّة «العمل» عند المنتظر من جانب آخر، فإنّ من الأضرار المهمّة للانتظار هو التخيّل الّذي يتنافى مع روح العمل، وهذه الآفّة تصيب الشباب أكثر من غيرهم. ولو أصابت الإنسان منذ حداثة سنّه فستبقى معه حتّى الكِبَر. ومن جانب آخر، فإنّ المنتظِر يحبّ اعتناق المنتظَر ويتمنّى لحظة الوصال.

بيد أنّ نفس هذا الخيال الجميل لو لم يقترن بالعمل لكان مضرًّا؛ ولو لم تُراقَب هذه الآفّة العذبة – وهي خيال لقاء المحبوب -، فستؤدي إلى التنصل من العمل. وهذه الآفة الكبيرة لا تختص بهذا الموضوع، بل يمكن أن تتبلور فيما يرتبط بالله سبحانه وعفوه ورحمته. قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى غُرر كلماته القصار في نهج البلاغة: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ»[1].

يتّضح من كلام الإمام أنَّ هذه البليّة عامّة، وملذّات الإنسان بإمكانها أن تسوقه نحو الحركة إلى محبوبهم، وبإمكانها أن توقفه عن الحركة. والمنتظر حتّى وإن كان منتظرًا حقيقيًّا قد يكفّ عن العمل لوقوعه في ورطة هذه الآفّة، ويغوص في بحر أوهامه وخيالاته العذبة.

وأحيانًا يحول إبليس بين الإنسان وبين حركته ونشاطه، عبر هذه الأماني العشقيّة والعرفانيّة. يجب أن نرى يده الشرّيرة في إسكار الإنسان بالخيالات، وأن نخاف من خيانته المستمرّة. ينبغي أن نتذكّر

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة١٥٠.

على الدوام بأنَّ العمل أمرٌ من الأمل بمعنى الأمنية. فجأة ترى المنتظر المتمنّي، غارقًا في حلاوة أمانيه الجميلة وتاركًا للعمل من أجل الوصول إلى أهدافه المنشودة لمرارته. حاله حال الّذي ينتظر امتحان الدخول إلى الجامعة، حيث تراه أحيانًا ولساعات مديدة غارقًا في بحر أوهامه، يلتذّ بتخيّل جلوسه على كرسيّ الجامعة، ولكنّه يتقاعس عن الدرس بشتى الحجج والذرائع لمرارته.

تأثير «مبادرتنا» في «تحقّق الوضع المنشود»

قد يختلج هذا السؤال في أذهان البعض، هل إنَّ عملنا يؤثّر حقيقة في الظهور؟ من أجل اجتياز هذا المانع الفكري، علينا أن نجيب أوّلًا على سؤال: هل من الممكن أن يكون لنا دورٌ في الظهور؟ أو هل أنَّ فرج الإمام وظهوره أمرٌ خارج عن إرادتنا؟ أحيانًا قد تبدو لنا بعض الأمور قدسيّة وبعيدة عن منال البشريّة؛ بحيث نعدّها خارجة عن دائرة علمنا وعملنا. فالّذين لا يرغبون في العمل من أجل التمهيد للظهور لأيّ دليل، يعتبرون الفرج أمرًا خارجًا عن نطاق البشريّة. في حين أنّ أمر الفرج لا يرتبط بمعرفة البشر وشعور المنتظرين فحسب، بل له ارتباط تام بعملهم أيضًا.

علمًا بأنّ أيّ عملٍ وفي أيّ زمن سيؤدّي إلى أية نتيجة، وأنّ الفرج سيتحقّق على أثر أي نسبة من المعرفة والمحبّة والعمل، أمر غير بيّن. ولكن نعرف بالإجمال أنّ لعملنا دورًا كبيرًا في مسألة الظهور.

سبق وأن تعرّضنا إلى أنَّ لإدراكنا وشعورنا تأثيرًا في تهيئة أرضيّة الفرج. وأمّا الدليل في أنَّ عملنا يؤثّر في مصيرنا فهو سنّة إلهيّة صرّحت بها هذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.[١]

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

ما هو الدليل على أن تكون شرائط الظهور خارجة عن هذه السنّة الإلهيّة؟ فإنّ هذا أمر مستمرّ بأنّنا ما لم نُحدث تغييرًا في أنفسنا وفي أوضاع المجتمع والعالم، لا يغيّر الله أوضاعنا.

ومن جانب آخر، وبالإضافة إلى الاستناد إلى هذه الآية الشريفة والاعتماد على هذه السنّة الإلهيّة، يمكننا الرجوع إلى فلسفة الخلقة وسائر السنن الإلهيّة وبعثة الأنبياء أيضًا. وعندها سنجد أنّ الفتح والظفر والنصر الإلهي منوط على الدوام بنصرٍ من قبل العباد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.[١]

ولو أنّ من المقرر أن يكون الدين برنامجًا لاجتياز الناس من أزمات الطبيعة إلى الله، فلا ينبغي طبقًا للقواعد وفي أيّ زمن أن يكون هذا الاجتياز منوطًا بإرادة الله بالكامل، وبعيدًا عن أهليّة عباده وأعمالهم.

كما أنّنا لم نُمنع قطّ عن أداء تكاليفنا وإقامة الحقّ قدر استطاعتنا بذريعة أنَّ الحقّ لا يتبلور بالكامل إلا في زمن الظهور، ولم يسقط عنّا تكليف تطبيق الحقّ ونصرة المظلومين ومواجهة الظالمين بمقدار وسعنا.[٢] وبطبيعة

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) يقول الإمام الخميني قدس سره في هذا الشأن: «من أجل أيّ شيء يظهر الإمام الحجة؟ من أجل بسط العدل، من أجل تعزيز الحُكم، من أجل القضاء على الفساد. نحن خلافًا للآيات القرآنيّة الشريفة نكفّ عن النهي عن المنكر، نكفّ عن الأمر بالمعروف ونُوسّع الذنوب من أجل أن يأتي الإمام؟ ماذا سيصنع الإمام إذا ظهر؟ يظهر الإمام ليقوم بهذه الأمور. ولكن ألا يوجد الآن تكليف على عاتقنا؟ ألا يوجد تكليف على عاتق البشر؟ تكليفه هو أن يدعو الناس إلى الفساد؟ ... نحن يجب علينا إن استطعنا وإن كنّا نملك القدرة أن نزيح الظلم والجور بأسره عن العالم. هذه هي وظيفتنا الشرعيّة، غير أننا لا يسعنا ذلك. الحالة الموجودة هو أنّ الإمام يملأ الأرض عدلًا؛ لا أن تكفّوا عن العمل بتكليفكم، ولا أن يرتفع التكليف عنكم ... نعم، نحن لا نستطيع أن نملأ الأرض عدلًا كما ستُملأ، ولو استطعنا لفعلنا، ولكن لعدم استطاعتنا لا بدّ من أن يظهر الإمام». صحيفة الإمام، ج٢١، ص١٤-١٧.

الحال، إذا بادرنا إلى العمل حسب طاقتنا فسيؤدي ذلك إلى إيجاد شرائط جديدة في العالم؛ الشرائط الّتي تتطلّب نصرة الله وفق السنن الإلهيّة، ونصرة الله لا تتجلّى في إطار هذا العالم إلّا بظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف.

في هذا العصر، لا معنى لإنقاذ جمع من المؤمنين من قبضة الظلم دون النظر إلى سائر المجتمعات الإسلاميّة، بل وحتّى سائر المجتمعات الإنسانيّة. إذا ما نظرنا إلى شرائط العالم لشاهدنا الأوضاع؛ بحيث لو وقف شخص بوجه الظلم، سيجابهه الظلم بأسره، ولو انتصر في أي مرحلة، ستقترب سلطنة الظلم كلّها إلى الزوال. ولا يمكن بعد لأي صراع ونزاع بين الحقّ والباطل أن يتحدّد بزاوية من العالم ويتوقف فيها. وفي مثل هذه الظروف، لا تكون نصرة الله للمظلومين إلا بتحقّق الفرج وإقامة حكومة الحقّ والعدل الشاملة.

انظروا إلى كلام الإمام الخميني قدّس سرّه في خصوص تأثير عملنا في تعجيل الفرج: «أنتم نقطة في العالم والعالم يزخر بالظلم. نحن إن استطعنا الوقوف بوجه الظلم، يجب علينا ذلك وهي وظيفتنا. وقد حتّمت علينا الضرورة الإسلاميّة والقرآنيّة أن نقوم بكلّ هذه الأعمال. ولكن بما أنّنا لا نستطيع ذلك، لا بدّ من ظهور الإمام والقيام بهذه الأمور. ولكن يجب علينا التمهيد لذلك، وتهيئة الأسباب الّتي تؤدي إلى تعجيل هذا الأمر، والعمل من أجل أن يستعدّ العالم لمجيء الإمام عليه السلام»[1].

«نحن مكلّفون! وانتظارنا للإمام المهدي عليه السلام لا يعني أن نجلس في بيوتنا ونأخذ السبحة بأيدينا ونقول: «عَجِّل على فرجه». التعجيل لا يتحقّق إلّا بعملكم؛ أنتم يجب عليكم تهيئة الأرضيّة لمجيئه. وتهيئة

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص١٧.

الأرضيّة لاجتماع المسملين. اتّحدوا مع بعض، يظهر إن شاء الله»[1].

«انتظار الفرج، انتظارٌ لقدرة الإسلام، والّذي يجب علينا هو السعي لتحقّق قدرة الإسلام في العالم، والتمهيد للظهور إن شاء الله»[2].

«وآخر كلامي معكم هنا هو أن يبقى وفاؤكم حتى الموت للجمهوريّة الإسلاميّة الّتي هي ثمرة دماء آبائكم؛ ومن خلال استعدادكم وتصدير الثورة وإبلاغ رسالة دماء الشهداء، مهدوا الأرضيّة لقيام منقذ العالم وخاتم الأوصياء والأولياء، بقية الله روحي فداه»[3].

ولولي أمر المسلمين، الإمام الخامنئي دام ظله أيضًا كلام واضح في هذا الشأن: «علمًا بأنَّ وعد الله حقّ واستقرار العدل في العالم لا يتحقّق إلّا في عصر ظهور بقية الله (أرواحنا له الفداء)؛ ولكن يستطيع أيّ شعب مؤمن ومناضل أن يمهّد لتشكيل تلك الحكومة، كما استطاع الشعب الإيراني حتى الآن وتغلّب على الكثير من المشاكل»[4].

«في زماننا، ظهر رجل واحد وقال: «لو بقيت وحيدًا والعالم بأسره أمامي، لما تراجعت عن طريقي»، ذلك الرجل هو الإمام الخمينيّ قدس سره الّذي عمل وصدق: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾، فكلّنا يمتلك لقلقة اللسان. هل رأيتم ماذا فعل الإنسان الحسيني العاشورائي؟ أجل، لو أصبحنا جميعًا عاشورائيّين، لتسارعت حركة العالم نحو الصلاح، ولتوافرت أرضيّة ظهور ولي الله المطلق»[5].

---

(١) المصدر نفسه، ج١٨، ص٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٣٨.

(٤) كلمته في مراسم البيعة مع مختلف الشرائح، ١٩٨٩/٠٦/٢٩.

(٥) كلمته في لقائه العلماء والوعّاظ، على أبواب شهر محرم، ١٩٩٥/٠٥/٢٤.

«أنتم أيها الأعزّاء ولا سيّما أنتم الشباب، كلّما ازداد سعيكم في صلاحكم وفي معرفتكم وأخلاقكم وعملكم واكتساب المؤهّلات في أنفسكم، ستُقرّبون هذا المستقبل. فإنّ ذلك بأيدينا. لو قرّبنا أنفسنا من الصلاح، سيقترب ذلك اليوم. كما أنَّ شهداءنا عبر التضحية بأنفسهم قرّبوا ذلك اليوم. وإنّ الجيل الّذي قدّم تلك التضحيات من أجل الثورة، قرّب بتضحياته هذه ذلك المستقبل. وكلّما قمنا بفعل الخير والإصلاح الذاتي والسعي لإصلاح المجتمع، سنقرّب ذلك المصير باستمرار»[1].

«ماذا يعني أنَّ الإمام المهدي سيأتي ويعمل؟! ما هو تكليفكم اليوم؟ ماذا يجب عليكم اليوم فعله؟ يجب عليكم تمهيد الأرضيّة، ليظهر الإمام ويعمل في تلك الأرضيّة الممهَّدة. فلا يمكن أن نبدأ من الصفر! ولا يتأتّى لمجتمع أن يستضيف المهدي الموعود أرواحنا فداه إلّا إذا كان مستعدًّا، وإلّا فسيكون حاله حال الأنبياء والأولياء على مرّ التاريخ.

ما هو السبب بأنّ الكثير من أنبياء أولي العزم العظام جاؤوا ولم يستطيعوا تطهير الأرض وتصفيتها من الخبائث؟ لماذا؟ لأنّ الأرضيّة لم تكن متوفرة. لماذا لم يتمكّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده من اجتثاث الفساد في تلك الفترة القصيرة من حكومته رغم قدرته الإلهيّة، وعلمه المتّصل بالمعدن الإلهي، وقوة إرادته، وما يحمله في شخصيّته العظيمة من بهاء وسناء، ورغم وصايا النبي الأكرم في حقّه؟ حتى آل الأمر إلى قتله! ... وحينئذ إذا ظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في عالم من دون استعداد، فستتكرّر القضية! لا بدّ من الاستعداد،

(١) كلمته بمناسبة مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ٢٠٠٠/١١/١٢.

ولكن كيف يتمّ هذا الاستعداد؟ ... هذا هو نفس ما تشاهدون بعض مصاديقه في مجتمعكم؛ حيث توجد اليوم في إيران الإسلاميّة مسائل معنويّة غير موجودة في أيّ بقعة من العالم.

في أيّ نقطة من العالم تجدون شبابًا يتجنّبون الشهوات والماديّات ويتّجهون صوب المسائل المعنويّة؟ وبالطبع، فقد يكون هناك شاب أو شابان أو استثناء ما في زاوية، وهذا ما هو موجود في جميع أنحاء العالم، ولكن في أيّ بقعة من العالم تجدون هذا الكم الهائل من الشباب بهذه الحالة؟ لا توجد إلا في هذه البقعة. إذًا، يمكن تهيئة الأرضيّات. فإذا اتّسعت مثل هذه الأرضيّات إن شاء الله، ستتهيّأ أرضيّة ظهور بقية الله أرواحنا فداه وتتحقّق مسألة المهدويّة الّتي هي أمل البشر والمسلمين منذ القِدَم»[1].

وسنشير في الصفحات التالية إلى بعض كلمات الإمام الخميني قدس سره والإمام الخامنئي دام ظله الأخرى الّتي تصرّح بتأثير عملنا في تعجيل الفرج.

الأعمال الفرديّة

أ) برمجة نشاطات الحياة الرائجة

أقلّ ما يمكن أن يقوم به المنتظر هو تزكية النفس والتأهّب القلبي لأداء وظائف نصرة الإمام. علمًا بأنّ هذا التأهّب لا بدّ وأن يكون متوفرًا للعمل بالتكاليف الّتي تسبق الظهور أيضًا، وذلك لاكتساب القدرة المناسبة من أجل قيام المنتظر بتكاليفه في مسألة التمهيد للظهور. (فإنّ هناك وظائف خطيرة ومتفاوتة ملقاة على عاتق المنتظرين في

---

(١) كلمته في لقائه مختلف الشرائح بمناسبة ميلاد الإمام المهدي عجل الله فرجه، ١٩٩٧/١٢/١٦.

فترة ما قبل الظهور والتمهيد له، ويحتاج العمل بها إلى مزيد من الاستعداد والقدرة. وبالطبع، فإنّ الحديث عن آخر وظائف المنتظر مؤجّل إلى مجال آخر).

المنتظر يشعر بالمسؤوليّة تجاه مسألة الظهور. وبالنظر إلى الوظائف الخطيرة الملقاة على عاتقه، يسعى لأن يستعدّ من أجل العمل بها. واكتساب هذا الاستعداد بحاجة إلى برمجة دقيقة وعمل دؤوب، وبهذا تختلف حياة المنتظر عن حياة الآخرين. وكأنّ المنتظر يُبرمج لجميع جوانب حياته. والأجواء السائدة على حياته تشبه حياة مغوار ثوري ومجاهد باسل. فلا يمكن أن يعمد الإنسان إلى تزكية النفس بصفته منتظرًا وهو غير ثوري.

وفيما يرتبط بمسألة تزكية النفس، لا بدّ من التعرّض لأبعادها المختلفة. فإنّ محور تزكية النفس وإن كان هو الابتعاد عن «الراحة» و«الغفلة»، بيد أنّ هذه الحركة قد تتعرّض لمتابعة البرامج المعنويّة وإصلاح الصفات القلبيّة، وقد تتناول تنظيم النشاطات الرائجة في الحياة.

إنّ المنتظر يُبرمج لطعامه وحتى لنومه ويقظته. فقد ورد في الروايات أنّ أسوأ النوم هو نوم ما بين الطلوعَيْن (من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس).[١] ويعتقد الأطبّاء أنَّ نوم ما بين الطلوعَيْن يسلب قوّة الإنسان. حتى الرعاة أيضًا لا يدعون أغنامهم تنام في هذا الوقت؛

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «نَوْمَةُ الْغَدَاةِ مَشُومَةٌ تَطْرُدُ الرِّزْقَ وَتُصَفِّرُ اللَّوْنَ وَتُغَيِّرُهُ وَتُقَبِّحُهُ وَهُوَ نَوْمُ كُلِّ مَشُومٍ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَسِّمُ الْأَرْزَاقَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَإِيَّاكُمْ وَتِلْكَ النَّوْمَةَ». من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٥٠٢؛ وكذلك راجع: وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٩٦، بَابُ كَرَاهَةِ النَّوْمِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ وَعَدَمِ تَحْرِيمِهِ.

لأنهم وجدوا بالتجربة أنَّ الغنم إذا نام ما بين الطلوعَيْن، يُصاب بالكسل إلى آخر ذلك اليوم.

ونوم القيلولة مستحبّ.[١] يقول الأطباء إنّ النوم قبل الظهر لمدة عشرين دقيقة يعادل نوم ساعات عدّة في اللّيل ويزيل تعب الإنسان. فالمنتظر يُنظّم حياته، ويجعل لنفسه برنامجًا رياضيًّا وبرنامجًا لتسلّق الجبال. فإنّ حياة المؤمنين دومًا مقرونة بمثل هذه الصعوبات الّتي يفرضونها على أنفسهم.

لا بدّ من تغيير برنامج الحياة في مقام العمل. فلا يتأتّى الوصول إلى المقصد من دون برنامج وبالركون إلى الدعة. فالمنتظر في مقام العمل كالجندي المترقّب الّذي قد شدّ أحزمته، لا بدّ أن يكون متأهّبًا للخدمة.

نقل لي أحد أقرباء من كان زميلًا للإمام الخميني قدس سره في حجرته عن لسانه: «إني لم أَرَ الإمام قدس سره قط من دون جورب. عندما أستقيظ وقت السحر، أجد الإمام قدس سره قد توضّأ، وما إن يرى أحدًا قد استقيظ في الحجرة يلبس جوربه. كان سماحة الإمام قدس سره مرتّبًا باستمرار. وعلى الرغم من أنَّ في الحجرة لا يوجد سوانا نحن الاثنين، لم أجده في الحجرة من غير نظم وترتيب قط»، فالمنتظر يُنظّم حياته ويعيش بانتظام.

والمنتظر يهتمّ حتّى بخطّه أيضًا، ويحاول أن يكتب بخطّ جميل. إنَّ الإمام الخامنئي دام ظله بدأ بالكتابة بيده اليسرى من الثانية والأربعين من

---

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «النَّوْمُ أَوَّلَ النَّهَارِ خُرْقٌ وَالْقَائِلَةُ نِعْمَةٌ وَالنَّوْمُ بَعْدَ الْعَصْرِ حُمْقٌ». من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٥٠٢. وانظر أيضًا: وسائل الشيعة، ج٦، ص٥٠١، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقَيْلُولَةِ. وكذلك مستدرك الوسائل، ج٥، ص١١٣، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقَيْلُولَةِ.

العمر (حيث جُرحت يده اليُمنى إثر انفجار قنبلة في مسجد أبي ذر). علمًا بأنّ البدء بالكتابة من هذا العمر ليس بالأمر اليسير. غير أنّ خطّه حاليًا أجمل من خطّ الكثير منا، لماذا؟ لأنّنا لا نهتمّ بخطّنا، ولا نمتلك الصبر والأناة، ونمرّ على كلّ شيء مرور الكرام، ولا نُصرّ على أن نُحسن أعمالنا. ولا ندقّق في جزئيّات حياتنا الدنيويّة.

كان الإمام الخميني قدس‌سره في منزله يكوي حتّى ملابسه الداخليّة.[١] إلّا أنّ لحظة تواجدنا في المنزل هي لحظة التحرّر والراحة. وكأنّنا نرى عدم الترتيب والنظم في فضاء البيت أمرًا طبيعيًّا.

قال أحد تلامذة الإمام الخميني قدس‌سره في النجف الأشرف له: «ذهبت إلى الطبيب لمرض ألمّ بي، فقال لي بما أنّ عملكم هو عمل علميّ لا بدّ لكم من المشي يوميًّا لمدة ٢٠ دقيقة. فهل ترغبون في ذلك؟ فقال الإمام: عمل جيّد، وكلام الطبيب صحيح، سأمارس الرياضة». وتكفي هذه الوصيّة من الطبيب الّتي نقلها أحد تلامذته له بأن يستمرّ على المشي يوميًّا ولم يتركه حتّى آخر عمره.[٢] فالوصية يكفي إبلاغها مرة واحدة.

فالمنتظر في مقام العمل يُرتّب حياته ويُنظّم أموره. لماذا استأهل الشيخ المفيد لأن يتسلّم كتابًا من قبل الإمام المهدي عجل‌الله‌فرجه‌الشريف؟ حيث جاء فيه: «وَبَعْدُ فَقَدْ كُنَّا نَظَرْنَا مُنَاجَاتَكَ عَصَمَكَ اللَّهُ بِالسَّبَبِ الّذي وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَحَرَسَكَ بِهِ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِ»[3].

---

(١) برداشت هايى از سيره امام خمينى، ج٢، ص١٥٧.

(٢) برداشت هايى از سيره امام خمينى، ج٢، ص٢١.

(٣) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٤٩٨؛ مستدرك الوسائل، الخاتمة ج٣، ص٢٢٧؛ إلزام الناصب، ج١، ص٤١١.

فوالله صاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف يعطف علينا ويمسح يد الأبوّة على رؤوسنا، ويُحبّنا ويحزن لحزننا وهو مطّلع على أخبارنا[١]. يفرح إذا رآنا نعمل بحيويّة ونشاط ومن دون كسل وملل. وهذا هو جزء من ساحة عملنا.

ب) متابعة البرامج المعنويّة وإصلاح الصفات القلبيّة

لماذا يجب أن تكون حياة المنتظر متفاوتة؟ لأنّه في سلوكه المعنوي يعدّ نفسه عدوًّا له، ويعلم أنّه لا يصل إلى المقصود إلّا عبر مواجهة أنانيّاته. ونظمه والتزامه الدقيق بآداب حياته الدراسيّة والعمليّة وليدة التقوى الّتي يتحلّى بها. لا أنّه يصل إلى الخير والصلاح للنجاح في الحياة الماديّة فحسب. قال أمير المؤمنين لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: «أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ»[2]. فجعل التقوى أساسًا للنظم ووصّى بها بعدها. وهذا ما لا بدّ أن يكون مشهودًا في حياة المنتظر.

---

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام: «الإِمَامُ، الأَنِيسُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالأَخُ الشَّقِيقُ وَالأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ». الكافي، ج١، ص٢٠٠؛ الغيبة للنعماني، ص٢١٩.

وعنه عليه السلام: « لِلْإِمَامِ عَلَامَاتٌ؛ يَكُونُ ... ويَكُونُ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ». من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٤١٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّا لَنَفْرَحُ لِفَرَحِكُمْ وَنَحْزَنُ لِحُزْنِكُمْ وَنَمْرَضُ لِمَرَضِكُمْ وَنَدْعُو لَكُم». بصائر الدرجات، ج١، ص٢٦٠.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَئِمَّةِ تُعْرَضُ عَلَيْنَا أَعْمَالُ شِيعَتِنَا صَبَاحًا وَمَسَاءً، فَمَا كَانَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَعْمَالِهِمْ سَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى الصَّفْحَ لِصَاحِبِهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْعُلُوِّ سَأَلْنَا اللَّهَ الشُّكْرَ لِصَاحِبِه». مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج٤، ص٣٤١.

وعن الإمام المهدي عليه السلام: «فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُم ... إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُم». الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٤٩٧؛ وإلزام الناصب، ج١، ص٤١٠.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب٤٧.

والاسم الآخر للمنتظر أساسًا هو المتّقي. ولا يمكنكم مهما اجتهدتم أن تجدوا للمنتظر اسمًا آخر بهذا المستوى من التناسب. وليس المراد من قول صاحب العصر ﷺ: «فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ»[1]، سوى ذلك. وللتقوى بعدان: ترك المعصية لله وأداء العبادات والطاعات لله أيضًا. علمًا بأنّ «اجْتِنَابُ السَّيِّئَاتِ أَوْلَى مِنِ اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ»[2].

فالمتّقي إذا أراد الابتعاد عن الآخرين من أجل معشوقه تجنّب المعصية، وإذا أراد الاتصال بحبيبه أطاع وعَبَد، واحدة ألذّ من الأخرى. يجب أن نفهم التناسب بين مفهومَيْ التقوى والانتظار. ويجب بالطبع أن نُفهم ذلك لأنفسنا وفهمه ليس بالأمر الهيّن. لا بدّ أنّ نفكّر ونُلقّن أنفسنا كثيرًا كيف تكون التقوى من لوازم الانتظار؟ فإن لم نُدرك ذلك سيكون شعارًا ليس إلّا. وكلّنا أيضًا يمتلك الأهليّة اللّازمة للتفكّر في هذا المجال. ولكن غالبًا ما لا نصرف وقتًا لذلك، أو لا نملك الاستعداد لتلقين أنفسنا بذلك.

فالتلقين بحاجة إلى استعداد والتفكّر بحاجة إلى فرصة، وإلّا فالكلّ يعلم تقريبًا بأنّنا «إذا أردنا أن نكون منتظرين، لا بدّ أن نكون من المتّقين». أيّ شيء ننتظر؟ أليست حكومة الإمام تأتي ممهّدة لتسهيل الأمر على الناس في التزام التقوى؟ ألم يظهر الإمام ليقف بوجه الاستكبار الّذي هو حالة مضخّمة من نفس ذنوبنا اليوميّة؟ هل من الممكن أن ننتظر الإمام ﷺ ولنا رغبة في الذنوب ورغبة عن تطهير الروح وتزكية النفس؟

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٤٩٩.

(٢) من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، غرر الحكم، ح٣٥١٤.

يجب أن ندرك العلاقة بين التقوى والانتظار بعمق، ونفكر حولها كثيرًا ونُلقّنها لأنفسنا في المواضع الحسّاسة وبشتّى الأساليب؛ لأنّ النفس تفرّ من الموعظة والنصيحة، ترفض الاستماع إلى الكلام المرّ والإجبار على العمل الشاقّ. ولهذا لا بدّ أن نلقّن هذه الحقيقة لأنفسنا وللآخرين بأسلوب فنيّ. فما هو الاستدلال الّذي يُقنعني بصفتي منتظرًا أنّه ينبغي عليّ أن أكون من المتّقين؟ ألم يكفي أن أعرف بأنّ ذنوبي تُؤجّل الظهور؟ لعلّ التصديق بذلك صعب علينا.

المنتظر يسعى ويجتهد بمقدار وسعه. فإن أجهده السعي وانسلخت عنه قوّة الكفاح، مدّ يده إلى إمامه الغائب واستمدّ العون منه. وبالطبع، فإنَّ الإمام الشاهد عليه سيعينه. ولا تتعجّبوا إن ظهر الإمام له. (علمًا بأنّكم لا تطّلعون على هذا الظهور الخاص)[١]. فالمنتظر يطلب إصلاح العالم بسبب المحاسن والكمالات الّتي يعشقها لنفسه حتى الموت ويسعى من أجلها.

وما أجمل لو وصل السالك في مسير سلوكه إلى الله، إلى انتظار الفرج. فإنّ ذلك علامة على سلامة حركته إلى الله؛ لأنَّ حركته لو لم تكن سالمة لما انتهت إلى انتظار الفرج، ورأسمال لانتظاره الحقيقي. تصوّروا أنّ الغارق في لذّة القرب من الله وفي التقوى، يصرّ أن يهب لذة هذا القرب والتقوى لجميع أهل الأرض، وبذلك يكون منتظرًا.

---

(١) يقول الإمام الخامنئي: ««قد ينال عيون أو فؤاد إنسان سعيد إمكانية الاكتحال بأنوار ذلك الجمال المبارك، لكن هؤلاء لا يطلقون ادعاءات وأقوالًا ولا يفتحون لأنفسهم دكاكين. الّذين يفتحون لأنفسهم دكاكين بهذه الطريقة يمكن للمرء أن يقطع ويتيقّن بأنّهم كاذبون مفترون. ينبغي إبعاد هذه العقيدة الواضحة الساطعة عن هذه الآفة». (كلمته بمناسبة يوم النصف من شعبان؛ ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٨).

والآن تصوّروا كيف يستطيع من لم يحمل صورة واضحة وتجربة لذيذة عن التقوى، أن يكون منتظرًا للفرج؟ الفرج الّذي لا يُراد به سوى بسط التقوى في الأرض. فإنّ التزكية المعنويّة مقدّمة ضروريّة للانتظار ونتيجة قطعيّة له أيضًا.

علمًا بأنَّ البعض لا يشرع من التقوى للوصول إلى الانتظار، بل يشرع من محبّة الإمام؛ وليس من أهل الادّعاء والخيال أيضًا. فمن الطبيعي أن يصل إلى التقوى؛ لأنّ حبّ الإمام وإن كان أسهل من حبّ التقوى، ولكن إذا ازدادت هذه المحبّة قليلًا ستعرض آثارها الإيجابيّة. حيث يكفي أن تعرف بأنَّ الإمام لا ينظر إلى من ليس من أهل التقوى، ليسوقك ذلك إلى عدم الانفصال عنها.

ولا يعني ذلك أنّ للإمام ذائقة خاصة وهي محبّة المتقين فقط. وحتى لو كان كذلك، فهو ملاك للعشق الصادق. ولكن يجب أن نعرف أساسًا أنّ من لم يكن من أهل التقوى لا يستطيع ذاتيًّا أن يتقرّب من الإمام وأن ينفعه. وحاله حال الكافر الّذي يفقد استعداده الذاتي للّقاء بالله، ولا بدّ أن يدخل النار بمقتضى طبيعته.

فمن فقد عقله لذنب اقترفه،[١] لا يستطيع إدراك محاسن الإمام، ولا يمكنه فهم الإمام، ولا تتأتّى له نصرته، بل وقد لا يستطيع أن يحتمل الإمام أيضًا. فهو يحبّ هواه أكثر. ولا يتسنّى له حبّ الإمام إلا عن بعد، ولربّما يُصاب بالملل إذا اقترب منه. ولذا، فأن يكون الإنسان فاقدًا للتقوى وطالبًا للقاء الإمام أمرٌ خطير. وإن كان يحدونا الأمل أن يورث اللّقاء بنفسه زيادة في المحبة والطاعة، غير أنّ القاعدة لا تشير إلى ذلك؛ ولا

---

(١) عن النبي ﷺ: «مَن قارَفَ ذَنبًا فارَقَهُ عَقلٌ لا يَرجِعُ إلَيهِ أبدًا». ميزان الحكمة، ح٦٧٥١، نقلاً عن المحجة البيضاء، ج٨، ص١٦٠.

يتحقّق هذا الأمر في الكثير من المواطن. وهذا ما صرّح به الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.(١)

الأعمال الاجتماعيّة

النوع الآخر لعمل المنتظرين بعد تزكية النفس هو أداء «الوظائف الاجتماعيّة» الّتي لا يتغافلون عنها. وكما أشرنا سابقًا، فإنّ المنتظر أساسًا موجود اجتماعي بل عالمي. فلا يمكن تصوّر «الانتظار» من دون «الاجتماع».

وبالطبع، لا بدّ من الالتفات إلى أنّ أداء الوظائف الاجتماعيّة لا يأتي دورها بعد الفراغ من المراحل العليا لتزكية النفس، وذلك أوّلًا لأنّ الكثير من وظائفنا الاجتماعيّة لا تحتاج إلى تزكية النفس وطيّ المراتب المعنويّة الخاصّة؛ كالإنفاق وأصناف الجهاد المالي. وثانيًا، فإنّ العمل الاجتماعي بذاته بنّاءٌ للغاية، وهو يعدّ من أهم الطرق لتزكية النفس. نعم، من أراد أن يكون مربّيًا للمجتمع أو معلّمًا لجماعة وأسوة للآخرين، ينبغي له التصدّي لجهاد النفس وتزكيتها قبل العمل بهذه الوظائف.(٢)

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام، قال لجماعة من الشيعة تدّعي الاستعداد للقيام: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ جَاءَتِ الْمُزَامَلَةُ وَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ فَلَا يَمْنَعُهُ»(3)، فانظروا إلى العلاقات الحميمة

---

(١) سورة البقرة، الآية٢.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ». نهج البلاغة، الحكمة٧٣.

(٣) قِيلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنَّ أَصْحَابَنَا بِالْكُوفَةِ لَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَوْ أَمَرْتَهُمْ لَأَطَاعُوكَ وَاتَّبَعُوكَ. قَالَ: يَجِيءُ أَحَدُكُمْ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ حَاجَتَهُ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: هُمْ بِدِمَائِهِمْ أَبْخَلُ. ثُمَّ قَالَ: ... إِذَا قَامَ الْقَائِمُ جَاءَتِ الْمُزَامَلَةُ وَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ فَلَا يَمْنَعُهُ». الاختصاص للشيخ المفيد، ص٢٤.

فيما بينهم. وفي رواية أخرى، إنّ المؤمنين إن لم يكونوا كذلك ليسوا بإخوان.[١] فإن أردنا أن نصل إلى مقام المنتظر، لا بدّ أن نتّجه عمليًّا نحو هذه الأجواء. كما ذكر الإمام الباقر عليه السلام أنّ أصحاب الإمام متخلّقون بهذه الأخلاق.[٢]

وفي زيارة عاشوراء، نقرأ: «إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُم»[3]. أي: يا سيدي ومولاي، إنّني لا أُحبّك فحسب، بل أحبّ كلّ من يُحبُّك. وناصر الإمام المهدي أيضًا يُحبّ الناس عاطفيًّا ويصادقهم عمليًّا. فلو اختلف المنتظر شخصيًّا مع أحد يتغاضى عن حقّه، وإن كان صاحب حقٍّ. فهو يحتمل المظلوميّة، ولكنه يُصادق المؤمنين. فالمنتظر لا نظير له في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين.

الشخص العادّي في الأيام الأولى لدى دخوله محيطًا جديدًا كالمدرسة أو الجامعة، تجده ينظر إلى الجميع بنظرة معصومة، متواضعة، سائلة، محتاجة إلى صديق ومتعطّشة إلى العلاقات العاطفيّة. ولكنّه بعد مدّة من حصوله على الأصدقاء تراه لا يكترث بأحد. قلبه صغير كالعصفور لا يسع لأكثر من عشرة أصدقاء. فقد كان في الأيام الأولى من دخوله الجامعة يُسلّم على الجميع، ولكنه بعد سنة إن سلّم عليه طالب جديد، نظر إليه باستغراب.

فمن كان قلبه صغيرًا يمتلئ وعاؤه بالعثور على أربعة أصدقاء. وهو لا يطلب بعدُ أربعين صديقًا، ولا تجد التواضع في عينيه والسعة في

---

(١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الباقِرِ عليه السلام، قَالَ يَومًا لأصْحابِهِ: «أيُدخِلُ أحَدَكُمْ يَدَهُ في كُمِّ صاحِبِهِ فَيَأخُذَ حَاجَتَهُ مِنَ الدَّنانيرِ؟ قالوا: لا. قال: فَلَستُم إذًا بإخوانٍ». كشف الغمة، ج٢، ص١٤٨.

(٢) الاختصاص للشيخ مفيد، ص٢٤.

(٣) مفاتيح الجنان، زيارة عاشوراء؛ كامل الزيارات، ص١٧٤؛ المصباح للكفعمي، ص٤٨٢.

صدره، ولا يمكنه أن يُقيم الصداقة مع جماعة أكبر ولا يسعه أن يمتلك ١٠٠ صديق. الإنسان العادّي يريد أربعة أصدقاء ليبثّ إليهم شكاواه ويبوح لهم بأسراره، غير أنّ دائرة صداقة المنتظر واسعة للغاية. فإنّ صداقاته لا من باب الاحتياج، بل من باب المحبّة للناس.

المنتظر في مقام العمل، أهل الخدمة إلى الآخرين، أهل التزكية وجهاد النفس، أهل العمل الجهادي، أهل الجهد والسعي الحثيث. وعلامته أنه متفوّق في دروسه على الجميع، وفي الوقت ذاته له فرصة للعمل أيضًا، وباستطاعته أن يجمع بينهما لأنّ نفسه سليمة.

تسلّم الشهيد شمران درجة ٢٢ من أستاذ كان معروفًا بعدم منحه درجة ٢٠ للطلاب، وقد تمّ تسجيل هذه الدرجة في الجامعة بإصرار من نفس هذا الأستاذ[١]. وهو يقول في مناجاته: «إلهي! ينبغي أن أتفوّق من الناحية العلميّة على الجميع، لئلا يعيّرني الأعداء من خلال ذلك. يجب أن أُثبِت لهؤلاء القاسية قلوبهم الّذين جعلوا من العلم وسيلة للتفاخر على الآخرين، بأنّهم أحقر من التراب الّذي تحت قدمَيّ. لا بدّ أن أُخضِع كل أولئك الظالمين المتغطرسين والمتكبرين، ثمّ أكون أكثر أهل الأرض خضوعًا وتواضعًا»[2].

---

(١) يقول المهندس مهدي شمران (شقيق الشهيد الدكتور مصطفى شمران): «كان أستاذ في الكلية الفنية لا يمنح للطالب درجة أكثر من ١٤ أو ١٥ والدكتور قد تسلّم منه درجة ٢٢ العجيبة! وعندما سُئل: لماذا منحت شمران درجة ٢٢؟ أجاب: درجة ٢٠ حقّ كرّاسه الّذي لم أجد فيه أيّ نقص يحتاج إلى التعديل، وقد كتبه بجودة وموسوعية بالغة حتى اضطررت لأن أقدّمه على نفس ما هو عليه لطباعته كتابًا». المحاضرة الثانية للمهندس مهدي جمران في ملتقى «مصطفى الأفكار» الدولي، الثاني من أكتوبر ٢٠١١، المصدر: الموقع الإعلامي لمجمع شباب الشهيد شمران:
(httP://www.m-chamran.com/?Content=15)

(٢) خدا بود و ديگر هيچ نبود، ص٢٨.

نحن لا مفرّ لنا في هذا العالم الحرّ المليء بالمنافسات سوى أن نُثبت بأنّ المهدويّين أفضل من الجميع. لا بدّ أن نصل إلى هذه المرتبة، بحيث لو طُرح هذا السؤال: من هو المنتظر؟ لأجاب الجميع: «هذا واضح، من هو أنشط من الآخرين، من هو كثير الخدمة، متفوّق في الدراسة، ثابت الجأش، قويّ العزيمة، وبعبارة واحدة من يعرف كيف يعيش».

المنتظر لا يتعامل مع الناس بشكل جيّد فحسب، بل يُجابه أعداء الناس أيضًا. المنتظر مقارعٌ للظلم. وعالمنا زاخر بالظلم والجور. ومن هنا، فإنّ المنتظر ليس من أهل المحبّة فحسب، بل هو من أهل العداء أيضًا. وليس من أهل العدل فحسب، بل هو ممّن لا يرضخ للظلم أيضًا.

إنّ البعض يرغب في أن يُحدّد الحالة الاجتماعيّة بحدود معيّنة. كأن يرى مساعدة الناس ورعاية الفقراء محدودة بمنطقة أو مدينة، أو حتّى بلد معين. ولا يرغب في اجتثاث جذور الفقر ومكافحته. فهو مستعدّ لتأسيس مؤسسات خيريّة، وليس مستعدًّا لأن يكافح أساس الفقر وأصله (أي الّذين أوجدوا الفقر والحرمان؛ وهم أصحاب الثروة والقوة وعلى رأسهم الاستكبار العالمي). فهذا المنهج يعدّ ضربًا من ضروب مناهضة المجتمع وإخفاء الظالمين الّذين دمّروا المجتمعات البشريّة بظلمهم. وهو في الحقيقة إيجاد منطقة آمنة لمثل هؤلاء الظلمة.

والطريق الوحيد لخدمة الناس في يومنا هذا هو مقارعة الظالمين والوقوف بوجههم. وبعبارة أخرى، بثّ ثقافة الجهاد وتوعية الناس لمواجهة المستكبرين هو السبيل الوحيد لخدمة البشرية وبالطبع تمهيد للظهور. يقول ولي أمر المسلمين دام ظله في كلام بالغ الأهميّة:

«في الوقت الّذي يُعلم أنّ الأرضيّة قد تهيّأت لأن يثبت آحاد البشر على كلامهم أمام القوة الماديّة لمستكبري العالم، فذلك اليوم هو يوم ظهور الإمام المهدي ﷻ؛ ذلك اليوم هو اليوم الّذي يظهر فيه منقذ عالم البشرية بفضل الله، ورسالته تجذب كلّ القلوب المستعدّة المتواجدة في جميع أرجاء العالم، وعند ذلك لا تستطيع القوى الجائرة والقوى القمعيّة والقوى المستندة إلى الثروة والقوّة أن يسوقوا هذه الحقيقة إلى الوراء أو أن يُخفوها كما كانوا يفعلونه دومًا من قبل بفضل ثروتهم وقوتهم»[1].

إن كل ما يتحلّى به المنتظر من أخلاق فردية واجتماعية، لا تُقبل منه إلّا في مسير الثوريّة ومقارعة الظالمين والمستكبرين؛ وإلّا فلا الله يتقبّل من الإنسان الفضائل الّتي تمرّ من خلال طلب الراحة والدعة، ولا خلق الله ينتفعون منها. ولا بدّ من البحث عن المعنويّة الأصيلة والانتظار الحقيقي في الجهاد الّذي يقول في شأنه رسول الله ﷺ: «مَنْ ماتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحدِّثْ بهِ نَفْسَهُ، ماتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنْ نِفاقٍ»[2].

إنّ الأخلاق الاجتماعيّة تبدأ من حُسن التصرّف مع العائلة عن معرفة بحقوقهم، وتواصل مسيرتها عبر الثوريّة والجهاد في سبيل إنقاذ البشر، وتنتهي بظهور منقذ عالم البشريّة. ولا يمكن التوقّف في أيّة مرحلة. ولو توقّفنا في أيّ مرحلة، فلربّما سنضطرّ للعود من حيث جئنا، وسنتبدّل إلى ظلمة لأنفسنا ومجتمعنا. فإنّ من يسكت ويعتزل في هذه الظروف، سيكون عونًا ونصيرًا للظالمين بصورة تلقائيّة؛ لأنّنا

---

(١) كلمته في يوم ميلاد الإمام المهدي ﷻ، ١٢/ ١١/ ٢٠٠٠.

(٢) ميزان الحكمة، ح٢٨٢٩، نقلاً عن صحيح مسلم، ج٣، ص١٥١٧، ح١٥٨، (طبعة دار الحديث، القاهرة)، أو ج٦، ص٤٩، (طبعة دار الفكر، بيروت).

نعيش في زمن قد اندلعت فيه ألسنة الجهاد الأخير[١]، وتبلورت فيه المواجهة التامّة بين معسكر الحقّ والباطل.[٢]

تشكيل النظام الإسلامي

إنَّ العمل الاجتماعي المتواصل والمستمرّ لا يمكن تصوّره، بل

---

(١) الجهاد الأخير، هو الجهاد الّذي تتبلور فيه المواجهة التامة بين الحقّ والباطل والّذي يؤول إلى انتصار الحقّ وانكسار الاستكبار العالمي.

(٢) «لقد بدأت اليوم حرب بين الحقّ والباطل، حرب بين الفقر والغنى، حرب بين الاستضعاف والاستكبار، وحرب بين المضطهدين والمترفين. وأنا ألثم أيادي وسواعد كلّ الأعزاء في أرجاء العالم الّذي حملوا على عاتقهم عبء النضال واعتزموا على الجهاد في سبيل الله واعتلاء عزة المسلمين». صحيفة الإمام، ج٢١، ص٨٥.

«نحن بعون الله سنصمد أمام أعداء الإسلام وشعوب العالم المستضعفة ولا سيّما أمام أميركا المصاصة للدماء حتى القضاء عليهم بالكامل». صحيفة الإمام، ج١٢، ص٢٦١.

«لتعلم أميركا المصّاصة للدماء أنّ الشعب العزيز والخميني سيسلبون الراحة منها حتى القضاء الكامل على منافعها وسيواصلون جهادهم الإلهي حتى قطع أياديها... وعلى شعبنا أن يعدّ نفسه لهذه المواجهة الحسينية حتى الانتصار بالكامل». صحيفة الإمام، ج١٤، ص٤٠٧ و٤٠٨.

«اعلموا بحول الله وقوته بأنّ حرب الحقّ مع الباطل ومع الطواغيت والفراعنة وفرعون الاستكبار الّتي بدأت بقيادة الشعب الإيراني تحت راية الإسلام، ستستمر حتى إسقاط الاستكبار». كلمة الإمام الخامنئي في لقائه الطلاب والجامعيين، ٢٠٠٦/١١/٢.

«سوف تتقدم الأمة الإسلامية باضطراد في الطريق الّذي ارتقى بمسلمي صدر الإسلام إلى ذروة العظمة والعزة، وستنجو الشعوب المسلمة من التخلّف والهوان الّذي فرض عليها في القرون الأخيرة. طلائع هذه الحركة الكبرى قد انطلقت، وأمواج الصحوة قد هدرت في كل أرجاء العالم الإسلامي بنسب متفاوتة... المستقبل للأمة الإسلامية، وبوسع كل واحد منا تقريب هذا المستقبل بحسب إسهامه وقدراته وإمكاناته ومسؤوليته». نداء الإمام الخامنئي لحجاج بيت الله الحرام، ٢٠٠٧/١٢/١٥.

«ليعلم المسلمون في كل أرجاء العالم بأنّ عهد تخلّف العالم الإسلامي والازدراء به قد ولّى، وأن عهدًا جديدًا قد بدأ... بدأت اليوم حركة عميقة ومتجذرة في العالم الإسلامي - شاؤوا ذلك أم أبوا - وهذه الحركة هي الّتي ستنتهي في الوقت المناسب إلى استقلال الأمة الإسلامية وعودة عزها وحياتها المتجددة». نداء الإمام الخامنئي لحجاج بيت الله الحرام، ٢٠٠٦/١٢/٢٤.

ولا تحقّقه من دون تشكيل حكومة. فإنّ عملنا بوظائفنا الاجتماعيّة والجهاديّة، سيؤول إلى تشكيل حكومة أو الإطاحة بالحكومات الجائرة لا محالة. ولو أردنا العمل بكلّ الوظائف الملقاة على عاتقنا، لا بدّ لنا من تشكيل حكومة وإسقاط الحكومات الجائرة. ومن هنا يدخل تشكيل حكومة منتظِرة في جدول أعمال المنتظِرين. ومن الطبيعي أن يتمّ تشكيل حكومة المنتظرين هذه قبل الظهور ليتحقّق التمهيد للظهور بواسطتها. كما جاء في الرواية بشأن الممهّدين للظهور أنّ قومًا يوطّئون للمهدي قبل ظهوره.[١]

إنّ الثمرة الطبيعيّة والقطعيّة لمقارعة الظلم هو تشكيل حكومة؛ ومن مستلزمات تشكيل الحكومة في هذه الدنيا المليئة بالظلم، هي الوقوف بوجه عالم الاستكبار للدفاع عن هذه الحكومة. فلا يمكن اليوم تشكيل حكومة تطلب العدالة والأمن من أعداء العدالة، وتجتاز هذه العداوة بسلام وأمان؛ لأنّ تشكيل مثل هذه الحكومة أساسًا بمعنى دقّ ناقوس الخطر لدى الحكومات الجائرة والمناهضة للعدالة، ونذير اضمحلالها. وأساسًا، لا يمكننا التصوّر بأن تتشكّل حكومة حقّة في هذا العالم الرازح تحت وطأة معسكر الباطل، ولا تسوق عالم الاستكبار إلى السقوط والزوال. فقد اختلف عالم اليوم عن عالم الماضي.

وإنّ أيّ حركة جهاديّة كلعبة الدومينو تترك آثارها وتبعاتها الخاصّة في العالم المعاصر الّذي اقترب نوعًا ما من الانسجام والتناسق العالمي، إثر اتّساع العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة والإعلاميّة. فلا يمكن في الظروف الراهنة أن تكون منتظرًا ولكن لا تواجه الظلم، ولا

---

(١) عن النبي ﷺ: «يَخرُجُ ناسٌ مِن المَشرِقِ فَيُوطِّئُونَ للمَهدِيِّ سُلْطانَهُ». ميزان الحكمة، ح٢٣٦٦، نقلاً عن كنز العمال، ح٣٨٥٦٧.

يمكن أن تواجه الظلم الإقليمي ولا تواجه – في الوقت عينه - الظلم العالمي، ولا يمكن أن تواجه الظلم العالمي ولا تقدّم نموذجًا يُحتذى للشعوب المضطهدة، لا يمكن أن يؤدي جهادك إلى حركة عالميّة كبرى ولا ينتهي بالظهور بصفته السبيل الوحيد للنجاة من الأزمات.

في مثل هذا الوضع، لا يرى المنتظر شيئًا أكثر قداسة من المساهمة في قضيّة التمهيد للظهور. وقد بدأ التمهيد للظهور في أرضنا المشرقة منذ أعوام عدّة. ونحن اليوم نمهّد لإنقاذ البشريّة في خضمّ المواجهات العالميّة للدفاع عن الثورة الإسلاميّة. فهل لدى المنتظر أمرٌ أهمّ من الدفاع التامّ عن نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وتعزيزه أمام النظام الاستكباري؟

انظروا إلى كلمات الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ في هذا المجال:

«إنَّ صيانة الجمهوريّة الإسلاميّة أهمّ من الحفاظ على حياة شخص ولو كان إمام العصر؛ لأنّ إمام العصر أيضًا يضحّي بنفسه من أجل الإسلام. وكلّ الأنبياء الّذين جاؤوا منذ فجر هذا العالم وحتّى يومنا هذا، قد جاهدوا وضحّوا بأنفسهم من أجل كلمة الحقّ ودين الله. وقد اقتحم النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّ تلك الصعاب وتجشّم أهل بيته العظام كلّ ذلك العناء وضحّوا بأنفسهم؛ كلّ ذلك من أجل حفظ الإسلام. الإسلام وديعة إلهيّة عند الشعوب، وقد جاءت لتربية الناس وخدمتهم والحفاظ عليها واجبٌ عيني على الجميع؛ أي أنَّ الجميع مكلّفون بالحفاظ عليها حتّى تتصدّى الجماعة للقيام بذلك فيسقط عندها التكليف عن الآخرين»[1].

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص٣٦٥.

«إنّ مسألة حفظ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في هذا العصر، وبالأوضاع الّتي نشهدها في العالم، والسهام الموجّهة من كلّ حدب وصوب نحو هذا المولود الشريف، من أهمّ الواجبات العقليّة والشرعيّة الّتي لا يزاحمها شيء، ومن الأمور الّتي يكون احتمال الخلل فيها منجزٌ عقلًا»[1].

«إنّ الثورة الإسلامية في إيران وبتأييد من الله المنّان في حال اتّساع على الصعيد العالمي، وباتّساعها إن شاء الله ستُساق القوى الشيطانيّة إلى الانزواء وتُقام حكومة المستضعفين وتُهيّأ الأرضيّة لحكومة مهدي آخر الزمان - عجّل اللَّه تعالى فرجه الشريف وأرواحنا لتراب مقدمه الفداء - العالميّة»[2].

«وآخر كلامي معكم هنا هو أن يبقى وفاؤكم حتّى الموت بالجمهوريّة الإسلاميّة الّتي هي ثمرة دماء آبائكم، ومن خلال استعدادكم وتصدير الثورة وإبلاغ رسالة دماء الشهداء، مهّدوا الأرضيّة لقيام منقذ العالم وخاتم الأوصياء والأولياء، بقية الله روحي فداه»[3].

«نحن نشهد اليوم آفاق صدور الثورة الإسلاميّة في عالم المستضعفين والمظلومين أكثر فأكثر، وإنّ حركة المستضعفين والمظلومين في العالم ضدّ المستكبرين والمتغطرسين الّتي بدأت وهي في حال اتّساع، مبعث أمل لمستقبل مشرق ومقرّبة لوعد الله سبحانه وتعالى. وكأنّ العالم يتهيّأ لطلوع شمس الولاية من أفق مكّة المكرّمة وكعبة آمال المحرومين وحكومة المستضعفين... إلهي! نطلب

(١) المصدر نفسه، ج١٩، ص١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٣٨.

من مقامك الأقدس عاجزين أن تزيد من عزيمة شعبنا الإيراني العزيز لتيسير الجمهوريّة الإسلاميّة وقمع المنحرفين والمخالفين للإسلام وأتباعهم، ليواصلوا مسيرة هذه الثّورة إلى الثّورة العالمية للمهدي الموعود أرواحنا فداه»[1].

«ليعلم مسؤولونا بأنَّ ثورتنا غير محدودة بإيران. ثورة الشعب الإيراني مبدأ لانطلاق ثورة كبرى في العالم الإسلامي تحت لواء الإمام الحجة - أوراحنا فداه - ونسأل الله أن يمنّ على المسلمين وكلّ أهل العالم، وأن يجعل ظهوره وفرجه في العصر الحاضر. ولو أنّ المسائل الاقتصاديّة والماديّة صرفت المسؤولين عن أداء الوظيفة الملقاة على عاتقهم لحظة واحدة، فإنّ ذلك يتبعه خطر عظيم و خيانة كبيرة. على حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة أن تبذل بالغ وسعها لإدارة الناس بشكل أمثل، ولكن لا يعني ذلك أن يصرفهم عن أهداف الثورة الكبرى وهي تأسيس حكومة إسلامية عالمية. وعلى شعبنا الإيراني العزيز الّذي يمثّل الصورة المشرقة عبر التاريخ الإسلامي الكبير في زماننا المعاصر حقًّا، أن يحاولوا تحمّل الصعاب والضغوط في سبيل الله من أجل أن يعمل المسؤولون الكبار في الدولة بوظائفهم الرئيسيّة وهي نشر الإسلام في العالم وأن يطلبوا منهم التزام الودّ والإخاء في إطار مصلحة الإسلام والمسلمين»[2].

والإمام الخامنئي أيضًا دومًا ما يعتبر الثورة سائرة في مسير رسالة عالميّة وممهدّة للظهور:

«ما دمتم أنتم أيّها الشعب الإيراني ملتزمون بهذا الاتّحاد والتأهّب

(١) المصدر نفسه، ج١٧، ص٤٨٠-٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢١، ص٣٢٧.

للقيام بالأعمال الكبيرة، يمكن تحقيق جميع آمال الأنبياء والأولياء عليهم السلام على أيديكم. فإنّ آمالهم الكبيرة هي استقرار العدل ونجاة المستضعفين والقضاء على الظلم في العالم. علمًا بأنَّ وعد الله حقّ، واستقرار العدل في العالم لا يتحقّق إلّا في عصر ظهور بقيّة الله (أرواحنا له الفداء). ولكن يستطيع أيّ شعب مؤمن ومناضل أن يمهّد لتشكيل تلك الحكومة، كما استطاع الشعب الإيراني حتّى الآن وتغلّب على الكثير من المشاكل»[1].

«إنّ مسيرة تحقّق الأهداف الإسلاميّة مسيرة طويلة وشاقّة بطبيعة الحال. الخطوة الأولى - والّتي هي الأكثر إثارة وضجيجًا - هي الثورة الإسلاميّة. والخطوة اللّاحقة هي تبلور النظام الإسلامي على خلفيّة الثورة الإسلاميّة؛ وما نسمّيه بالنظام الإسلامي، يعني أن تصبح الهيكليّة العامّة للمجتمع هيكليّة إسلاميّة، وهذا ما تحقّق. والخطوة اللّاحقة - والّتي هي أكثر صعوبة - هي إقامة الحكومة الإسلاميّة... والمرحلة الّتي تليها هي مرحلة ازدهار وتلألؤ النظام الإسلامي؛ أي مرحلة بناء البلد الإسلامي، وإذا ما تبلورت هذه المرحلة سنغدو أسوة وقدوة لمسلمي العالم: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.[2] وإذا استطعنا طيّ هذه المرحلة بسلام - وليس ذلك بعيد المنال على همم المؤمنين من الرجال والنساء - حينها تحلّ المرحلة التالية وهي بناء العالم الإسلامي. لاحظوا، هكذا تقترب مسيرة إقامة النظام الإسلامي خطوة فخطوة من ثمارها النهائيّة»[3].

---

(١) كلمته في مراسم البيعة مع مختلف الشرائح، ١٩٨٩/٠٦/٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) كلمته في جمع من مسؤولي النظام الإسلامي، ٢٠٠١/١١/١٢.

«لقد ذكرت قبل سنتَيْن أو ثلاث في اجتماع مثل اجتماعنا هذا، أنّنا قمنا بثورة إسلاميّة، ثمّ أقمنا نظامًا إسلاميًّا، ثمّ جاء دور إقامة الدولة الإسلاميّة، تليها إقامة بلد إسلامي، ثمّ تأتي مرحلة قيام الحضارة الإسلاميّة العالميّة. ونحن اليوم في مرحلة الدولة الإسلاميّة والبلد الإسلامي»[1].

«لقد كان هدف الثورة بناء إيران بالسمات الّتي سأذكرها: مستقلّة، حرّة، تتمتّع بالثروة والأمن، متديّنة وتتحلّى بالمعنويّة والأخلاق... والقضية لا تختص بإيران. إيران مطلوبة بصفتها نموذجًا للمجتمعات الإسلاميّة بالدرجة الأولى، وكافّة المجتمعات الإنسانيّة بالدرجة الثانية... لا يخال البعض أنّ هذا شيء منشود لكنّه غير ميسور... أرادت الثورة أن تثبت للجميع أينما كانوا من العالم الإسلامي أن هذا النموذج ممكن التحقيق، وهذا هو المثال. كان هذا هدف الثورة. كان هذا الهدف مطروحًا منذ البداية، وأقول لكم إنّه لا يزال قائمًا اليوم أيضًا، وسيبقى في المستقبل. إنّه هدف ثابت»[2].

كلّما كان الحضور في هذه المنزلة العامّة بدائيًّا وإجباريًّا وسهلًا، فإنّ الحضور في تلك المنزلة الخاصة اختياريًّا وصعبًا؛ ولصلحاء العالم من أجل الوصول إلى تلك المنزلة الرفيعة تضرّع وابتهال كثير.

---

(١) كلمته في جمع من مسؤولي النظام الإسلامي، ٢٠٠٤/١٠/٢٧.

(٢) كلمته في لقائه مع الأساتذة والجامعيين بمحافظة شيراز؛ ٢٠٠٨/٥/٣.

الفصل الثالث:

انتظار العرفاء

- النظرة العرفانيّة
- انتظار الوصال
- انتظار الفرج وانتظار الوصال
- الانتظار العرفاني يورث الفرج الشخصي النتيجة
- انتظار وصال الله وتمنّي وصال الإمام عجل الله فرجه الشريف

النظرة العرفانيّة

النظرة العرفانيّة هي إدراك الأسرار المعنويّة للمفاهيم الدينيّة، وتحليل ظاهر الدين بالباطن الّذي يكشف عن عمق معنى ذلك الظاهر. العرفان يتحدّث عن معرفة عميقة؛ معرفة لا تُدرك في الأغلب بالعقل النظري، وتحتاج إلى شهود قلبي باطني. فبالإمكان الحديث عن المسائل العرفانيّة، ونظم الأشعار العرفانيّة، إلّا أنّ ما يجري على لسان علم العرفان أو الذوق العرفاني إنّما هو غيض من فيض. المهم أن نستطيع عبر الإدراك العرفاني أن نفتح الطريق أمام الشعور العرفاني، وأن نتجّه بالعرفان النظري صوب العرفان العملي.

قد لا نصل إلى المعرفة عبر المحادثة العرفانيّة، غير أنّ النظرة العميقة إلى العالم تتضمّن لذة معنويّة خاصّة لا نستغني عنها؛ كالبحر الزاخر إن لم يمكننا الارتشاف منه، فلنغترف منه غرفة، ليهب العبق العرفاني لقلوبنا حلاوة وطراوة.

ومن جانب آخر، كما أنّ الغفلة عن شيوع الانتظار العامّي قد تسوق المجتمع إلى ضرب من النزعة العاميّة، وتُؤجّل النظرة العلميّة العميقة إلى مفهوم الانتظار، فإنّ الغفلة عن البُعد العرفاني لمفهوم الانتظار أيضًا قد تحدّ من مستوى توقّعنا من معنى الانتظار، وتُقلّل من قمية الانتظار الحقيقي في رؤيتنا. إضافة إلى أنّ النظرة العرفانيّة للانتظار، ترسم لنا العمق المعنوي والجمال العرفاني للانتظار، وتؤمّن حاجتنا للحياة العرفانيّة، وتزيل عن المجتمع عطشه المعنوي للدخول في المذاهب العرفانيّة الموهومة.

في ظلّ النظرة العرفانيّة للانتظار، قد نُدرك السرّ فيما يحمله المنتظرون الحقيقيّون من لوعة وحرقة، وما يقومون به من تهذيب أنفسهم

والتزام التقوى للتشرف بلقاء المولى. وفي ظلّ هذه النظرة العرفانيّة، نُدرك أهمية الانتظار وقيمته البالغة. وفي ظلّ هذه النظرة العرفانيّة، يمكننا فهم كيف أنّ انتظار الفرج أصبح أفضل أعمال أمّة النبي ﷺ.[١]

ولو جرت هذه النظرة في شرايين فكر المجتمع وشعوره، لتبلورت آثار الانتظار المعنويّة أكثر فأكثر، واستيقظت قلوب المزيد من طلّاب الحقّ.

أساسًا، ينبغي أن ننظر إلى جميع أجزاء الدين بنظرة عرفانيّة؛ بحيث يصبح النظر إلى باطن المعاني والمفاهيم الدينيّة عادتنا الدائمة، ولا يُنظر إلى الرؤية العرفانيّة كذوق متعلّق بجماعة خاصة. يقول الإمام الخميني قدس سره في كتابه سرّ الصلاة: «وحصيلة مرادنا من هذا الفصل هو أنّ للصلاة ولجميع العبادات باطنًا ولبًّا وحقيقة غير هذه الصورة والظاهر والمجاز، وهذا ثابت عن طريق العقل، وهناك شواهد نقليّة كثيرة عليه لا يسع المجال في هذه الأوراق ذكرها جميعًا، وهنا نتبرّك بذكر بعضها...»[2].

انتظار الوصال

إنّ سبب انتظار الفرج واليُسر ليس هو مجرّد غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بل يمكن اعتبار معنىً بعيدٍ عن الظروف الاجتماعيّة والتاريخيّة لانتظار الفرج أيضًا. الانتظار في بادئ الأمر مفهوم إنساني وعرفاني، مفهوم دائمي وثابت، وليس مفهومًا تولّد منذ بداية الغيبة وينتهي بظهور المخلّص الموعود والفرج في الحياة الفرديّة والاجتماعية للبشر. بل مفهوم يمكن له اتّخاذ معنىً يفوق الزمان والمكان؛ معنىً يرتبط بأساس حياة البشر وعلاقته التكوينيّة مع الله سبحانه وتعالى.

---

(١) عن النبي ﷺ: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ». المناقب لابن شهرآشوب، ج٤، ص٤٢٥؛ وكمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٤. وقد أوردنا روايات أخرى في هذا المجال في الهامش ص؟؟؟.

(٢) سر الصلاة (معراج السالكين وصلاة العارفين)، ص٥٦.

ومن أجل إدراك المعنى الدائمي للانتظار، لا بدّ من الرجوع إلى فلسفة الخلقة؛ حيث يُعرف أنّ الإنسان قد خُلق أساسًا من أجل اللّقاء بخالقه، ولا معنى لحياته وكيانه إلّا عبر الارتباط بالله سبحانه، وحتّى الجنان أيضًا لا تروي غليل حقيقة وجود الإنسان. فلو نظر الإنسان إلى عطشه الكامن في أعماق وجوده، لأدرك أنّه لا يصل إلى الاستقرار والطمأنينة إلّا بالوصول إلى الله والأنس بجوار ذاته المقدّسة؛ وإلّا فكلّ وجوده جزع وهلع، وسيبقى ألم الفراق مُلمًّا به حتّى يلاقي ربه.

المسألة المهمّة هي أنّ هذا الفراق قد بدأ بعد وصالٍ بدائيّ لا نعرف عنه شيئًا كثيرًا. ومن هنا، فإنّ تمنّي الوصال طلبٌ للرجعة بنحو من الأنحاء. وفي مثل هذه الظروف، وبسبب ذلك الماضي، يتزايد الانتظار الحاصل للقاء الله ويتضاعف ألم الفراق.

إن أنفسنا محزونة مكتئبة إثر فراق عظيم، وتنتظر العود إلى محلّها الرئيسي ومسقط رأسها، وهو كنف رحمة الله. ولكن شاءت حكمة الله العليا أن يُقرّر لنا هذا المصير وهو المكوث في عالم الدنيا لنحمل على كاهلنا لفترة عبء الفراق، ونفتح أجنحة الانتظار لنيل الوصال.

إذًا، فالانتظار يتولّد مع الإنسان، ويرافقه ما دام الإنسان في هذه الدنيا. ويعود تاريخ هذا الانتظار إلى بداية خلقة البشر. وأوّل من بكى طويلًا بسبب هذا الانتظار وتمنّي اللّقاء، هو النبي آدم عليه السلام. حيث بقي طيلة عمره ينتظر الرجوع والعود إلى الله.[١] هذا هو لسان حاله

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْبَكَّاؤونَ خَمْسَةٌ آدَمُ وَيَعْقُوبُ وَيُوسُفُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَأَمَّا آدَمُ فَبَكَى عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَ فِي خَدَّيْهِ أَمْثَالُ الْأَوْدِيَةِ....». الخصال للشيخ الصدوق، ج١، ص٢٧٢.

ولسان حال كلّ من أدرك سرّ الحياة في هذه الدنيا الدنيّة.[١]

انتظار الفرج في الأساس هو انتظارٌ للتحرّر من سجن الدنيا والعود إلى كنف الله. ومن لم يكن منتظرًا للتحرّر من السجن فهو هالك وقد عَدَل عن إنسانيّته، وعليه أن يتساءل من نفسه: لماذا اعتدت على هذه الدنيا؟ لِمَ تحبُّ البقاء في هذه الدنيا؟ لماذا لا تنتظر العودة؟ إذًا، لا شكّ أنّك قد تصرّفت في روحك. فانظر كم دنّست هذه الروح حتّى اطمأنّت بالدنيا؛ لأنّها لم تُخلق من أجل هذه الدنيا.[٢]

وبهذا يتّضح أنّ الانتظار أساسًا مفهوم إنساني وعرفاني، ومتعلّق بكلّ من يعيش في هذه الدنيا. ففي الحديث النبويّ الشريف، عندما توصف الدنيا بأنّها سجن المؤمن،[٣] لا بدّ أن نستنتج بأنّنا سجناء، ومن الطبيعي كأيّ سجين آخر أن ننتظر انتهاء حُكمنا والتحرّر من السجن. ولو لم نجد مثل هذا الانتظار في أنفسنا ولم نشعر به، فمن المفروض أن تكون الأجواء الّتي نعيشها جيّدة. وهناك أبحاث كثيرة يمكن التعرّض لها في هذا المجال والأفضل أن توكل إلى البحوث الأخلاقيّة والعرفانيّة.

فإن كانت هذه هي حالتنا الطبيعيّة والإنسانيّة حيث يلزم أن يقترب من هذه الحالة الطبيعية كلّ من يخطو خطاه الأولى في مسير التكامل

---

(١) وهو سرّ هبوط الإنسان وسقوطه من «العيش في الجنة والحياة في السماء» إلى «الحياة في الأرض والعيش في الدنيا المليئة بالمشاكل». لاكتساب المزيد من المعلومات حول هبوط آدم وذريته وتفاصيل هذه المسألة، راجع تفسير الميزان، في ذيل الآية ٣٦ – ٣٨ من سورة البقرة. من الإشارات الّتي يذكرها العلامة الطباطبائي حول سرّ الهبوط في تفسير هذه الآيات هي أنّ هذا الهبوط قد يكون مقدمة للصعود إلى مرتبة أسمى من تلك الحياة الأولى في الجنة.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته إلى ولده الحسن المجتبى عليه السلام: «اعلَمْ يا بُنَيَّ أنَّكَ إنّما خُلِقتَ للآخِرَةِ لا للدُّنيا». نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

(٣) «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ». من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦٢.

المعنوي، فهل يمكن أن نشرع في هذا المسير ونبحث عن المعنويّة، ولكن لا نطلب لقاء الله؟

إنّ من يسلك طريق المعنويّة، ولكن لا يتمنّى لقاء ربّه، فقد عبث بالمعنويّة والعبادة؛ لأنّ طلب «القرب من الله» الّذي يعدّ أهم تفسير لطلب المعنويّة، يقتضي أن يكون الإنسان مشتاقًا ومنتظرًا للقاء الله. يقول الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْتَقْ إِلَى لِقَائِهِ فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ»[1].

علمًا بأنّ هذا الشوق يتحقّق تدريجيًّا. ولذا لا ينبغي أن نعتبر من هو في بداية هذا الطريق مصداقًا لهذا الحديث الشريف. فالمهم أن يعرف الإنسان مسيره ويسعى لنيل غاية كماله ويتمنّى الوصول إلى المقصد المنشود إذا ما رأى نفسه بعيدًا عنه.

وإنّ من علامات صدق السالك في هذا الطريق، هو تمنّي الموت والعود إلى الموطن الحقيقي. وقد اعتبر القرآن الكريم في قبال جماعة تدّعي القرب من الله، أنّ عدم وجود هذا التمنّي علامة على كذب مدّعاهم: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.[٢] وبمقدور الجميع تقييم أنفسهم وتقدير نسبة شوقهم وانتظارهم لهذا العود.

اسمحوا أن نلقي نظرة إلى بعض كلمات أولياء الله النفسية ونستمع إلى لذة انتظار الموت من لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام:

«المَوتُ رَيحانَةُ المؤمنِ»[3].

---

(١) مجموعة ورّام، ج٢، ص١١٠.

(٢) سورة الجمعة، الآية ٦.

(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ الجعفريات، ص٢٠١.

«أفضَلُ تُحفَةِ المؤمنِ المَوتُ»[1].

«إنّ أشَدَّ شيعَتِنا لَنا حُبًّا يكونُ خُروجُ نَفسهِ كشُربِ أحَدِكُم في يَومِ الصَّيفِ الماءَ البارِدَ الّذي يَنتَقِعُ بِهِ القلوبُ، وإنّ سائرَهُم لَيموتُ كما يُغبَطُ أحَدُكُم على فِراشهِ كأقَرَّ ما كانَت عَينُهُ بمَوتهِ»[2].

وهناك قصّتان عن الإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام، نذكرها تتمة للبحث، وردًّا على بعض الأسئلة الّتي قد تختلج في الذهن من الأبحاث السابقة:

قال الإمام الهادي عليه السلام: «قيلَ لمُحمّد بن عَليٍّ بن موسى عليه السلام: ما بالُ هؤلاءِ المُسلمينَ يَكرَهونَ الموتَ؟ قالَ: لأنّهُم جَهلوهُ فكَرِهوهُ، ولو عَرَفوهُ وكانوا مِن أولياءِ اللّهِ عَزَّ وجلَّ لأحَبُّوهُ، ولَعلِموا أنّ الآخِرَةَ خَيرٌ لَهُم مِن الدّنيا. ثُمّ قالَ عليه السلام: يا أبا عبدِ اللّه، ما بالُ الصَّبيِّ والمَجنونِ يَمتَنِعُ مِن الدَّواءِ المُنَقّي لبَدَنِهِ والنّافي للألَمِ عنهُ؟ قالَ: لجَهلِهِم بنَفعِ الدَّواءِ. قالَ: والّذي بَعَثَ محمّدًا بالحقّ نبيًّا إنّ مَنِ استَعدَّ للمَوتِ حَقَّ الاستِعدادِ فهُو أنفَعُ لَهُ مِن هذا الدَّواءِ لهذا المُتعالِجِ. أما إنّهُم لَو عَرَفوا ما يُؤدّي إلَيهِ المَوتُ من النّعيمِ لاستَدعَوهُ وأحَبُّوهُ أشَدَّ ما يَستَدعي العاقِلُ الحازِمُ الدَّواءَ لدَفعِ الآفاتِ واجتِلابِ السَّلاماتِ»[3].

قال الإمامُ العسكري عليه السلام: «دَخَلَ عليُّ بن محمّدٍ عليه السلام على مَريضٍ من أصحابهِ وهو يَبكي ويَجزَعُ من المَوتِ، فقالَ لَهُ: يا عبدَ اللّهِ، تَخافُ من المَوتِ لأنّكَ لا تَعرِفُهُ، أرأيتُكَ إذا اتَّسَختَ وتَقَذّرتَ وتَأذّيتَ مِن كَثرَةِ القَذَرِ والوَسَخِ علَيكَ وأصابَكَ قُروحٌ وجَرَبٌ وعَلِمتَ أنّ الغَسلَ

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ غرر الحكم، ح٣٢٢٠.

(٢) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص٧٥١.

(٣) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص٢٩٠.

في حَمّامٍ يُزيلُ ذلكَ كلَّهُ أما تُريدُ أن تَدخُلَهُ فَتَغسِلَ ذلكَ عنكَ؟ أوَما تكرَهُ أن لا تَدخُلَهُ فيَبقى ذلكَ علَيكَ؟ قالَ: بلى يَا ابنَ رسولِ اللّهِ. قالَ: فذاكَ المَوتُ هو ذلكَ الحَمّامُ، وهو آخِرُ ما بقِيَ علَيكَ مِن تَمحيصِ ذُنوبِكَ وتَنقِيَتِكَ مِن سَيّئاتِكَ، فإذا أنتَ وَرَدتَ علَيهِ وجاوَزتَهُ فقد نَجَوتَ مِن كُلِّ غَمٍّ وهَمٍّ وأذىً، ووصَلتَ إلى كُلِّ سُرورٍ وفَرَحٍ، فسَكَنَ الرَّجُلُ واستَسلَمَ ونَشِطَ وغَمَّضَ عينَ نَفسهِ ومضى لِسَبيلهِ»[1].

والآن حيث تحدّد الهدف من النظرة العرفانيّة إلى مفهوم انتظار الفرج، يمكن معرفة هاتَيْن الروايتَيْن الصادرتَيْن عن النبي الأكرم ﷺ بشكل أمثل:

«أفضَلُ العِبادَةِ ذِكرُ المَوتِ»[2].

«أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ»[3].

فلو كان مفهوم الانتظار مفهومًا دائميًّا، ولا يعتمد على حقيقة الغيبة والظهور فحسب، سيستمرّ حتّى في عهد الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف أيضًا. ولعلّ اقتران كلمة المنتظر مع مفهوم الشهادة في القرآن الكريم إشارة إلى هذا المعنى؛ تلك الآية الّتي تلاها أمير المؤمنين عليه السلام (أو الإمام الحسين عليه السلام) على مصارع أصحابهم المطّهرة.[٤]

المنتظر هو المؤهّل للشهادة والشائق والمنتظر لها. ومن هنا يُعلم أنّ انتظار الشهادة ولقاء الله درجة عرفانيّة سامية وسارية في نفوس جميع المؤمنين:

---

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص٢٩٠.

(٢) جامع الأخبار، ص١٦٥.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٨٧.

(٤) راجع: المناقب، ج٤، ص١٠٠؛ مثير الأحزان، ص٦٣؛ بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٧٢؛ دعائم الإسلام، ج٢، ص٣٥٣؛ تفسير الصافي، ج٤، ص١٨١.

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن «يَنتَظِرُۖ»﴾.[1]

ولهذا فإنّ المنتظر إذا التقى بالإمام المهدي ﷹ بعد استقرار حكومته أيضًا ينتظر العودة ويطلب منه الدعاء لنيل الشهادة الّتي هي أجمل أنواع العودة. وهذه هي واحدة من ثمار النظرة العرفانيّة إلى الوجود والانتظار الّتي تحدّد تكليف الإنسان حول طلب الشهادة.

انتظار الفرج وانتظار الوصال

تحدّثنا فيما سبق عن المفهوم الإنساني والعرفاني لانتظار الفرج. إلّا أنّ هناك تناسب بين الانتظار بمعناه العرفاني وبين انتظار الإمام المهدي ﷹ من جهات مختلفة. ولعلّ التناسب الأهمّ هو ما ذكرناه في الأسطر السابقة، وهو أنّ من يريد أن يدخل في زمرة المنتظرين الحقيقيّين لصاحب العصر ﷹ، عليه أن يحسم موقفه من الموت ولقاء الله؛ لأنّ الإمام ﷹ يريد «منتظرًا استشهاديًّا»؛ فهؤلاء الاستشهاديّون المضحّون هم المستعدّون لتقديم أيّ نوع من الإيثار والتضحية في سبيل الإمام.

لقد تعرّفنا في تجربة الدفاع المقدّس على زمرة من الاستشهاديّين الّذين يتحلّون بالصفاء وطهارة الروح وقوة القلب، وقد تبلورت فيهم معالم من صفات أصحاب الإمام المهدي ﷹ كلٌّ بحسبه. وكأنّ الدفاع المقدّس برجاله الّذين خلقهم وثقافته الّتي صنعها، ساحةٌ لتربية جنود الإمام ونبراس لإنارة الطريق الّذي يجب على المنتظرين سلوكه.

إنّ فترة حكومة الإمام، وإن كانت تستنزل الخير والبركة لحياة البشر،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

وهي فترة استقرار الطمأنينة والأمن في المجتمع الإنساني الكبير، ولكن لا يهب هذه الراحة إلى البشرية إلّا من تجاوز عن راحته ودعته وانتقل من «الاستعداد» إلى «الشوق» إلى لقاء الله.

يجب أن نراقب أنفسنا لئلّا يكون انتظارنا نابعًا من حبّ الاستطلاع وروح المغامرة. فلو أتعبنا أنفسنا قليلًا وقرّبنا انتظارنا للفرج إلى انتظار لقاء الله، سنحصل على نتائج أفضل.

ينقل أحد الأشخاص أنّني رأيت حديثًا في علامات الظهور يشير إلى إحدى العلامات الّتي قد تحقّقت، فذهبت إلى أستاذي لأتحقّق من سند الحديث وأسأله حول هذه العلامة الواردة فيه حتى أدرك قرب الظهور. فقال لي: «نعم، سند الحديث جيّد، والعلامة قد تحقّقت، والظهور قريب جدًّا. ولا بد أن نتهيّأ، أليس كذلك؟».

فقلت له وقد أدهشني كلّ هذا الإقبال والاستنتاج السريع منه:

- نعم.

- إذن قد يظهر الإمام في هذه الجمعة؟

- نعم، قد يكون ذلك.

- أجل، نحن في أيّ يوم من أيّام الأسبوع؟

- الاثنين.

- إذًا لدنيا فرصة للتهيؤ حتّى الجمعة.

- نعم.

- ولكن قد يأتي عزرائيل هذه اللّيلة ويقبض روحنا، أليس كذلك؟

- نعم.

- هل أنت مستعدّ لذلك؟

- كلّا.

- إذن فاحذر بأن لا تجعل من الانتظار لعبة.

لذا لا بدّ أن نبدأ بحثّ الانتظار من الشوق إلى الشهادة الّتي هي الطريق الأمثل للقاء الله. الشهادة الّتي تتبلور في غمار الحرب، والّتي تحطّم الراحة والدعة، وتعزّز الروح الثوريّة العرفانيّة في نفس الإنسان.

فإن قلتَ: «كيف نغضّ الطرف عن الحياة تحت راية الإمام بكلّ ما فيها من حُسن وجمال؟ كيف يتمنّى الشهادة من يعيش في زمن حضور الإمام؟»، قلتُ في الجواب: «إنّ الحضور بالمحضر الإلهي ألذّ عند المنتظرين للإمام عن معرفة من هذه الحياة الدنيا العابرة، وإن كانت هذه الحياة متنعمة بحضور الإمام ومن مصاديق الحياة الطيبة. ألم يكن أمير المؤمنين عليه السلام شائقًا إلى الشهادة في زمن حضور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل من الممكن إخفاء شوقه للعروج؟ هل أنّ اشتياق فاطمة الزهراء عليها السلام إلى لقاء وجه ربّها الكريم بعد يوم من زواجها بأمير المؤمنين عليه السلام، يتعارض مع لذة الحياة إلى جانب الإمام؟»[1].

(١) قالت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن، لمّا زوجني منك أبي كان عندي في ليل الزواج قميصان: أحدهما جديد، والأخرى عتيق مرقع، فبينما أنا على سجادتي إذ طرق الباب سائل وقال: يا أهل بيت النبوة ومعدن الخير والفتوة، قد جرت العادة في الناس يقصدون بيوت الأعراس لأنها لا تخلو من الطعام لمن حضر من العام والخاص، فإن كان عندكم قميص خلق فإني به جدير، لأني رجل فقير، يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيركم عاري الجسد. فعمدت إلى القميص الجديد ورفعته إليه ولبست القميص الخلق. قالت: يا أبا الحسن فلما أصبحت عندك بالقميص الخلق، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي فقال: يا بنية، أليس قد كان لك القميص الجديد؟ فلم لا تلبسيه؟ فقلت: يا أبه، تصدقتها لسائل، فقال: نعم ما فعلت... فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: اقرأ على فاطمة السلام وقل لها تطلب ما شاءت ولو طلبت ما في الخضراء والغبراء، وبشرها أني أحبها. فقال لي: يا بنية، إن ربك يسلم عليك ويقول لك: اطلبي ما شئت، فقلت: يَا أَبَتَاهْ، قَدْ شَغَلَتْنِي لَذَّةُ خِدْمَتِهِ عَنْ مَسْأَلَتِهِ، لَا حَاجَةَ لِي غَيْرُ النَّظَرِ الَى وَجْهَهُ الْكَرِيمِ فِي دَارِ السَّلَامِ». فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ص٧٦٨ نقلًا عن الكوكب الدرّيّ في أحوال النبي والبتول والوصي، ص٢٥٢، نقلًا عن التّبر المذاب في بيان ترتيب الأصحاب.

لا أريد أن أتحدّث بشدّة ومبالغة عن طلب الشهادة والشوق إلى لقاء الله، لا سيّما وأنّي لست أهلًا لذلك ولا ينبغي أن أثبّط عزيمة الضعفاء من أمثالي، غير أنّ التوجّه إلى هذه المعاني والعناية بهذه المراتب للّذين يريدون طيّ هذا الطريق مفيد للغاية. وعلى أقلّ تقدير لا بدّ للتخلّص من العُجب أن نعرف بُعد الطريق وطول المسافة.

ولا بدّ من الالتفات إلى الجهة الأخرى لهذا التناسب، وهي أنّ من الآثار المهمة للحضور في المجتمع المهدوي هو نفس هذا الشوق إلى لقاء الله. وهذا هو من أهمّ أسباب دعائنا بتعجيل الفرج. نحن نطلب من الله أن يرزقنا العيش في المجتمع المهدوي لترتقي مدارج الكمال في تلك الأجواء المقدّسة بشكل أمثل. وأيّ معلم للكمال أفضل من الشوق إلى لقاء الله؟

وأساسًا كلّ إنسان طاهر القلب إذا التذّ بالحياة الطيّبة سيشتاق إلى الحياة الآخرة. وهذه هي من عجائب الحياة الطيّبة أنّها صُمّمت بطريقة تزيد من شوق الإنسان إلى الآخرة. فالحياة الطيّبة هي النوع الوحيد من الحياة اللّذيذة والممتعة الّتي لا تسلب من الإنسان الشوق إلى العروج، بل تزيد هذا الشوق في قلبه.

علمًا بأنّ نوع الشوق إلى الآخرة الّذي يحصل عبر الحياة في ظلّ حكومة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، يختلف بالكامل عن حبّ الموت الناتج من كثرة المشاكل الّتي لا يمكن احتمالها عند النفوس الضعيفة. فكم هو فرق في القيمة والأهميّة بين من يتمنّى الموت بسبب مُلمّات الدهر وشدائده، وبين العارف الصابر الشاكر الّذي يتمنّى لقاء الله.

الانتظار العرفاني يورث الفرج الشخصي

لو كان الإنسان منتظرًا حقيقيًّا أو وصل في ذروة كماله إلى الانتظار العرفاني، فإنّه سيصل إلى الفرج الشخصي، ويتنعّم بألطاف الإمام

ﷺ الخاصّة وإن لم يتحقّق الظهور. ولعلّه لهذا السبب، قسّم العلماء الفرج إلى قسمَيْن: فرج نوعي وفرج شخصي. وقد ورد هذا التقسيم في كلمات سماحة آية الله الشيخ «بهجت» قدس سره بصور مختلفة:

«إنّ من الأمور المهمّة، بل من أهمّ الأمور هو أن نعلم ما الّذي ينبغي علينا فعله لنكون أمثال العلماء والمتشرّعة والصلحاء التابعين للعلماء الّذين تمتّعوا بالفرج الشخصي والارتباط الخاص بولي العصر ﷺ، ولم يحتاجوا في شؤونهم وشؤون غيرهم في الجملة إلى طلب العدالة العامّة؛ كالسفراء الأربعة والعلماء المعاصرين لهم الّذين كانوا يتمتّعون بالمقامات والكرامات الّتي لا تتمتّع بها، بحيث لا يسعنا القول إنّنا أمثالهم.

علينا أن نعقد المجالس ونتذاكر مع رفقائنا وأصدقائنا لنرى ما هو السبيل للوصول إلى الإمام والارتباط به؛ إذ لا شكّ أنّ أيّ فيض يصل إلينا - سواء أكان خاصًّا أم عامًّا، وداخليًّا أم خارجيًّا، وجسمانيًّا أم روحانيًّا - هو من قبل ذلك الفيض الواحد ولا غير، وإنّ التوجه إلى جميع الأئمّة عليهم السلام يعود إليه أيضًا. ولهذا عندما توسّل شخص بالرسول الأكرم ﷺ، أحاله النبي ﷺ إلى الإمام الفلاني والإمام الفلاني وأخيرًا إلى الإمام المهدي ﷺ»[1].

«ينبغي على كلّ أحد أن يفكّر بنفسه ويجد سبيلًا للارتباط بالإمام الحجّة ﷺ وفرجه الشخصي، سواء أكان ظهور الإمام وفرجه بعيدًا أم قريبًا!... وعلى الرغم من أنّ الارتباط والاتصال بالإمام باختيارنا - خلافًا للظهور والفرج العام - لماذا لا نهتمّ بأنّنا كيف نرتبط بالإمام؟! غافلين عن هذا الأمر، ولكن نهتمّ بظهور الإمام واللّقاء العام به، والحال أنّنا إن لم نُصلح أنفسنا من أجل الفرج الشخصي، فلربما نفرّ من الإمام عند

(١) در محضر بهجت، ج٣، الرقم١٣٢١.

ظهوره، لأنّنا نسلك سبيل الّذين لا يفرّقون بين المهمّ والأهمّ»[1].

ويقول آية الله الشيخ «علي سعادتبرور» (البهلواني الطهراني) أيضًا في كتابه، مذيّلًا الروايات المتعلّقة بفضل الانتظار:

«إنّ التدبّر في الروايات يعطي أنّ الفرج على قسمَيْن: شخصي وعام. فالشخصي بنفسه على قسمَيْن:

أحدهما: تخلّص الإنسان من الأخلاق الذميمة والصفات الرديئة، ثمّ الوصول إلى الكمالات العالية الإنسانيّة الفطريّة والأخلاق الإلهيّة.

وثانيهما: الفرج المنتسب إلى وليّ العصر والقائم بالحقّ - عجلّ الله تعالى فرجه - وفي هذا القسم أيضًا نوعان من الفرج:

الأوّل: معرفة الإمام عليه السلام بمقام النورانيّة، وليست هي إلّا مقام الولاية الإلهيّة، وهذه المعرفة تحصل في الفرج الشخصي، وهو الوصول إلى الكمالات النفسانيّة الفطريّة.

الثاني: درك محضر الإمام وزمان ظهوره عليه السلام، ومن المعلوم أنّ بهذا الفرج يحصل الفرج بالمعنى الأوّل أيضًا؛ إذ لدرك حضور الإمام عليه السلام أثر خاص ودخل تامّ في وصول أبناء البشر المؤمنين به، ولا أقل خواصّه المخلصين ذاك اليوم إلى المراتب العلى من الكمالات الإنسانيّة، كما يستفاد من بعض الروايات.[٢]

وأمّا الفرج العام، فهو خلاص المجتمع من الظلم والجور، والوصول إلى القسط والعدل وإقامة الدولة الكريمة العادلة الّتي يعزّ فيها الحقّ ويذلّ فيها الباطل.

---

(١) در محضر بهجت، ج٢، الرقم١٩٥.

(٢) جاء في هامش الكتاب: راجع إثبات الهداة، ج٣، ص٤٩٥، الرواية٢٥٣.

ويرشدنا إلى طلب الفرج الشخصيّ بعض الأدعية والأحاديث، ولا سيّما الأدعية الواردة في شهر رمضان، ويدلّنا بعض الأحاديث على طلب فرج القائم وظهوره - عجلّ الله تعالى فرجه - في زمن الأئمّة عليهم السلام والغيبة، وذكروا عليهم السلام له ثوابًا عظيمًا»[1].

النتيجة

إنّ ما تعرّضنا له في هذا الفصل حتى الآن هو أنّ الانتظار لمجيء المخلّص لا يكون عميقًا ومستندًا إلى ركيزة معنويّة قويّة إلّا إذا اقترن بالانتظار العرفاني وهو انتظار الرحيل عن هذا العالم والوصول إلى لقاء الله. والانتظار بمعناه العرفاني مقدّمة لانتظار مجيء المخلّص وواحد من نتائجه أيضًا. وبعبارة أخرى، من أراد أن يكون منتظرًا للمنقذ ومتمنّيًا للظهور، عليه قبل ذلك أن يكون متمنّيًا للموت ولقاء الله. وبذلك سيكون قوّة ملحميّة مجاهدة مستعدّة للشهادة في خدمة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف. علمًا بأنّ هذا المنتظر سيكون مفيدًا في زمانه أيضًا. ونحن في هذا الزمان أيضًا بأمسّ الحاجة إلى أمثال هؤلاء العظماء.

انتظار وصال الله وتمنّي وصال الإمام عجل الله فرجه الشريف

لننظر الآن كيف أنّ مفهومًا ومظروفًا باسم الشوق إلى لقاء الإمام المهدي - أرواحنا له الفداء - وضع في ظرف الانتظار المقدّس الّذي جُبلت عليه روح الإنسان المتلاطمة؟ كيف أنّ الإنسان المنتظر للتحرر من الدنيا، يكون منتظرًا لظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف؟ كيف أنّ المنتظر للقاء الله، يشتاق إلى لقاء إمام زمانه؟

---

(١) الشموس المضيئة في الغيبة والظهور والرجعة، للشيخ علي سعادت برور، ص٥٨-٥٩.

القضيّة هي أنّنا عندما هبطنا إلى الدنيا، ارتفع أنيننا قائلين: «إلهي! ليس هذا مكاني، لماذا لا بدّ أن أكون في هذا المكان؟ إنّي لا أحبّ المقام هنا، أحبّ أن أكون عندك، أحبّ أن أكون إلى جانبك، في المكان الّذي أنتمي إليه وخُلقت من أجله، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١]».

فقال الله لنا بلسان التقدير وبيان أنبيائه: «حبيبي، اهدأ! من المقرّر في هذه الدنيا أن تتّسع دائرة وجودك، لكي تتنعّم بلقائي في ذلك العالم بالنحو الأتمّ. أيّ من المقرر في هذه الدنيا أن يكون ألم فراقي سببًا في تكاملك وسعة روحك واتّساع وعائك، لكي يتأتّى لك في ذلك العالم وفي كنف لقاء الله، أن تعرف الله وتراه»[2].

---

(١) سورة القمر، الآية ٥٥.

(٢) هذه المسألة هي حصيلة الكثير من الآيات والروايات، وإليكم جملة منها:
الهدف هو الوصول إلى الله؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ضاعَ مَن كانَ لَهُ مَقصَدٌ غَيرُ اللّه». غرر الحكم، ح١٦٨١.
العمل الصالح في الدنيا لابد أن يقترن بتمني لقاء الله؛ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾. سورة الكهف، الآية١١٠.
الدنيا وسيلة لاكتساب الدرجات في الآخرة؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بالدنيا تُحرَزُ الآخِرَةُ». نهج البلاغة، الخطبة١٥٦.
الإنسان يتكامل ببلاء الدنيا؛ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيُغَذِّي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تُغَذِّي الْوَالِدَةُ وَلَدَهَا بِاللَّبَنِ». أعلام الدين، ص٢٧٧.
ثمرة البلايا والمحن هي القرب من الله: عن الإمام الصادق عليه السلام: «اعْلَمْ أَنَّ بَلَايَاهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَرَامَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ وَمِحَنُهُ مُورِثَةٌ رِضَاهُ وَقُرْبَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ». مصباح الشريعة، ص١٦٢.
لقاء الله أسمى وألذّ من نِعَم الجنة؛ «إنَّ اللّهَ عَزَّ وجلَّ أوحى إلَى داوود: يا داوودُ، إلى كَم تَذكُرُ الجَنّةَ ولا تَسألُني الشَّوقَ إلَيَّ؟! قالَ: يا رَبِّ، مَنِ المُشتاقونَ إلَيكَ؟ قالَ: إنّ المُشتاقينَ إلَيَّ الّذينَ صَفَّيتُهُم مِن كُلِّ كَدَرٍ، وأنبَهتُهُم بالحَذَرِ، وخَرَقتُ مِن قُلوبِهِم إلَيَّ خَرْقًا يَنظُرونَ إلَيَّ». المحجة البيضاء، ج٨، ص٥٩.
الشدائد والمكاره تفتح أبواب فضل الله وكرمه؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ولكنّ اللّه يَخْتبِرُ عِبادَهُ بأنواعِ الشَّدائدِ، ويَتَعبّدُهُم بأنواعِ المَجاهِدِ، ويَبْتَليهِم بضُروبِ المَكارِهِ؛ إخْراجًا للتَّكَبُّرِ مِن قلوبهِمْ، وإسْكانًا للتَّذَلُّلِ في نُفوسِهِم، ولِيَجْعلَ ذلكَ أبوابًا فُتُحًا إلى فضلِهِ، وأسبابًا ذُلُلًا لِعَفوِهِ». نهج البلاغة، الخطبة١٩٢.

وعلى الرغم من استماعنا لهذا الكلام، لم ينقطع بكاؤنا وقلنا لله ثانية: «إلهي! فراقك عسير علينا». ومن أجل أن يهون هذا البُعد والفراق علينا، وأن يكون نفس هذا الفراق سببًا لتكاملنا ووصولنا إلى الهدف الّذي خُلقنا من أجله، وضع الله العطوف ممثّلًا عنه في الأرض كخليفة له وإمام لنا؛ الإمام الّذي هو وجه الله، بحيث كلّما اشتقنا إلى الله نظرنا إليه، ليكون لقاؤه مدعاة لسكينتنا وابتهاجنا، ويكون في هذا السفر إلى الله إمامنا وقائدنا.

وفي الحقيقة، عندما ارتفع أنيننا قائلين: «إلهي! بُعدك هذا وإن كان قصيرًا وسببًا لتكاملنا إلّا أنّه عسير». قال الله: «لقد وضعت أحد أوليائي بينكم، فكلما اشتقتم إليّ، انظروا إليه، فإنه وجهي». وهذا ما أشارت إليه جملة من الروايات بأنّ الإمام «وجه الله»[1]؛ أي أنّ الإمام هو مظهر الله الأتمّ. وهو أفضل وأجمل آية لله، بحيث إذا اشتاق عبد النظر إلى الله ونظر إلى هذه الآية سكن قلبه، وإلى هذا يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا لِلَّهِ آيَةٌ أَكْبَرُ مِنِّي»[2].

ومن الواضح أنّ الإنسان الّذي خُلق من أجل الله لا يطمئنّ قلبه إلّا

---

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُم». الكافي، ج١، ص١٤٣. وعنه أيضًا: «نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِه». الكافي، ج١، ص١٤٥.

إنّ تعابير «وجه الله، عين الله، يد الله» الّتي تطلق على أئمة الهدى عليهم السلام، لا تختص بالشيعة ولا أنها موضوعة من قبل الغلاة. بل ما عدا ورودها المستفيض في أدعيتنا وأحاديثنا، كانت تستخدم من قبل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا ومتداولة في عهد الخليفة الأول والثاني. انظروا إلى الحكاية التالية:

جَاءَ رَجُلٌ مَشْجُوجُ الرَّأْسِ يَسْتَعْدِي عُمَرَ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ عَلِيٌّ: «رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ فِي حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرِيمِ اللَّهِ». فَقَالَ عُمَرُ: «اذْهَبْ وَقَعَتْ عَلَيْكَ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ اللَّهِ وَحِجَابٌ مِنْ حُجُبِ اللَّهِ، تِلْكَ يَدُ اللَّهِ الْيُمْنَى يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ». بحار الأنوار، ج٣٩، ص٨٨، طرف من الأنباء والمناقب للسيد بن طاووس، ص٣١٨، المناقب لابن شهرآشوب، ج٣، ص٢٧٣، لسان العرب، ج١٣، ص٣٠٩، شرح إحقاق الحقّ، ج٣١، ص٤٩٨.

(٢) بصائر الدرجات، ص٧٦.

بالقرب من الله. فالدنيا على أيّ حال هي دنيا، وتضع في طريق الوصول إلى الله الكثير من الحجب والموانع. ولكن على الإنسان طيلة مكوثه في الحياة الدنيا أن يتحمّل هذا الفراق، وينتظر الفرج والنجاة من هذه الدنيا وحدودها. وقد جعل الله العطوف في هذا الخضمّ سبيلًا لتسكين قلوب العاشقين للقائه بحيث أنّ حياة أولياء الله بأسرها منوطة به وأنّهم يعيشون ويحتملون مرارة هذه الدنيا من أجله، وهو لقاء وليّ الله وحجته على أرضه.

فلو أنّنا في هذه الدنيا المقرونة بفراق الله، لم نجد إمامنا فيما بيننا أيضًا، ولم نشهد محضره فيما إذا احتجنا واشتقنا إليه في أيّ لحظة، ولم تسكن روعة قلوبنا بالنظر إلى «وجه الله» في هذا الانتظار الطويل، ألم يجرّنا ذلك إلى الاضطرار ويؤدّي بنا إلى انتظار لقائه لحظة بعد أخرى؟

نحن بانتظار التحرّر من الدنيا والعودة إلى كنف لقاء الله، وكان من المقرّر أن تهون مرارة فترة الانتظار هذه للقاء الله من خلال حضور وجه الله، إلّا أنّنا وُلدنا في زمن قد تغيّب فيه وجه الله ووليّه خلف ستار الغيبة. ومن هنا يحقّ لنا أن يزداد اعتراضنا على الفراق وانتظارنا للوصال، وأن يتضاعف ألم الفراق والانتظار في نفوسنا، وأن يعلو صوت شكوانا وأنيننا إلى الله قائلين:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا»[1].

ويحقّ لنا أن نطلب من الله:

«اللَّهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ نَاظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ»[2].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٥١٤.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء العهد الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام؛ وأيضًا المصباح للكفعمي، ص٥٥٠.

إنّ الشوق إلى الله من جانب يؤدّي إلى اشتياق أولياء الله، ومحبة أولياء الله من جانب آخر، تؤول إلى محبة الله أيضًا. فإنّ جميع المسائل المعنويّة في الدين الإسلامي الأصيل تبدأ وتنتهي بالولاية بنحو من الأنحاء:

«إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ»[1].

وهناك صلة وثيقة بين العبادة والولاية، فمن جانب لا تُقبل الصلاة من دون الولاية،[٢] ومن جانب آخر تزداد الولاية بالصلاة المقبولة.[٣] ومن جهة محبّة الله تسري إلى محبّة أوليائه، ومن جهة أخرى ولاية أهل البيت تسوق الإنسان إلى ذروة العبوديّة،[٤] كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وَلَايَتُنَا وَلَايَةُ اللَّهِ الّتي لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بِهَا»[5].

---

(١) الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام، مفاتيح الجنان؛ عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٧٦؛ من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٥.

(٢) سأل رجلٌ الإمام السجاد عليه السلام عن سبب قبول الصلاة، فقال: «وَلَايَتُنَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا». المناقب لابن شهرآشوب، ج٤، ص١٣٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ النَّهَارَ وَقَامَ اللَّيْلَ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِغَيْرِ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَلَقِيَهُ وَهُوَ عَنْهُ غَيْرُ رَاضٍ أَوْ سَاخِطٌ عَلَيْه». الكافي، ج٨، ص١٠٦.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الْزَمُوا مَودَّتَنا أهلَ البيتِ... فَوالّذي نَفْسُ مُحمّدٍ بِيَدِهِ، لا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إلاّ بِمَعْرِفَتِنا ووَلايَتِنا». الأمالي للمفيد، ص١٤٠.

وفي زيارة الجامعة: «بِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَة». من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٦.

(٣) عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا وَلَايَتَنَا إلاَّ بِالْوَرَعِ وَالاِجْتِهَادِ»، وعنه أيضًا: «مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ وَمَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَع». الكافي، ج٢، ص٧٤.

(٤) عن الإمام الباقر عليه السلام: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوَلَايَةِ، وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَة». الكافي، ج٢، ص١٨.

وعنه عليه السلام: «ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَك وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾». الكافي، ج١، ص١٨٥.

(٥) الكافي، ج١، ص٤٣٧.

ومن هنا، فإنّ أولياء الله بحضورهم في هذه الدنيا المصحوبة بفراق الله، يُسهّلون علينا تحمّل هذا الفراق، ويعينوننا على الوصول إلى لقاء الله. غير أنّ مشكلة البشر عندما وطأ عالم الدنيا، لم تنحصر في الابتعاد عن الله حتى تنحلّ بحضور أوليائه، بل ظهرت في هذا البين مشكلة أخرى؛ وهي الظلم والجور الّذي فُرض على البشرية من قبل جماعة متكبّرة مستكبرة، والّتي آلت إلى ازدياد مرارة الدنيا وصعوبة حركة البشر إلى الله.

وقد أزال الله المشكلة الأولى بوضع وجه الله بين أبناء البشر، وذلك تسهيلًا لقضاء فترة الانتظار على الناس عند لقائه ونيل السكينة إلى جانبه. وأزال المشكلة الثانية أيضًا بإعطاء الولاية لوجه الله. وكأنّ الله قال للبشر بلسان التقدير: «سأعطي الولاية لوجه الله من أجل إزالة المشكلة الثانية، ليقوم بنظم الأمور عبر ولايته الاجتماعية، ويتسنّى لكم بذلك السير إليّ من دون أن ترون ظلمًا في هذه الدنيا».

إذًا، تواجهنا في فترة غيبة وليّ الله مشكلتان: المشكلة الأولى هي أنّ ابتعادنا عن «وجه الله» أدّى إلى ازدياد شوقنا إلى لقاء الله وابتعادنا عنه أكثر. والمشكلة الأخرى الّتي تبلورت بسبب غيبة مصباح الهداية والولاية، هي إضافة ألم الظلم والجور الكبير إلى ألم الفراق؛ لأنّ وجه الله هو الّذي يتمتّع بمقام الولاية ويستطيع إحلال النظم والعدل في العالم. وفي ظلّ نوره المشرق يتعبّد الطريق لسير الإنسان إلى الله. إلّا أنّ الأرضيّة لم تتهيّأ لتطبيق وتحقّق هذه الولاية في زمن الغيبة.

ففي مواجهة المشكلة الأولى، كلّ من يفكّر في وصال الله، يشعر بفراق وليّه أكثر، وفي مواجهة المشكلة الثانية، كلّ من يرى في حياة الإنسان سبيلًا للسير إلى الله، يزداد لهيب الانتظار في قلبه أكثر. وأما

سائر المنتظرين للظهور الّذين لا يحملون هذه النظرة العرفانيّة، فهم ينتظرون الفرج برؤية سطحيّة للغاية.

وفي خاتمة البحث، وبالاستناد إلى ما ذُكر، يمكننا في قبال الانتظار العامّي والسطحي، أن نُعرّف الانتظار العرفاني بالصورة الآتية:

الانتظار العرفاني هو أوّلًا انتظار التحرّر من هذه الدنيا والشوق إلى لقاء الله، وثانيًا انتظار وجه الله ووليّه ونحن قابعون في سجن هذه الدنيا وقد ألمّ بنا ألم البُعد عن الله، لتسكن روعتنا قليلًا برؤيته، وليتأتّى لنا في ظلّ ولايته السير إلى الله بسرعة متزايدة، واكتساب المزيد من الاستعداد للقائه وهداية الناس إليه بسهولة.

المسألة الملفتة للانتباه حول وظيفة المشتاقين إلى «لقاء الله» و«وليّه» في زمن الغيبة تسكينًا للوعة الفراق، هي الحثّ على مجالسة علماء الدين من قبل أولياء الله.[١] فإنّ اللّقاء بالعلماء الربانيّين ومجالستهم مسألة مهمّة يؤدي تركها إلى العقاب الإلهي، وهذا ما أشار إليه الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة قائلًا: «أوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي»[2].

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ مجالسة العالم العامل والأنس به، يزيد من شوق الإنسان إلى لقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف. فإنّ هذه المجالسة في

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «النَّظَرُ إِلَى الْعَالِمِ عِبَادَةٌ وَالنَّظَرُ إِلَى الْإِمَامِ الْمُقْسِطِ عِبَادَةٌ». الأمالي للطوسى، ص٤٥٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «جُلُوسُ سَاعَةٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وَالنَّظَرُ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنِ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ». عدة الداعي، ص٧٥.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء أبي الحمزة الثمالي؛ المصباح للكفعمي، ص٥٩٣؛ مصباح المتهجد، ص٥٨٧؛ إقبال الأعمال، ص٧١.

بادئ الأمر تعزّز عقيدة الإنسان بفضائل الإمام، ثمّ تضاعف الشوق إلى لقاء من يتحلّى بجميع الفضائل في أوجها من خلال تذوّق حلاوة اللّقاء بمن يحمل جزءًا من هذه الفضائل. فمن كان يُجالس العلماء من أمثال الإمام الخميني وآية الله السيّد بهاء الديني وآية الله الشيخ بهجت رضوان الله عليهم تترسّخ عقيدته بالأئمّة المعصومين عليهم السلام وعظمتهم أكثر.

فإنّ الّذين لا يعتقدون بعلم الإمام أو بعض خصاله الأخرى، مشكلتهم الكبرى هي أنّهم لم يروا إنسانًا. فلو كانوا قد جالسوا كبار العلماء وشاهدوا فيهم نماذج مصغرة من صفات الإمام، لما أُصيبوا بعدم الاعتقاد. علمًا بأنّ هناك استثناءات في كلّ زمان، فالكثير من أصحاب القلوب المرضى الّذين كانوا يعيشون في زمن الأئمة عليهم السلام قد أنكروا فضائلهم.

واليوم يمكننا مشاهدة نماذج ومظاهر من الآثار الوجوديّة لصاحب العصر عجل الله فرجه الشريف في مجتمعنا المهدوي. فالاعتقاد في هذا الزمان بما تحدّثت عنه الروايات من حبّ الناس الشديد للإمام في عصر ظهوره، أسهل من أيّ زمان آخر. وعندما نشهد المحبوبيّة المتزايدة لقائد الثورة الإسلاميّة في مجتمعنا، وحتى فيما بين الشعوب في سائر البلدان، يسهل علينا قبول ما يمكن أن تُحدثها «الولاية» من ثورة كبرى في القلوب. وعندما نجد استقرار البلد على أثر اقتدار الولاية، يمكننا إدراك اقتدار الإمام في عهد حكومته بشكل أفضل.

نأمل أن ينقضي هذا الانتظار بسرعة، وهذا ما تدلّ عليه الكثير من العلامات، ويضع المنتظرون الصادقون عبء ألم الفراق الثقيل عن كاهلهم.

كلّما كان الحضور في هذه المنزلة العامّة بدائيًّا وإجباريًّا وسهلًا، فإنّ الحضور في تلك المنزلة الخاصّة اختياريًّا وصعبًا؛ ولصلحاء العالم من أجل الوصول إلى تلك المنزلة الرفيعة تضرّع وابتهال كثير.

الفصل الرابع:

الشباب والانتظار

- الروح المستقبليّة عند الشاب
- الروح المثاليّة عند الشاب
- الروح الاجتماعيّة عند الشاب
- روح العدالة عند الشاب
- الشاب وعناصر الانتظار الخمسة

إنّ فترة الشباب ليست فترة عدم نضج، بل هي فترة قلّة تجربة. الشاب هو في غاية نضج النزعات الفطريّة وذروة الطراوة الروحيّة والاستعداد لتلقّي المسائل المعنويّة والاتصال بالله، وإن كانت نزعاته الفطريّة الأصيلة لم تتفتّح بعد، ولم يصل إلى المعرفة الذاتيّة. إنّ الشاب لا تربطه صلة بالسيّئات إلّا إذا ساقته الظروف إلى الوقوع في الخطأ، أو خدعته بعض الأسباب والعوامل. ولا أريد أن أقول إنّ الشاب إنسان كامل، غير أنّ فترة الشباب هي أقرب فترة للكمالات الروحيّة.

فلو نظر الشاب إلى نفسه جيّدًا لوجد أنّه أكثر انسجامًا مع الحسنات. ألم تسمع قول الإمام الصادق عليه السلام لمن كان قلقًا على الأوضاع الدينيّة لسكان مدينته: «عَلَيْكَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ»[1].

لا يمكن أن يبدأ التديّن من بداية فترة الشباب، ولا يكون هناك تناسب بين هذَيْن المبدأَيْن اللّذَيْن أراد الله أن يجمع بينهما. بل إذا أمعنت النظر لوجدت التعاضد الشديد بين الشاب والتدين والمعنويّة. فإنّ أهمّ المفاهيم الدينيّة تحظى بقبول الشباب، بل وباشتياقهم أيضًا.

ومن هذه المفاهيم النورانيّة للدّين هي الانتظار الّذي له تناسب كبير مع الشباب؛ بحيث يمكن القول إنّ الانتظار أساسًا يعدّ واحدًا من خصال فترة الشباب. وهو مبعث على الحيويّة وازدياد المعرفة للشباب أكثر من غيرهم. وفيما يلي نستعرض بعض الأمثلة من التناسب بين الشاب والانتظار.

---

(١) عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْأَحْوَلِ وَأَنَا أَسْمَعُ: أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ مُسَارَعَةَ النَّاسِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَدُخُولَهُمْ فِيهِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَقَلِيلٌ وَلَقَدْ فَعَلُوا وَإِنَّ ذَلِكَ لَقَلِيلٌ. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ». الكافي، ج٨، ص٩٣.

الروح المستقبليّة عند الشاب

الشاب ينظر إلى المستقبل وقد ترسخت فيه الروح «المستقبليّة». ومن الواضح أن يتعلق بمسألة المهدويّة بكلّ سهولة لكونها مرتبطة بالمستقبل. ولكن يجب أن نرسم له هذا المستقبل بصورة واضحة. فلو لم نعرّف له المهدويّة بوصفه مستقبلًا مشرقًا ومطلوبًا، سيصنع لنفسه أو يُصنعُ له صرحٌ خيالي لمستقبله وللعالم الّذي يُحيط به. وسيُجسّد له هذا المستقبل الموهوم أجمل خيالاته، وعندها يا تُرى ماذا سيحدث؟ سيشعر بالانكسار من كلّ ضروب الحياة الّتي يعيشها أو يبنيها لنفسه. ولو لم نربط روح الشاب المستقبليّة بمسألة المهدويّة، عليه أن يستقي طاقته عبر الأمل بأيّ شيء.

هل تعلمون ماذا صنع انتظار الفرج بسلمان الفارسي؟ حينما وعده النبي ﷺ بالرجعة في عهد حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، اشتدّ بكاؤه وشوقه، وقال: «فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا يُبَالِي سَلْمَانُ مَتَى لَقِيَ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَه»[1]. والشاب أيضًا يحمل الروح المستقبليّة، ولا بد من ملء هذه الروح بمثل هذا المستقبل المشرق.

هذا المستقبل رغم ارتباطه بالحياة الدنيا متضمن لمعنويّة نورانيّة، ولا يفصل الإنسان عن الدار الآخرة. والانتظار يربط روح الشاب بالمستقبل، ويُنقذه من التأطر بالزمن الحالي.

الروح المثاليّة عند الشاب

يحمل الشاب روحًا «مثالية»، وقد تجذّرت فيه هذه الخصلة بحيث لو لم يجد مثالًا جيّدًا، لقام بالبحث عن المُثُل الكاذبة. ومن هنا،

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٥، ص٧، نقلاً عن كتاب المحتضر للشيخ حسن بن سلميان، ص١٥٢. شاهد النص الكامل لهذه الرواية في الهامش ص؟؟؟.

سوف نجد الشابّ سرعان ما ينجذب إلى مُثُل المجتمع المهدوي إذا ما قمنا بتعريفها جيّدًا، وذلك لوجود التناسب بينهما ومحبّة الشاب لها. فالشاب يرغب في أن يحتذي مثالًا يعشقه ويضحي من أجله. ولو استند هذا المثال إلى العقل، بعث في حياة الشاب طراوة وحيوية، وإلّا فبعد مدّة من احتذاء مثال موهوم، سيُصاب بالفشل ويبتعد عن المُثُل ويركن إلى الحقائق الدنيّة.

المُثُل موطن نجاة للشاب من الحدود المُدمّرة للدنيا الدنيّة، وطريق مفرّ للفرار من الأنانيّة إلى النور. وبإمكان الشابّ أن يُنشِد ويطلق الشعارات ويصرخ من أجل مُثُله. وبكلّ سهولة تستطيع المثل أن تكون سببًا للحياة عند الشاب.

وأيّ مثال أسمى من مثال تحقّق المجتمع المهدوي يستطيع أن يروي روح الشاب المثاليّة؟ المثال الّذي يحمل في مكنونه جميع خصائص المثال التامّ وبإمكانه أن يدوم مدى العمر ويخلّد معه حتّى روح الشباب والخصال الحميدة؛ النشاط، الأمل، الحيويّة، الانعطاف والشجاعة، الهمة وعلوّ النظر، الإبداع والتجديد، الطهارة والنقاء، الصفاء والودّ، الفتوة والغيرة، و... .

الروح الاجتماعيّة عند الشاب

إنّ مسألة الانتظار مسألة اجتماعيّة بالكامل، واجتماعيّتها أيضًا على صعيد عالم البشريّة. والشابّ كذلك «اجتماعيّ» بشدّة، وهو شديد الاهتمام بالآخرين، لا يحتمل إذا شاهد طائفة من الناس تتعرض للظلم، وهو بعدُ لم ينهمك بالأنانيّات. ثم إنّ الإنسان كلّما ازداد عمره، كلّما مال شيئًا فشيئًا إلى الفرديّة. ولذا يجب قبل غلبة النزعة الفرديّة،

تعزيز حالة «انتظار نجاة عالم البشرية من الظلم» في روح الشاب. فإنّه لا ينظر إلى المجتمع كأداة لا قيمة لها لرقيّه وتكامله، بل قد يضحّي بنفسه من أجل تكامل المجتمع ورقيّه.

تبدأ الحالة الاجتماعيّة عند الشاب بمجالسة أقرانه؛ عندما يريد الاستقلال والانفصال عن عائلته. ولكن لا يبقى على هذه الحال، وسرعان ما تنمو عنده النزعة الاجتماعيّة ويتبدّل إلى موجود عالميّ إذا ما سلك مسيرة تكامله بسلام. وانتظار الفرج هو انتظار السعادة لجميع العالم. وهل يوجد ما يروي روح الشاب الاجتماعيّة أفضل من هذا الانتظار؟

روح العدالة عند الشاب

تعدّ العدالة من أول المفاهيم الّتي تُدرك حتى قبل فترة الشباب، وهي من المسائل الفطرية. وطلب العدالة عند الشاب في ذروته، وإن لم يقع في ورطة الأنانيّة المفرطة، فسيطلب هذه العدالة لجميع العالم. إضافة إلى أنّ مقارعة الظلم والتمييز العنصري عند الشاب أمر مشهود أيضًا. وإن لم يجد هذا الشاب ما يروي روحه المتعطّشة للعدالة سيُصاب بالخيبة، ولربما سينضوي إلى الجماعة الظالمة أو إلى الجماعة اللّامبالية والفاقدة للغيرة والحميّة على أقلّ تقدير.

يستطيع الانتظار أن يُوجّه روح العدالة عند الشاب وأن يسوقه إلى مجتمع تسوده العدالة. ويزيد من جهده لتبلور مثل هذا المجتمع. فالمجتمع البعيد عن الظلم بإمكانه أن يُتيّم قلوب الشباب الطالبين للعدالة. والمجتمع الّذي يكتسب الجميع فيه حقوقهم، وتتألّق فيه استعداداتهم ومواهبهم، تخيّله حتّى لذيذ وممتع للشاب. فالانتظار

بإمكانه أن ينمّي روح العدالة عند الشاب، ويؤدّي به إلى تعزيز ملكة العدالة في النفس بعدما كانت متبلورة في طلب العدالة الاجتماعيّة.

الشاب وعناصر الانتظار الخمسة

سبق وأن أحصيْنا للانتظار خمسة عناصر بنّاءة: «١.الاعتراض على الوضع الموجود، ٢.تصوّر الوضع المنشود، ٣.تصديق الوضع المنشود، ٤.تمنّي الوضع المنشود، ٥.العمل من أجل تحقّق الوضع المنشود». وبعبارة أخرى، المنتظر هو من تتوافر فيه هذه العناصر الخمسة. وفي هذا المجال المختصر، نشير إلى التناسب الموجود بين كلّ واحد من هذه العناصر وبين الشاب:

١. الشاب «هارب من التقاليد»، وقد أودع الله هذه الخصلة فيه ليستطيع الابتعاد عن الماضي، وتتوافر له فرصة الاختيار. وإلّا فلو كان يتقبّل كلّ ما تملي عليه عائلته ومجتمعه دون تفكير لما حصل على الاستقلال الروحي وعلى فرصة للاختيار. علمًا بأنّ الهروب من التقاليد كأيّ خصلة طبيعيّة أخرى لا بدّ أن تُوجّه، وأن تبقى مصونة من الخديعة والتلبية الخاطئة، لئلّا يسلك الشاب جادة الانحراف والإباحية إرضاءً لهذه الخصلة الفطرية.
إنّ ميل الشباب إلى الموضات الجديدة في الملابس، نموذج مصغر لهذا الهروب من التقاليد، ولو أنّبتَ الشابّ تأنيبًا جارحًا على هذا النكوص والهروب لأصبح «خارقًا للتقاليد» أيضًا. وبالاستناد إلى هذه الخصلة، يرغب الشابّ في أن يعترض على الوضع الموجود، وهو يحمل دافعًا قويًّا للاعتراض على أيّ فساد يشهده حاليًا، وعليه أن يجد حلًّا لاعتراضه هذا متناسبًا مع سائر

صفاته ونزعاته الفطرية. ولو اقترنت هذه الصفة بالتعرّف على العنصر الأول للانتظار وهو الاعتراض على الوضع الموجود بالاتّكاء على الاعتقاد بالمجتمع المهدوي، لقام الشابّ بصرف طاقته في سبيل هدفٍ سامٍ.

٢. لا ينبغي أن ننتقص من قوة تخيّل الشاب؛ حيث يتأتّى للشباب أفضل من غيرهم رسم الوضع المنشود لأنفسهم عبر استخدام قوة التخيّل والتصوير. فإنّ قوّة رسم الوضع المنشود بإمكانها أن تُنقذ الشباب من الحدود الضيّقة للحقائق الموجودة وعدم التصديق بتحقّق الوضع المنشود.

لماذا جعل الله بداية التمسّك بالدين والوصول إلى سنّ التكليف في وقت تكون قوّة التخيّل فيه على أوجها؟ لعلّ السبب في ذلك هو أنّ الشابّ لا بدّ أن يتمكّن من «تصوّر» ذلك «الوضع المنشود» الموعود. الوضع الّذي يتحقّق عبر التمسّك بالدين والعمل الصالح في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، ويؤول في الدنيا إلى الحياة الطيّبة وفي الآخرة إلى السعادة الأبديّة. وهذا التصوّر سيعينه على تعزيز ركائزه المعنويّة.

أحد آثار قوة التخيّل هو تصوّر الدار الآخرة الّتي وصفها القرآن الكريم لنا بما فيها من الجنة والنار ومشاهدها العظيمة. فلو لم يتمكّن من تصوّر الآخرة، لا يهابها ولا يشتاق إليها.

ومن آثارها الأخرى، تصوّر الوضع المنشود في هذه الحياة الدنيا. فلو لم يتمكّن الشاب من تصوّر الوضع المنشود في هذه الدنيا، لما نزع إليه ولما عمل من أجل تحقّقه. إنّ الإنسان بأمسّ الحاجة في بداية تديّنه، أي في فترة الشباب إلى قوة التخيّل إلى جانب قوة التعقّل والتدبّر.

٣. إنّ قلب الشاب الطاهر وضميره الحيّ، يؤديان به إلى «التصديق» بأمور لا يستطيع الآخرون التصديق بها. فلو مُنيت هذه الخصلة باستغلال المنحرفين ستكون نتائجها معلومة، ولو تعرّضت لنداءات الحقّ الصادقة، سيتبعها التسارع إلى الخيرات والتمسك بعقائد الإسلام النورانيّة.
ففي خضمّ أحداث الثورة الإسلاميّة في إيران، كان الكثير لا يصدّق بأنّ الإمام الخميني قدس سره سوف ينتصر، غير أنّ الشباب صدّقوا بكلام الإمام قدس سره ووعوده، وحصلوا على النتيجة وأدهشوا العالم بأسره. إنّ فطرة الشاب قد هيّأت الأرضيّة للإيمان في عالم الغيب والتصديق بالوعود الإلهيّة الّتي قد تبدو غير ممكنة التحقّق في العالم. فإنّ الكثير قد لا يستطيع هضم الوعود المرتبطة بالظهور والأحداث الّتي تليها، والتصديق بها بسهولة وإن سردتَ عليه الأدلّة الكافية على ذلك، غير أنّ الشاب أسرع قبولًا. فإنّ له استعدادًا كبيرًا لقبول الحقّ، بحيث قد يتسارع إلى قبول كلّ ما هو شبيه بالحقّ أو متضمن لجزء من الحقّ، إلّا أنّ هذا لا يحدّ من قيمة صفاء سريرته واستعداده لقبول الحقّ.

٤. «التوق والتمنّي» أيضًا يتناسبان مع الشباب أكثر من أيّ فئة عمرية أخرى. قال لي أحد العلماء حينما كنت في سنيّ الشباب: «اعرفوا قدر شبابكم. إنّني الآن صببت كلّ همتي لأن أجتاز القبر بسلام وأن أصل إلى محضر الله. الطلبات الواسعة، والأماني الكبيرة، والاجتماعيّات، والمثاليّات كلها تعود إلى مرحلة الشباب. اعرف قدر ذلك، ولكن لا تظن أنّها فضيلة لك. فالشباب بأجمعهم يتصفون بهذه الخصال؛ لا يُصيبكم الغرور ولا تتركوا هذه الخصال من دون استفادة». عندما يتقادم الإنسان في العمر، لا تتغلغل

في أعماق وجوده الكثير من الآمال الحسنة، ولا يهتمّ إلّا بالمسائل المحدودة بزمانه، الأمانيّ الكبيرة مختصّة بفترة الشباب.

إنّ الشابّ هو الّذي يستطيع أن يبكي على أمنياته البعيدة المنال، ويُنشد الشعر، ويُناجي ربّه حولها. وكلّ من أراد أن يحفظ هذه النفسية، عليه أن يحافظ على روح شبابه. فالعرفاء والصُلحاء حافظوا دومًا على روح شبابهم. ولعلّ السرّ في ارتباطهم السهل والوثيق مع الشباب هو حفظهم لهذه الخصلة. والشباب هم المستعدّون لحمل هذه الأمنية الكبيرة وهي أمنية الظهور، وكلّما سهلت هذه الأمنية الكبيرة على الشبات، كلّما كانت صعبة على غيرهم.

٥. «العمل من أجل تحقّق الوضع المنشود» يحتاج إلى شرط كبير وهو الجرأة؛ لأنّ تغيير أوضاع العالم في كثير من الأحيان سباحة ضدّ التيّار. عليك أن تملك روح التضحية ولا تخاف لومة اللّائمين، وهذه هي من مستلزمات الجهاد: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾[١].

يستطيع الشاب أن يمتلك هذه الجرأة بسهولة. قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «اعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيًّا حَتَّى لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وَقَالُوا إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ وَلَوْ قَالُوا إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِك»[٢]. إلى هذا المستوى لا بدّ أن يملك الإنسان استقلالًا روحيًّا.

لا يستطيع أن يكون الإنسان عاملًا إلّا إذا كان يتمتّع بقوة روحيّة، بل

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٢) تحف العقول، ص٢٨٤.

وحتّى قوة بدنيّة كافية. والقوة البدنية غالبًا ما ترتبط بقوة النية[١]، ولا تتواجد قوة البدن والنية بسهولة إلّا عند الشاب.

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ». من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٤٠٠؛ الأمالي للصدوق، ص٣٢٩.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الروايات
- فهرس الأدعية

فهرس الآيات

سورة القصص

رقم الآية	الآية	الصفحة
٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾	١٨

سورة العنكبوت

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢و٣	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	٢٩

سورة الأحزاب

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٣	﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن «يَنتَظِرُ»﴾	١٦٩

سورة فاطر

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٣	﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾	١٦
٢٨	﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾	١٩
٤٣	﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾	٤٧

سورة غافر

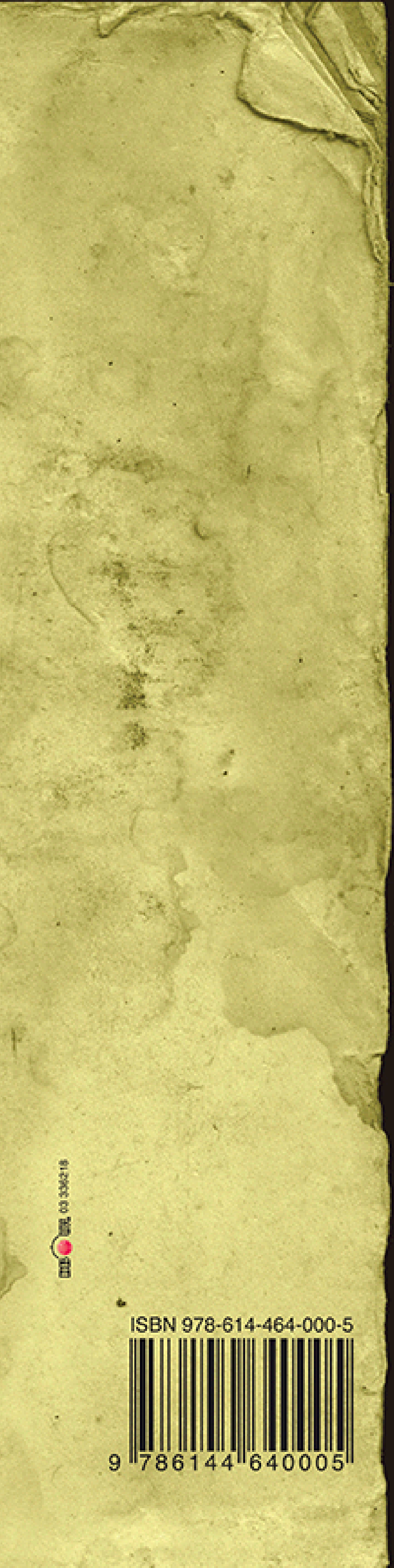
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٠	﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾	١٣١

فهرس الروايات

الإمام الصادق عليه السلام

فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الَّذي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعًا وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرا	٣٣
فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ	١٤٥
وَأَمَّا وَجْهُ الِانْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالِانْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ وَإِنِّي لَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاء	٨٤
وَبَعْدُ فَقَدْ كُنَّا نَظَرْنَا مُنَاجَاتَكَ عَصَمَكَ اللَّهُ بِالسَّبَبِ الَّذي وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَحَرَسَكَ بِهِ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِه	١٤٣
وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمْ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ، لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا	٨٧

فهرس الأدعية



ISBN 978-614-464-000-5

إنّ الشعور بالانتظار يعدّ من تلك المفاهيم الإنسانيّة الّتي يمكن تجربتها في نفوس جميع الناس. وإدراكه ليس بالأمر العسير، فيتأطّر بحالات ودرجات مختلفة بنفسه، وينتظر أن ندركه بشكل أمثل. ونتعرّف إلى المزيد من قيمه وآثاره، ونقوم بإكمال هذه المعرفة.

ومن أجل إدراك مفهوم الانتظار بشكل أمثل، يمكن التعرّف إلى العناصر المكوّنة له، واكتساب تعريف أدقّ له عبر هذا المنهج. وكلّ منتظِرٍ يمكنه من خلال التدبّر في انتظاره أن يعرف العوامل الّتي أوجدت حالة الانتظار، أو الحالات والخصائص المكوّنة لانتظاره. تلك الخصائص الّتي أينما اجتمعت جنبًا إلى جنب، ستولّد الشعور بالانتظار لدى الإنسان.

وإن حلّ انتظار ذلك الموعود - الّذي سيغيّر العالم - في قلب أحدٍ ما، فسيقلبه لا محالة، وسيعرض فيه قوّة الانتظار الّتي ليس لها مثيل. فإنّ انتظار الفرج يهب للمنتظِر طاقة فائقة، ويغيّر رؤيته الكونيّة. علماً بأنّ رؤية الإنسان الكونيّة في بعض الأحيان لا بدّ أن تتغيّر في بادى الأمر ليحصل ذلك الانتظار.

دار المودة
للترجمة والتحقيق والنشر